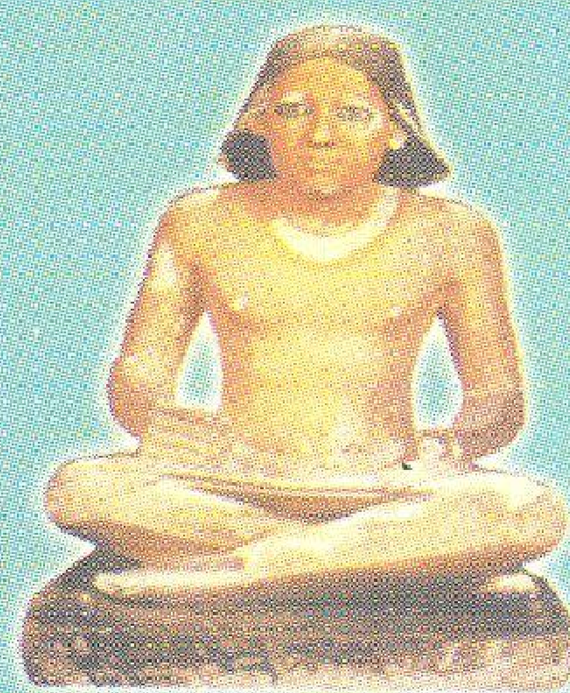
دير سانت كاترين

في العصر العثماني

د. عبد الحميد صبحي ناصف



تاريخ المصريين

٢٧٧

دير سانت كاترين
في العصر العثماني

ناصف ، عبدالحميد صبحى .
دير سانت كاترين فى العصر العثمانى/
عبدالحميد صبحى ناصف .. القاهرة:
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٩.
٣١٢ ص ، ٢٤ سم (تاريخ المصريين)
تدمك : ٤ - ٧٥٤ - ٤٢٠ - ٩٧٧ - ٩٧٨
١ - دير سانت كاترين - تاريخ .
أ - العنوان .
ب - السلسلة .
رقم الإيداع بدار الكتب ٥١١١ / ٢٠٠٨ ٢٠٠٩
I.S.B.N 978-977-420-754-4
ديوى ٩٦٢,٣٩٢

الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة - جمهورية مصر العربية - كورنيش النيل - رملة بولاق
ص . ب : ٢٣٥ - الرقم البريدى : ١١٧٤٩ رمسيس
ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ / ٢٥٧٧٥٠٠٠ - فاكس ٢٥٧٥٤٢١٣ (٢٠٢)
www.egyptianbook.org.eg/e-mail:info@egyptianbook.org.eg.

دير سانت كاترين

في العصر العثماني

الدكتور
عبد الحميد صبحي ناصف



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٩

الفهرس

على سبيل التقديم

استمراراً لرسالة تاريخ المصريين في إعادة نشر الكتب التنويرية لرواد النهضة المصرية في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع العشرين، وإتاحة الفرصة لشباب الباحثين من خلال نشر رسائلهم الجامعية؛ نقدم في هذا العدد من تاريخ المصريين هذا الكتاب لأحد الباحثين الشباب في موضوع مهم هو "دير سانت كاترين في العصر العثماني"، ونحن بتقديمنا هذا الكتاب للقراء نكون قد حققنا عدة أهداف، فمن ناحية منحنا فرصة النشر لباحث واعد، ومن ناحية أخرى سلطنا الضوء على عصر أهمله المؤرخون طويلاً هو العصر العثماني، وعلى مجال غير مطروق من مجالات الدراسة التاريخية وهو مجال دراسة تاريخ المؤسسات بصفة عامة، والمؤسسات الدينية بصفة خاصة.

ودير سانت كاترين يعد حالة دراسية فريدة من عدة جوانب ، فهو مؤسسة دينية قديمة استمرت وازدهرت حتى بعد دخول الإسلام إلى مصر، وهو من جانب آخر قد حصل على أوامر وفرمانات ومراسيم من عدد كبير من حكام مصر منذ الفتح الإسلامي لمصر مروراً بالخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك وانتهاء بالعثمانيين، وجميعها قد أكدت على حماية الدير وعدم التعرض للرهبان. واللافت للنظر هو حرص الرهبان على الحفاظ على أصول تلك الأوامر والفرمانات والمراسيم، لدرجة أنها شكلت أرشيفاً ضخماً ونادراً من الوثائق التي ترجع إلى عصور مختلفة، يندر أن

تتجمع في مكان واحد. هذا بالإضافة إلى ما يحتويه الدير من مكتبة ضخمة تضم مجموعة من أندر المخطوطات المسيحية التي كتبت باللغة العربية.

ونحن بتقديمنا هذا الكتاب في سلسلة "تاريخ المصريين" نكون قد ساهمنا في تسليط الضوء على دير سانت كاترين ، مطالبين في الوقت ذاته بمزيد من الدراسة لتاريخ الأديرة المصرية وأنظمتها وعمارتها وطرق حفظ وصيانة تراثها الوثائقي الهام.

وختاماً ، لا يسعني إلا أن أشكر كل من ساهم في إخراج هذا الكتاب على هذا الشكل الطيب، وأخص بالشكر الزميل الدكتور عماد هلال الذي راجع الكتاب وضبط لغته وأسلوبه، والأستاذ مصطفى غنايم، وكل أعضاء فريق التحرير.

والله وتاريخ وطننا من وراء القصد

د. محمد صابر عرب

المقدمة

ينظر إلى دير[١] سانت كاترين أسفل جبل سيناء على أنه واحد من أعظم وأقدم المؤسسات الدينية في العالم، ويؤرخ له كوحدة كاملة البناء منذ عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٦) في القرن السادس الميلادي. وقد أخذ الرهبان طريقهم نحو سيناء منذ فجر المسيحية، وفي أثناء الاضطهاد الروماني تمكن كثير منهم من الهرب من مصر نحو سيناء؛ لشهرتها الدينية وارتباطها بالنبي موسى وأولاد إسرائيل. فقد كانت لها جاذبية كبيرة طبقاً لتخيل المسيحيين، ولم يكن هروبهم من مصر فقط ولكن من أجزاء أخرى من الإمبراطورية الرومانية وقد نما هذا المظهر – الرهبنة – وأصبح تقليداً حتى بعد الاعتراف بالمسيحية رسمياً كدين من أديان الإمبراطورية إثر صدور مرسوم ميلان عن طريق الإمبراطور قسطنطين " ٣٠٦– ٣٣٧ " وأصبحت سيناء ملتقى الأحبة الورعين من قارات العالم القديم. كما أضحت واحة فيران مقعداً للبابا المسيحي – فترة من الوقت في القرن الرابع الميلادي.

والآن لم يبق سوى الدير، الذي هو كنز عظيم نادر، يهم معظم علماء الآثار والفن المعماري واللاهوت والمؤرخين، ومع أن الدير يعتبر أحد أهم المقدسات المسيحية في العالم؛ لما يحتويه من كنوز، وبما يتمتع به من موقع هام، إلا أن له مكانة مرموقة وعظيمة عند جموع المسلمين، وعلينا أن نتذكر بعض الآيات القرآنية التي ذكر فيها جبل طور سيناء[٢]، وهناك فضلاً على ذلك، المسجد المشيد داخل الدير ومساجد أخرى خارجه، وعلى هذا النحو فدير سانت كاترين رمز حي لوحدة الأديان وانسجامها، خاصة وأنه ليس فقط مجرد مكان يتروي فيه المؤمنون بعيدا عن

ضوضاء الحياة ومباهجها، بل إنه اكتسب شأنا آخر مع مرور الوقت، حينما صار مركزاً اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً متوازياً مع الهدف الرئيسي الذي شيد من أجله.

والكتابة في تاريخ المؤسسات (٣) اتجاه جديد تبنته مجموعة من الباحثين في تاريخ مصر الحديث خلال الأعوام الأخيرة، وقد بدأت هذه المجموعة في الكتابة في تاريخ المؤسسات السياسية، غير أنها مع الوقت تحولت إلى الكتابة في تاريخ سائر المؤسسات ثقافية كانت أو إدارية أو قضائية أو دينية. وتتطلب الكتابة في هذا اللون من التاريخ إدراكاً خاصاً يتسم بالشمولية، بدءاً بالفهم بأن ظهور أية مؤسسة لا يأتي من فراغ، وإنما يلبي حاجة سياسة أو اقتصادية أو فكرية، ومروراً بالوعي بأن المؤسسة كائن اجتماعي يتحرك من خلال انتماءات أبنائه ويتفاعل مع الجو الاجتماعي المحيط به أخذا وعطاءً، ووصولاً لاستيعاب الحقيقة بأن بقاء أية مؤسسة على قيد الحياة والوزن الذي يمكن أن تتمتع به مرهون في نهاية الأمر بقدرتها على أداء وظيفتها الرئيسية التي دعت إلى قيامها.

وهكذا ففي الإمكان أن نضع تلك الدراسة في مجال التاريخ الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، الذي يهتم بدراسة المجتمعات من حيث التركيب الاجتماعي الطبقي والعادات والتقاليد، ويدرس أيضا الأقليات الدينية والإثنية من حيث وضعها الاجتماعي ونشاطها الاقتصادي والسياسي إن وجد، ولا ينبغي أن يقتصر الأمر على دراسة الجوانب الاجتماعية في حياة الأمم بل أنه بالضرورة يدرس كافة الظواهر السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية.

هذا وقد انتهجنا في سبيل إعداد هذه الدراسة المنهج العلمي في البحث التاريخي الذي يبحث عن الحقائق التاريخية في مظانها الأولية كالوثائق والمخطوطات

وكتب التواريخ والرحلات والقوائم الببليوجرافية (كتب المراجع) بالإضافة للمراجع الحديثة ثم نقدها وتحليلها وعرضها بأسلوب علمي مهذب لا يخل بالرصانة الأكاديمية.

ولما كان الأطروحات العلمية تهدف في العادة إلى كشف جوانب جديدة لمشكلة ما، أو إعادة كتابة القديم منها بأسلوب علمي فإن بحثنا يحاول أن يقترب من هذين الفرضين. حيث سيتجلى ذلك في فصول الدراسة التي حرصنا فيها على أن يكون البحث مقتصراً إلى حد بعيد على الدير وأحداثه الرئيسية.

وفيما يتعلق بصلب الدراسة وحدودها الزمنية فقد بدأناها بالغزو العثماني لمصر وإن تطلب الأمر التمهيد لذلك بعرض تاريخي مختصر تناول الدير ونشأته وتطوره ثم أنهيناها بمجيء الحملة الفرنسية إلى الشرق.

وعلى الرغم من عدم ظهور دراسة متخصصة متكاملة وقائمة بذاتها عن دير سانت كاترين في العصر العثماني، إلا أن الأمر لا يخل من نشر بعض الأبحاث التي تناولت جانبا أو آخر من الموضوع. والباحث يعترف أنه قد استفاد من تلك الدراسات في إخراج هذا البحث بالصورة التي هو عليها الآن.

وقد فرضت طبيعة الدراسة ومجالها تقسيمها إلى خمسة فصول لا تتبع التسلسل الزمني، وإنما يأتي ذلك في إطار المعالجة الموضوعية بكل جانب من جوانب الدراسة في كل فصل بعينه، وأن لا يحيد عن الإطار العام للدراسة ككل، وهكذا فقد مهدنا بالفصل التمهيدي والدراسة التحليلية النقدية لأهم مصادر ووثائق البحث ومراجعه.

فعرضنا في الفصل الأول لنشأة دير طور سيناء وتطوره حتى نهاية العصر المملوكي، مع لمحة عن جغرافية الدير التاريخية والجبال المحيطة به وأهميتها الدينية والتاريخية.

وناقشنا في الفصل الثاني الأحوال الاقتصادية للدير من خلال دراسة دخول الدير ونفقاته، وأفردنا حيزاً آخر للحديث عن أملاك وأوقاف الدير داخل وخارج مصر. وأخيراً تحدثنا عن أنماط الإنتاج الموكول إلى الرهبان أن يقوموا به في المجال الزراعي وخلافه.

وحللنا في الفصل الثالث الأحوال الاجتماعية للدير من خلال ثلاثة موضوعات: الأول عرض للحياة اليومية لرهبان جبل سيناء، والثاني العلاقات بين الرهبان والقبائل العربية القاطنة بجوار الدير، وأخيراً تحدثنا عن طبيعة العلاقات المتوترة حيناً آخر بين الدير والسلطات الحاكمة.

ودرسنا في الفصل الرابع الأحوال الثقافية والعلمية للدير من خلال عرض أهم محتويات الدير وهى المكتبة التي تعتبر الأكثر إمتاعا وأهمية، وقلما نجد ديراً يحتوى على وثائق تتسم بتلك الاستمرارية المتصلة، حيث تبدأ تلك الوثائق من القرون الأولى للميلاد وحتى العصر الحديث، كما عرضنا في هذا الفصل لموضوع الإنتاج الفكري والعلمي لرهبان الدير.

أما الفصل الخامس والأخير فاعتنينا فيه بدراسة الرحلات والرحالة الذين زاروا سيناء وديرها.

وفى الخاتمة عرضنا أهم القضايا والتوصيات التي خرجنا بها من البحث كما ذيلنا الدراسة بعدة ملاحق تتصل اتصالا وثيقاً بالموضوع.

وبما أنه ليس هناك ما يدعونا لأن نكون مثاليين في نظرتنا للوقائع، وأيضاً لا ينبغي أن نكون تاريخيين، لهذا نستطيع القول إن رهبان الدير كانوا يخضعون لمعاملات ذات طابع متميز عن بقية الأقليات الأخرى في مصر.

وقد كان من الطبيعي أن يقوم هذا البحث في أساسه على الوثائق التي هي حجر الأساس بالنسبة إلى موضوعنا. وإذا كانت مكتبة الدير تشمل في مجموعها وثائق تتعلق محتوياها بالدير نفسه، فإن هذا لا يقلل من أهميتها للباحث في تاريخنا العثماني، لأنها تضم وثائق لعصور أخرى متأخرة، ففيما يخص عصري الفاطميين والأيوبيين فإنها تضم المكاتبات الوحيدة - على حد علمنا - الصادرة عن دواوين الحكومة في صورها الأصلية، وهكذا فهي إلى جانب مغزاها التاريخي والحضاري فإن لها مغزى آخر يتمثل في الإسهام في دراسة علم الخطوط والسجلات المخطوطة بمكتبة الدير وعلى شرائط الأفلام والتي هي بمثابة همزة الوصل بين البرديات من جانب وبين الوثائق المملوكة والعثمانية من جانب آخر.

ويعود تعدد تلك الوثائق إلى حرص الرهبان مع بداية عهد كل سلطان أو حاكم على استصدار مرسوم عام يحمل اسمه وتوقيعه، ويقرر ما سبق أن قرره أسلافه من السلاطين، من منح الرهبان امتيازات وإعفاءات وحقوق، كما يقرر في الوقت نفسه رفع المظالم، وليس ثمة شك في أن تجدد تلك المراسيم على هذا النحو إنما يؤكد أن ما تقرره هذه المراسيم له يكن من الإلزام والثبات بالقدر الكافي بل سرعان ما كان ينقص في أكثر الأحيان بالواقع الفعلي.

وعموماً فقد رجعنا إلى مجموعة متنوعة ومتعددة من الوثائق والمخطوطات وبعض المصادر العربية المطبوعة، فضلاً عن المراجع الحديثة العربية والأجنبية. ولا أدعي أنني قد أحطت بكل ما كتب عن الدير، فليس في وسع شخص واحد أن يقوم بمهمة كبيرة كهذه.

وبالنهاية فإنني قد أخطئ ولكنني لم أتعمد الخطأ أبداً، ومن المؤكد أن الأشياء التي سأسكت عن ذكرها هي مجرد تفاصيل قد مررت بها والسكوت عنها لن يقيم

الدنيا ويقعدها، بل على العكس قد يوفر مساحة لكتابة ما هو أجدى وأنفع، ولا أدعى أني اتخذت من مسوح الرهبان لباساً، فإن أصبحت جزاءً فإنني أرحب بذلك على أن ذلك لا يمكن أن يأتي بالدرجة الأولى من الأهمية بل إن بحثنا المتواضع يعتبر استكمالاً لما بدأت وتحقيقاً لكل ما إليه هدفت، وإذا كنت قد عانيت وأنا أكتب الدراسة.فإن معاناتي معاناة من أعطى لا ليأخذ ولكن ليقرأ الناس ما يكتب.

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)

د. عبد الحميد صبحي ناصف

حواشي المقدمة

(١) يقال للدير كنوبيون وهى كلمة يونانية أصلها Koinobion ومعناها عيشة أو حياة مشتركة، وجمعت كنوبيان، وتوجد في اليونانية أيضا كلمة كنوبيارثيس بمعنى رئى الأديرة ولكن الاسم الأشهر للدير باليونانية والقبطية Omac-Tiipion وأخذ عن اليوناني اللفظة الإنجليزية Monastery وفى بعض الأحيان قلاية الراهب بالكنيسة. وفى اليونانية فإن اسم الراهب يكون "موناخوس" Eeonfxo وهو مشتق من الواحد وذلك لأن الراهب يتوحد وينقطع للعبادة، والدير موناسيتريون Eeonecthbjon بمعنى محل التوحيد وأخذهما عنها اللغة القبطية. انظر: القمص عبد المسيح طليب المسعودي البرموس، تحفة السائلين في ذكر أديرة رهبان المصريين (القاهرة: م الشمس، ١٩٣٢) ص٣٢-٣٣، ٢١٥-٢١٧، الفونس توما،"نمو الحركة الرهبانية بين الشرق والغرب في فجر العصور الوسطى". جورج قنواتي، المسيحية والحضارة الإسلامية (بغداد : م العالمية، ١٩٨٤) ص٨٣- ٨٤.

(٢) انظر الآيات الكريمة :" وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون" سورة البقرة، "وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً"

سورة مريم، وسورة التين ١- ٤، المؤمنون ١٩- ٢٠ والطور ١- ٨، القصص ٤٦، طه ٨٠- ٨١، البقرة ٥٥- ٦٣، النساء ١٥٤.

(٣) الكتابة في تاريخ المؤسسات اتجاه جديد لم يعهده المؤرخون إلا متأخراً، وحيث يرجح أن إرهاصات هذا اللون من التاريخ يمكن أن نؤرخ له في العالم الإسلامي بكتاب "النعيمي الدمشقي" عبد القادر بن محمد (ت ١٥١٢م) المعنون: الدارس في تاريخ المدارس ت: جعفر الحسن (دمشق : المجمع العلمي، ١٩٤٨)، وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإن المؤلفات العربية عن الأديرة المسيحية في الإسلام هم:

١- المجموع الذي عنى بكتاباته الشيخ المؤتمن سعد الله بن جرجس بن مسعود في مجلدين وطبع أحدهما منحولاً للشيخ أبي صالح الأرمني مع ترجمة للإنجليزية عن الأصل :

The Churches And Monasteries Of Egypt And Some Neighboring, B. T. A Evetis, Countries Attributed To Abu Salih The Armenian ،Oxford ،1895.

٢- الآب متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس إنبا مقار، ١٩٧٢.

٣- أخبار أديرة ورهبان مصر لفرج الله الأخميمي.

٤- تاريخ دير الزعفران لأيوب الراهب السريان الآمدي.

٥- رسالة في أديرة مدينة أنطاكية ورهبالها لقيصر الأنطاكي.

٦- رسالة في دير مار سمعان العمودي ورهبانه لقيصر الأنطاكي.

٧- ذكر ديارات النصارى في كتاب "الخطط المقريزية، واقتصر فيه على تعداد أديرة الديار المصرية وتعريف منشئيها وأحوالها.

٨- رسالة في ترتيب الرهبان الذين كانوا في أديرة مصر، ليوحنا الراهب المتنسك الروماني كاسيانوس ت ٤٣٣م. ونقل للعربية في تاريخ مجهول، ولا يعرف اسم ناقلها. انظر : جورج قنواتي، المرجع السابق، ص٨٢،............، " الأديرة النصرانية في الإسلام" في أدب ونقد، ع١١٣، ١٩٩٥، ص٢٤- ٢٨.

الفصل الأول

دير طور سيناء

نشأته وتطوره حتى نهاية العصر المملوكي

١- الجغرافيا التاريخية لدير سانت كاترين

للجغرافيا دور مهم ومؤثر في صنع الأحداث التاريخية، وللعوامل الجغرافية دور خطير ساعد دير سانت كاترين على الاستمرار حتى الآن ، بجانب عوامل أخرى، فالدير محاط بالجبال العمودية الشاهقة والتي تغطى قممها الثلوج في فصل الشتاء، وتلك الجبال اكتسبت أهمية دينية وتاريخية عظيمة عند أصحاب الديانات السماوية الثلاثة، فهناك جبل موسى، ويسمى أيضا جبل الطور أو طور Toor Dog الذي يرتفع نحو ٧٣٦٣ قدما عن سطح البحر. ويوجد أعلى قمته هيكل متوسط بني سنة ١٩٣٧ ، وبجواره جامع صغير متهدمٌ وهو الجبل الذي تم عليه نشر القانون (الوصايا العشر)[١].

وان كانت السيدة لينا E. Lina التي زارت الدير في النصف الأول من القرن العشرين – قد أفادت بان هذا الجبل كان ممنوعا على اليهود أن يزوروه خلال السنوات ١٤٧٩ ، ١٤٨٣ ، ١٤٩٧ ، ولم يشر أي من زائري الدير لتلك الملاحظة سوى تلك السيدة[٢].

وعلى شمال جبل موسى يوجد قمة أو جبل الصفصافة Sufsfah وبه عـــدة أودية شديدة الانحدار مثل وادي الليجا، ووادي الملاذ، ووادي الدير، ووادي شعيب ، وتحتوى كل ربوة من الجبال المحيطة على صلبان من الحديد أو الخشب ثبتها الرهبان ذكرى لشهدائهم الذين عاشوا وماتوا في تلك المناطق[٣].و يوجد طريقان إلى قمـــة الجبال المقدسة: أحدهما يتألف من٣٧٥٠ درجة صخرية قام بوضعها النساك، أمـــا الآخر فهو مسلك لولبي فتح في القرن التاسع عشر بأمر من نائب [٤]حـــاكم مـــصر (عباس باشا الأول ١٨٤٨-١٨٥٤) والذي كان ينوى بناء قصر على قمة تـــدعى الطلقة، ويقال أن أبوابه ونوافذه نقلت للدير فيما بعد[٥].

هذا وقد خلف الزائرون نقوشا عديدة فوق الجبل[٦] كما توجد عدة كنائس صغيرة على هضاب الجبل مثل كنيسة اللجة Eligah، كنيسة منسوبة إلى "مـــريم البتول" تخليدا لذكرى معجزة محو البراغيث من الدير[٧] وقد اخبرنا جوزيف بـــتس بوجود دير لطائفة الكاثوليك فوق قمة الجبل، وأن رهبانه يدفعون للسلطة العثمانية مبلغا كبيرا مقابل ذلك [٨] ولكنه لا يوجد دليل قاطع على هذا الخبر.

وهناك عدة سبل للوصول إلى الدير عن طريق مصر أو الشام أو الحجاز فهو يقع على نحو ٥٥كم أعلى خط مستقيم في الشمال الـــشرقي مـــن بلـــدة الطـــور ونحو٣٨٤ أو ٣٩٢ كم من القاهرة وله طريق من السويس يمر بفيران في زمن ثمانية أيام وكذا طريق من السويس يمر بالرملة في زمن سبعة أيام، وأيضا طريق من الطـــور يمر بوادي جران في يومين ونفس المدة إذا سلك الزائر طريق الطور – وادي اســـلا.[١٠]وفى الطريق إلى الدير يقابل الزائر بعض المزارات كمقام نبي الله صالح "وقبر نـــبي الله هارون" القائم على مدخل وادي المناجاة[١١].

والدير يقع في سفح قمة من قمم جبال طور سيناء على أحد أفرع وادي الشيخ، حيث يرتفع عن مستوى سطح البحر بحوالي ٥٠١٢ قدما على خط العرض ٣٢,٥٥ شمالا والطول ١٨ ٥٨ ٣٣ [١٢].

ولقد كان الغرض من بناء الدير أن يكون حصنا للرهبان، ومساحته كبيرة نسبيا، حيث يبلغ طوله اثنين وثمانين مترا، ويبلغ عرضه اثنين وأربعين مترا ومتوسط ارتفاعه أحد عشر مترا، وسمك جدرانه نحو المترين[١٣] وقد بنيت جدرانه من نفس جرانيت القمم الجبلية المحيطة به، ويبدو الدير وكأنه يتحدى هذه القمم.

وأقيم في داخل أسواره الضخمة عدة أبراج في الأركان، كما زودت الأجزاء العليا من الجدران بفتحات تساعد على إلقاء الأحجار الكبيرة والزيت والماء المغليين ضد المغيرين من العربان، وروعي في بناء هذه الأسوار عمل كنائس صغيرة داخلها[١٤] وخاصة أن ارتفاع الكتلة الواحدة من جدران الدير تبلغ حوالي مئة وخمسين سنتيمترا، وعرضها أكبر من ذلك بقليل[١٥].

وبعد بنائه حدثت بعض التغيرات، خاصة في مقدمته الشرقية حيث الأبراج الرباعية في زواياها التي إستبدلت بأخرى دائرية، ويلاحظ في هذه الأسوار إقامتها لغرض دفاعي، ويتجلى ذلك في طبيعة شكلها وهيئة بنائها. ونجد صلبانا محفورة على معظم أحجار السور تخص الزوار المالطيين، وأيضا صممت الجدران الشرقية بطريقة تقاوم سيول الشتاء.

كما بنى الرهبان المصاطب كمحاولة من جانبهم لصد أي الدفاع مفاجئ لمياه السيول، خاصة وأن الدير تعرض للسيول والزلازل عدة مرات، مما اثر على بعض مبانيه [١٦] وكانت تلك الأسوار. وما زالت، تشكل مستطيلا غير منتظم فطول الضلع الشمالي الشرقي يبلغ سبعا وثمانين مترا والشمالي الغربي أربعة وسبعين مترا، والجنوبي الغربي أربعة وثمانين، والجنوب الشرقي سبعين مترا، وبفعل عوادي الزمن

تهدمت كلها إلا الجزء الأسفل من السور الجنوبي الغربي، ويتوسط هذا السور بـــرج مربع قليل البروز وزيد في ارتفاعه عدة أمتار بواسطة مخلوطا مـــن الطـــين وشـــظايا الجرانيت، وتوجد عشر فتحات في البرج لصب الماء المغلي على الغزاة[١٧].

ويختلف ارتفاع الأسوار باختلاف المواضع الموجود فيها، وان كانت تتراوح ما بين اثني عشر وخمسة عشر مترا، أما السور الشمالي الشرقي المسمى ديـــوار دواره "Diwar-Douawara" أو سور الهاوية فهو أشد الأسوار تخربا ويسهل تمييز ما تجدد منه، فقد بنى السور لأول مرة سنة ١٣١٢، ثم انهار بعضه سنة ١٧٩٨ نتيجة عاصفة هبة على الدير. وقد دفع" نابليون بونابرت " الأموال لإعادة بنائه، ثم أرسل " كليبر" خليفة بونابرت في مصر ستة وأربعين عاملا في سنة ١٨٠١ لتجديد الـــسور، وهناك البرج المستدير في الطرف الشرقي الذي يبرز نحو ٣,٥ م عن السور، ويوجد أيضا برج مربع وبرجان مستديران متصلان يكونان برجا وأحدا سمـــى في العـــصر الحديث ببرج كليبر. هذا وقد درس المؤرخ اليوناني بابا ميخا لوبولو[٢٢] في كتابة عن دير طور سيناء الحروف الأبجدية اليونانية المنقوشة على بعض أحجار السور الخارجي وعلى سور الكنيسة وكذا بعض الأبنية التي داخل أسوار الدير.

وإذا ما تركنا الأسوار ووصلنا إلى باب الدير فنجد على يسارنا قبل البـــاب العمومي بوابة كبيرة تسمى بباب الرئيس أغلقها الرهبان سنة ١٧٢٢ وكانوا قـــد سدوا قبلاً مدخلين آخرين للدير في العصور الوسطى، وكان باب الرئيس لا يفـــتح رسمياً إلا عند تعيين رئيس أساقفة جديد للدير، وتوجد فوق مدخل الفناء الخـــارجي كتابتين يونانيتين بحروف عادية بارزة الأولى في ستة أسطر والثانية في ثلاثة سطور[٢٣]

هذا وقد بنى الباب الحالي للدير في عصر "جريجوريوس"، من زانتى "Zante" أمين المخازن سنه ١٨٦١، ويلاحظ أن مستوى الفناء الذي يسبق بـــاب الـــدخول أعلى من مستوى أرض الدير الداخلية. وهذا الفرق ناشئ من النفـــق الـــذي بنـــاه

الرهبان بالحجر بين الدير والحديقة، ويوجد فوق هذا الباب الكشك الخشبي البارز من الجدار والذي يتدلى منه حبل كان يستخدم حتى عهد قريب لصعود الزائرين خوفا من فتح الباب في أيام عدم الطمأنينة ولرفع الزائرين استخدم آلة أشبه بالعصارة يديرها الرهبان، ومازالت تلك الآلة تستعمل ولكن بغرض رفع الأشياء الثقيلة أو بعض الأثاثات داخل الدير(٢٤).

ولقد ألهمت رومانسية المنطقة الفنانين الأوربيين فوثقوها بتخطيطاتهم ولوحاتهم، وترد في المراجع التي تعرضت لتاريخ وجغرافية سيناء أن أول محاولة لوضع خارطة لها كانت في القرن الثالث عشر الميلادي وهى المعروفة باسم "لوحة بوتنجز" نسبة إلى العالم الذي انتقلت لحوزته في القرن السادس عشر، غير أن السياح العرب قد حددوا سيناء على خرائطهم منذ القرن الخامس عشر، حيث وردت في الخارطة التي رسمها "ابن حوقل" سنة ٩٨٨م في كتابة "صورة الأرض" وقد تعاقب الرحالة العرب على ذكر سيناء فأشار" أبو عبيدة البكري " (ت ١٠٩٤)، في كتابة " المسالك والممالك"، كما أشار إليها الادريسى (ت١٢١٧) في كتابة "نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ".

وفى القرن الرابع عشر أعد البندقى "مارينو سانودوه" عدة خرائط عن سيناء ذكر فيها لأول مرة دير سانت كاترين، وفي أواسط القرن السادس عشر نشرت خارطة " جاستالدى" الذي سجل جبل سيناء والطور وفيران،كما وصفها الرحالة العرب، والى حد علمنا لم ينشر أحد رسما دقيقا للدير قبل عام١٧٤٣ سوى "بوكوك Pocoke وفي سنة ١٨١٣ طبع على الحجر ؛ المسيو (تانو) صورة أو رسم للدير وقيمة هذا الرسم أنه يبين لنا ما كان عليه الدير قبل التعديلات والتحسينات التي أدخلت عليه خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، وبخصوص رسوم الدير السابقة للقرن الثامن عشر والمنشورة في بعض كتب الرحالة المتعلقة بالأراضي المقدسة فليست بذات قيمة علمية، كرسم الفرنسي "Perre Below"

الذي زار الدير سنة ١٥٤٧ لأنها غالبا كانت مبنية على خيال النقاشين، ثم كان نشر المسيو "رينيه" رسم للدير ســنة ١٦٩٦، وفي كتــاب وصــف مــصر الــشهير "Description Del Egypte" نشر المسيو "كوتيل" J.M.J Cautalle منظرا للدير كان "كورنارو Cornaro " قد رسمه سنة ١٧٧٨ بالزيت على كرسي للمطران الذي بالكنيسة الكبيرة "البازيلكا"، ويبدو أن المسيو " كوتل " لم يرسم إلا رسما تخطيطيًا لان الصورة الزيتية الأصلية غاية في الدقة ولها شأن جوهري في بيــان التطورات التي لحقت بالدير.

ويوجد بمتحف اللوفر بباريس لوحة للدير رسمها "دوزاتــز" A.Douzats سنة ١٨٣٠ ونشرها عن المسيو "كاريه J.M. Carre" في كتابــه الــشهير [٢٩] Voyageurs et ecrivains Francais en Egypte كمــا رســم دوزاتز فضلا عن ذلك رسما تخطيطا للدير ونشره في كتاب "Quinze Jiurs au Sinai لمؤلفيه دوماس ودوزاتز .A.Dumaset A.Douzats [٣٠] في مجلــدين بباريس سنة ١٨٣٩ كما نشر المسيو "ليون دى لابورد " "Leon dela borde" في كتابة [٣١] .Del Arabie Petree Voyage ثلاث مناظر للدير منها منظر عام وآخر مأخوذ من الشمال والثالث داخلي، وثمة صورة أخرى نشرت في كتــاب Pelarinageea Jerussalam Et Au Mont Sinai En 1831،.1832Et1833 De Marie-Jase PH Deceramb وطبــع في باريس سنة ١٨٣٦ وتعتبر أول خارطة للدير بالمعنى العلمي كما نشر " روســجر" Russeger في اطلــسه المــسمى Asian And ،Reisen in Europa 1841،1835،Afrika Ventrno-Mmon وهما رقمى ٢٦،٢٧ وفي كتاب: P.Y ، 1869،Ordnancr Survey Of the Peninsula of Sinai .C.M. Wilson صورة للدير كما كان موجودا قبل بناء النــاقوس ثم تتابعــت الصور بكثرة منذ عام ١٨٧١ في كتابات كل من بابــا ميخــالو بولــو وبترفيــك

Bencsevic ولوكيانوف (Loukianoff) وكذا "احمد شفيق" في النصف الثاني من كتابة حيث أورد مائه وخمس وعشرين صفحة تحتوى على صور متفرقة ومختلفة للدير [٣٢]

٢ – نشأة الدير وأهميته الدينية

بين مجموعة من أشجار الصنوبر العملاقة في ممر جبلي صغير في جنوب سيناء يقف القزم – دير طور سيناء – حيث لا يوجد مكان فوق كوكبنا يحتفظ بقدسية كهذا الموضع، هذه القدسية تخص أصحاب الأديان السماوية " اليهودية والمسيحية والإسلام " وحيث يعتبر وأحدا من أقدم الأبنية الرهبانية في العالم، وبالرغم من تاريخه المتقلب فقد كان محاطا دوما بإعداد من المتعصبين والعدوانيين من ديانات مختلفة. وقد نجا هذا الدير من الهجمات المتقلبة، ولم يتم الاستحواذ علية أبدا. وقد كان في عدة أزمنة عند درجة السقوط ولكن في الأوقات الحرجة وجدت مساعدة الرب كي تنقذه. لقد كانت سيناء [٣٣] مركزا مقدسا بالنسبة لقبائل الصحراء الذين يقومون بالحج للجبل الموجود بها [٣٤] فقبل ألف عام من ظهور المسيحية كانت سيناء هي الأرض التي هرب إليها موسى من أمام اضطهاد الفرعون، وفيها رأى الغابة دائمة الاحتراق، وسمع صوتا يناديه من الغابة ويأمره أن يخرج بقومه من مصر. وحينما كان موسى ينفذ أمر الله به أخذ أطفال إسرائيل لأسفل جبل سيناء ثم تلقى الوصايا العشر على قمة هذا الجبل، وهناك أيضا كتب موسى أو أملى الخمس فصول الأولى من العهد القديم "التوراة" [٣٥] وبعد أن عاش اليهود في سيناء لمدة تقتربُ من الأربعين عاما نزحوا للاستقرار في فلسطين الحالية.

وبعد مرور حوالي ستمائة عام جاء من بني إسرائيل نبي يدعى إيليا لهذا المكان، ويستطيع المرء أن يرى داخل كنيسة النبي إيليا في جبل سيناء المغارة التي عاش فيها والتي دفن فيها بعد ذلك الراهب نيلوس الذي ذهب لسيناء حوالي سنة ٤٠٠م

وعاش فيها غيره من الرهبان حتى وفاته (٣٦). وبعد ذلك جاء عيسى وعندما أصـــبح اضطهاد الرومان للمسيحيين لا يطاق، قام بعض المـــسيحيين الأوائـــل وخـــصوصا المصريين منهم بإنشاء غابة يتناقلون فيها ويصلون حول جبل ســـيناء ويعيـــشون في الكهوف ويأكلون البلح والخبز البني الذي يحفظ حياهم ويجنبهم الموت جوعا. وهناك أدلة مقنعة على وجود مجتمعات رهبنة في سيناء مع نهاية القرن الثالث وبداية القـــرن الرابع الميلادي (٣٧)

فمع البدايات الأولى لتاريخ المسيحية في مصر التي كانت تحكم بواسطة الحكام الرومان الوثنيين وجدت المسيحية طريقها بسهوله داخل طوائف الشعب المختلفـــة، وبالتالي كان من الطبيعي حدوث مواجهات وصدامات دموية بين الطرفين (الحكـــام الوثنيون والشعب المؤمن) ومع تزايد تلك الاضطهادات الدينية لم يكن إمام الكـــثير من الشعب سوى ما قاله السيد المسيح: "إذا أردت أن تكون كاملا فبع ما لـــديك وأعط ثمنه للفقراء وتعال اتبعني " وهكذا بدأ النساك بالهجرة للصحارى الممتدة على أطراف مصر ومنها سيناء. لقد كانت سيناء بشهرتها ومصادقتها فتنة وجاذبة لخيـــال المسيحيين ليس فقط من مصر بل أيضا من أجزاء أخرى من الإمبراطوريـــة، وهـــذه الفترة نمت تقليديا حتى بعد المعرفة المسيحية وبعدما أصبحت سيناء نقطـــة التقـــاء وتجمع رجال التقوى من قارات العالم الثلاث. وهكذا تطورت الواحـــات المـــصرية القديمة لأسقفيات مسيحية خلال القرن الرابع الميلادي مع استمرار تغلغل النـــساك المسيحيون نحو جنوب سيناء إلى أن استقروا بأعداد كبيرة حول الـــشجرة المحترقـــة ومناطق وادي فيران ووادي الحمام شمالي مدينة الطور(٣٩).

وهكذا هرب أولئك المتوحدون خوفا على أنفسهم ودينهم من بطـــش أهـــل مدن " الحضر" ليقابلوا بطشا آخر من أهل البادية لا يقل عنفا عن الأول، والظـــاهر أن جنوب سيناء كان من المناطق التي يرغب الرهبان فيها كثيرا ويفـــضلوها علـــى

غيرها، ويعزى ذلك لارتباط هذه المنطقة بأسطورة خروج الإسرائيليين ولرهبة المنطقة الجبلية دخل في هذا التفضيل. كما توجد في وسط المنطقة الجنوبية من سيناء عدة مناطق بها مياه ذلك العنصر الأساسي لحياة الرهبان [٤٠] وكان طبيعيا أن يعيش هؤلاء الرهبان في البداية متناثرين وجماعات قليلة، ثم بعد ذلك أخذت تلك الجماعات المسيحية تعيش معا بعد تعرضها لغارات البدو ويبنون بيوتا للعبادة نمت مع مرور الزمن فأصبحت أديرة ذات أسوار حصينة داخل كنائس مشيدة بالحجر، وبالرغم من صدور مرسوم ميلان [٤١] الشهير سنة ٣١٣م إلا أن حياتهم الجديدة قد استهوتهم ورفضوا العودة للحياة الحضرية، وكان رفضهم بمثابة حياة مسيحية جديدة حتى دخلوا في طور جديد تحولت معه الرهبنة إلى ديرية، ويلاحظ أن لغاية القرن الرابع الميلادي كانت منطقة [٤٢] فيران هي المأوى الأمثل والأكبر لهؤلاء النساك لأنها منطقة غنية نسبيا بخضرتها ومائها، وكان بها مقعد رئيسي ومجلس ديني، وظلت لها السيادة حتى نازعتها منطقة طور سيناء عندما بنى بها الدير.

ويرى أحد الدارسين أن المسيحيين [٤٣] الأوائل كانوا من مصر السفلى وكان أول ناسك يلجا لهذه المنطقة القديس " أونوفريوس Onophrius " حيث أشارت المصادر القديمة إلى أنه التجأ لمغارة في وادي ليان للجنوب من جبل موسى مع بداية القرن الرابع الميلادي، وكذلك نعلم عن أول القاطنين في تلك المنطقة الناسك المصري "سيلفانوس Silvanus " حوالي ٣٦٥م الذي عاش بضع سنوات في سيناء، لكن النص الخاص به لم يذكر أي اسم لمدينة أو يحدد أي مكان في واد من الأودية. ومن الممكن أن ينسحب هذا التحليل على القديس "جوليان " أيضا الذي قيل عنه أنه أسس كنيسة في سيناء حول ذلك التاريخ، وأما أقدم وصف أو إشارة وصلتنا لموضوع المحلات المسيحية في سيناء هو ما ينسب إلى"يوسبيوس".

ثم تتابع النساك في شبه الجزيرة، وقد خلفوا آثارا في أماكن متعددة، واستتبع ذلك تكوين مراكز دينيه صغيرة في كل منها برج يلجا إليه النساك عندما تداهمهم

الإخطار، ومن تلك الأبراج برج مهدم في وادي الأربعين وآخر في موضع يعرف باسم العليقة المتوقدة Buinon Ardent [٤٤] كذلك من الزوار المصريين الأوائل لتلك المنطقة الراهب أمونيوس الذي زار المكان حوالي سنة ٣٧٣م في طريق عودته من القدس وهو أول من ترك وصفا لرحلته وقد شهد الهجوم الوحشي للبدو Saracens أو العربان على البرج حيث تم سلخ نحو ٣٨ أو ٤٠ راهب ولذلك أعطيت للبرج اسم كنيسة الأربعين شهيدا [٤٥] ثم تتابعت الهجرات المسيحية لسيناء منذ أوائل القرن الرابع الميلادي حيث قويت الحركة الدينية وانتشرت الرهبنة في مصر مما سبب متاعب كثيرة نظرا لهذا العدد الكبير الذي انتظم في سلكها لأسباب قد يكون التقرب إلى الله آخرها فكثر عدد الرهبان في سيناء حتى أن البعض يعدوهم بأكثر من ستة آلاف راهب.

وعالج الزهاد السينائيون في تلك المرحلة جمهرة كاملة من الأساطير في محاولة لربط الحوادث الموصوفة في العهد القديم والجديد بالتكوين المحلي، وهكذا فاعتمادا على الكتاب المقدس والروايات المحلية فان الرهبان السينائيين قد أعادوا خروج شعب إسرائيل من مصر وقد وجدوا الأمكنة حيث توجهت العليقة (المشتعلة- اللاهبة- المقدسة) – حسب رأيهم – أمام موسى ولم يحترق وحيث وجدت مغارة النبي إيليا المذكور في العهد القديم [٤٦].

وآثار الرهبان في جنوب سيناء تدل على أنهم استفادوا من المنطقة لأقصى حد، وان كان نشاط هؤلاء الرهبان في استغلال مناطق سكناهم في شبه الجزيرة قد عاقه وأضعفه هجوم متكرر من البدو، ويرجع اعتداء البدو على الرهبان إلى ذلك التباين الملحوظ بين فقر البدو وغنى الرهبان، وهكذا نستطيع تفسير أو محاولة تفسير سر العداء بين الطرفين – وهذا ما سنوضحه في حينه.

وفى تقاليد الكنيسة وكتابات اغلب مؤرخيها أن القديسة أيلينا (هيلانة) والدة الإمبراطور قسطنطين قد زارت المنطقة حوالي سنة ٣٤٣م أثناء عودها من فلسطين بحثا عن صليب الصلبوت وتاج الشوك، ولمست فيهم ما كانوا يعانونه من ضيق بسبب هجوم البدو عليهم، وقد أثر في نفسها كثيرا زيارتها للشجرة المقدسة عند سفح جبل موسى، وأمرت ببناء كنيسة في المكان باسم العذراء مريم، كما أمرت أيضا ببناء حصنين أو برجين يحتمي الرهبان بداخلهما عند الخطر وبنيت هذه الكنيسة بواسطة والى القسطنطينية (٤٨).

ويذكر حجاج أواخر القرن السابع الميلادي أنه كانت توجد طائفة من المتوحدين مزدهرة وذات قيمة في سيناء حيث كان من بين أعضائها ضابط الإمبراطور الأعلى القديس نيلوس (٤٩) ويجدر بنا أن ننوه بأن عملية الحج لبيت المقدس لم تؤمن إلا عندما اعترف الإمبراطور قسطنطين بالمسيحية، وأصبحت ديانة الإمبراطورية الرسمية، في فترة لاحقة، هي المسيحية ومذهبها هو الأرثوذكسية الخلقيدونية (٥٠) إذ لم يعرف المسيحيون عادة زيارة القدس وطور سيناء إلا بعد أن زارت أم قسطنطين القدس باحتفال ملكي عظيم وبنت فيه كنيسة القيامة سنة ٣٣٦م وأمرت ببناء البرجين في المكان الذي عليه الدير حاليا لحماية موقع الغابة المحترقة، وإن كان البعض يعتقد بان (هيلانة) هي أيضا التي بنت كنيسة العليقة الباقية داخل سور الدير للآن (٥١) وبالتالي فان دير طور سيناء الحالي لم يكن له وجود أو أثر قبل سنة ٣٣٦م وهو تاريخ بناء البرجين، وكان طبيعيا أن يجتمع حول البرجين جماعات من النساك والرهبان المسيحيين لاعتبارات كثيرة منها:

١ – طبيعة المكان الصحراوي البعيد عن العمران.

٢ – إنه انسب مكان للسياحة العلاجية.

٣- وجود البرجين يجعل المكان آمنـا مـن أي اعتـداءات للبـدو الصحراويين.

٤- وقوع المكان في طريق الحجاج الذاهبين للقدس.(٥٢)

على أنه من المرجح أن يكون رهبان طور سيناء قد أقاموا لهم ديرا في القـرن السادس الميلادي، وإن كان يبدو أنه كان تابعا لإبراشية فيران، فقد كان هناك مـا ذكره الكاهن "ثيوناس" الذي حضر المجمع المقدس في القسطنطينية سنة٥٣٦م أنـه جاء كنائب عن أبرشية فيران ووقع اسمه في جلسات المجمع هكذا (اثناسيوس الكاهن بنعمة الله النائب عن رهبان طور سيناء وراية وأبرشية فيران المقدس) (٥٣).

ومع ذلك فان بناء الكنيسة والبرجين لم يمنع من اضطهاد العربان لهم، كمـا كان يعبر نحوهم أقوام من قبائل البجاة (٥٤) ينكلون بهم قادمين من العدوة الغربيـة للبحر الأحمر. ومع التدفق المستمر لهؤلاء وأولئك اثبت هذا البرج أنه قاصر وعاجز عن حمايتهم، ونجد الرومان أيضا وقد هجروا حصن البتراء في الأردن منـذ عهـد الإمبراطور (فالنس) ومن ثم توقفت الطريق التجارية من البتراء إلى مصر وتحولت إلى خليج فارس، وبذلك أصبحت الساحة خالية للبدو من البحر الميت إلى البحر الأحمر يعيثون وينهبون بلا رادع (٥٥)، فما كان من الرهبان إلا أن أرسـلوا وفـدا منـهم للتفـاوض مـع الإمبراطـور " جـستنيان Justinianus ٥٢٧- ٥٦٥ " في القسطنطينية ليخبروه بظروف معاناتهم مع طلبهم أن يبنى لهم ديرا يكون منزلا لكـل الإخوة المتوحدين وليعطى الأمان للنساك في إطار القانون الممنوح لأتباع المـسيح في أنحاء الإمبراطورية البيزنطية(٥٦) وهناك وثيقة مؤرخة في عام ٥٣٠م قيل أنها الطلـب الذي قدمه الرهبان للإمبراطور وهذا نصها بعد ضبط عبارتها:

(نحن القسوس والرهبان القاطنين في طور سيناء أننا لم نعد نستطيع احتمـال اضطهاد العربان الذين كانوا يأتوننا من البحر الأحمر والحبشة ومن كل ناحية ينهبوننا

ويذبحوننا ويفعلون بنا كل الشرور التي يلهمهم بها الشيطان، وقد نصحنا الزوار الذين كانوا يأتون من كل الجهات لزيارة الأماكن المقدسة أن نرسل وفدا إلى الملك "جستنيان في القسطنطينية ليبنى لنا حصنا يقينا هجمات العرب (كذا) لذلك اجتمعنا يوما في جبل الله الذي كلم عليه سيدنا موسى واخترنا أناسا منا يذهبون إلى الملك ويلتمسون منه بناء الحصن، وهم الشيخ (تاوضوسيوس) و(بروكوسيوس) (نجوميوس) و(انطونيوس) و(سابا) فسافروا بحرا إلى القسطنطينية، ودخلوا على الملك وقدموا له الدعاء والصلوات المرسلة من الآباء، وخروا إمامه ساجدين وبكوا بكاء مرا، وأخبروه بجميع الشرور التي يأتيها البربر ضدنا من النهب والسلب والذبح، فرحب الملك بهم وبالغ في إكرامهم وأجابهم إلى طلبهم، فأرسل كبير أراخنته (جاورجوس) وأرسل معه كتابا بختم يده إلى نائبه في مصر (ثاودورس)يأمره بان يجهز ما يلزم من المال والمعلمين والأدوات لبناء الحصن ففعل ثاودورس ما أمر به الملك، ووصل الأرخي جاورجيوس إلينا ومعه كل ما يلزم الحصن من بنائين وأدوات وأموال وبحث في كل الجهات فلم يجد مكانا يبنى عليه الحصن أفضل من مكان العليقة لأنه في بسيط من الأرض فيه الماء، وهو موضع مقدس، فبنى عليه الحصن وهو الدير الحالي)[٥٧].

ويرى البعض أن الذي شجع جستنيان على بناء الدير خسارته سنة٥٣٧ م أحدى القلاع المهمة على حدود مصر الشرقية فأراد أن يقيم بدلا منها قلعة أخرى على الحدود نفسها في شبه الجزيرة.

ويبدو أن جستنيان لم يكن يتحلى بالصبر المسيحي، فقد أمر بقطع رأس (اسطفانوس) المهندس الذي شيد الدير، حيث يذكر المؤرخ (يوتيكيوس) أن الإمبراطور أراد بناء الدير على قمة جبل سيناء ولكن لصعوبة توصيل المياه إلى قمة الجبل اختيرت الغابة المحروقة كموقع لتشيد الدير، وبسبب هذا التغيير قرر الإمبراطور إعدام المعماري الذي أشرف على البناء – ويبدو أن الرواية غير موثقة إذ

تم العثور على كتابات منقوشة على الجدران فيهـا مـديح للمهنـدس وزوجتـه وعائلته[٥٨].

وأيا ما كان الأمر فهذا الدير الحصن أنشأه جستنيان كجـزء مـن النظـام الدفاعي للإمبراطورية البيزنطيـة طبقـا لأقـوال مؤرخـه الخـاص بركوبيـوس (Procopius).

كما أنه لا يوجد شك في دوافع أخرى لديه دفعته لتشيد القلعة علـى جبـل سيناء بجانب هدفه المعلن الذي هو حماية الرهبان [٥٩] على أن الرهبـان لم يـسكنوا الدير بعد بنائه مباشرة، بل ظلوا يسكنون المغارات والكهوف حول الدير والحـصن إلى أن تم انتقال مركز الأبرشية من فيران لطور سيناء بعد سنة ٦٤٩م [٦٠] وإن كان المطران (نفتاريوس)، (نلتاريوس) يعزى سبب ذلك إلى ظهـور الـدين الإسـلامي وانتشاره فخاف الرهبان على أنفسهم وهجروا المغارات والكهوف وسكنوا الحصن، فجعلوه ديرا ومركزا لأبرشية سيناء، وأصبح رئيس الدير مطرانا للأبرشـية ولقـب ب(مطران دير طور سيناء وفيران وراية) [٦١]و يحتفظ بهذا اللقـب إلى الآن. وهـذا الدير هو الوحيد الذي يلقب رئيسه مطرانا.

وسميت كنسية الدير (العذراء) أول الأمر ولم ترد تسميتها باسم دير سـانت كاترين إلا بعد حـوالي سـنة ٦٠٠م في المخطـوط المعـروف باسـم (الـشهيد انطونيوس)[٦٢] ثم بعد وفاة جستنيان أواخر القرن السادس الميلادي أضـاف آبـاء الدير عملا فنيا شهيرا فوضعوا فسيفساء تجلى يسوع المسيح، ولذلك دعيت الكنيسة فيما بعد بكنيسة تجلى المخلص يسوع المسيح، على أن هذا الـدير الحـصن لم يـق الرهبان وزواره شرور الاعتداء من قبل البدو، وكانوا يختبئون في المغاور والجبـال. وكلما وجدوا زائرا أو راهبا منفردا انقضوا عليه وقتلوه وسلبوه ماله، فلما بلغـت هذه الأخبار الإمبراطور حضر من بلاد اللاخ جهة البحر الأسود مائة رجل بعائلاتهم

وأرسلهم إلى سيناء، وكتب إلى ثاودروس نائبه في مصر أن يرسل مثلهم وبنى لهم أماكن وراء الجبل الشرقي على نحو ثمانية أميال من الدير وهم باقون للان ويسموا (الجبالية) نسبة لجبل موسى، وفيهم خدم الدير أو كما يطلق عليهم (أطفال الدير) وغالبيتهم كانوا يتحدثون اليونانية من كثرة اختلاطهم بالرهبان(٦٣).

ورغم هذا الإجراء فقد تعرض الدير غير مرة لغارات السلب، وتظهر مساندة أكثر وضوحا للرهبان من قبل ثلاث قبائل بدوية تعيش في سيناء زمن العصرين المملوكي والعثماني وهم العوالق، وأولاد سعيد، والعوارمة.

ويلاحظ أن الدير في تلك الفترة كان يسمى (دير جبل سيناء، أو جبل المناجاة، أو دير طور سيناء، كما ذكر في القرآن المجيد، أما تسميته الحالية دير سانت كاترين أو كاترينة أو كاترينا) فيرجع ذلك لسماحة المصريين الذين كانوا يفرحون بأي أجنبي يأتي ليعيش بينهم عيشتهم الرهبانية، بل أنهم لفرط سماحتهم كانوا يطلقون أسماء الأجانب على أديرتهم والشاهد على ذلك دير السيدة العذراء المعروف باسم (دير البرموس) وهناك كذلك الدير الشهير باسم (دير السريان)(٦٤).

وعموما فقد تغير اسم الدير سنة ٦٠٠م حينما حفظت في كنيسته رفات أو الباقي من رفات القديسة كاترينة، وفيما يتعلق بتاريخ حياة (كاترينة)(٦٥) فنحن نعلم أن المسيحية دخلت الإسكندرية عن طريق سانت مارك St.Markes في سنة ٦٥م وكان المذهب الجديد يتعارض ويرتبك في مقابل اليهودية بصورة جزئية وضد الوثنية دائما وكان الصراع على أشدة في الإسكندرية عن أية مدينة مصرية أخرى، وبلغ الاضطهاد ضد أتباع المسيحية أقصى مداه خاصة زمن حكم دكاس (Drcius ٢٤٩-٢٥١م) وبلغ قمته على عهد الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤-٣٠٥م حيث دمرت الكنائس وفصل الموظفين المسيحيين غير الرسميين وهلك كثير من المسيحيين.

وطبقا لإحصائيات الكنيسة المصرية – القبطية تم قتل مائة وأربعة وأربعين ألف تقريبا، ومن بين الضحايا كانت كاترين التي قيل أنها بتول عاشت في الإسكندرية زمن حكم مكسيميانوس (Maximianus) ٣٠٥-٣١٣م وقد تعمدت سـنة ٣٠٧م كملكانية، ولإيمانها عذبت كثيرا إلى أن أمر بقطع رأسها [٦٦] ويقال أن الموقع الحالي لكنيسة سانت كاترين في الإسكندرية التابعة للبابا الكاثوليكي الفاتيكاني هو الموقــع التقليدي لاستشهادها، ويوجد داخل كنيستها الصغيرة مجموعة من الرخام يقال أنه من العمود الذي استشهدت بجواره في ٢٥نوفمبر٣٠٥م.

وربما لا يحمل أي أثر قديم معروف اسم القديسة كاترين، ولكن أوســابيوس في تاريخه تكلم عن امرأة عجيبة (دون أن يسميها)كان لديها الـشجاعة أن تــوبخ الإمبراطور مكسيميانوس الثالث وجها لوجه، كما نقل لنا التاريخ عن حياتها لــلأب (سمعان المتافرس) الذي عاش في القرن العاشر الميلادي وسجل قـصتها مــع ١٢١ شخصية مسيحية أخرى أرخ لهم في موسوعته (أخبار القديسين) أو (السنسكار).

و يقال أنه بعد عدة قرون اكتشف راهب سيناوي أن جسد القديسة قد حملته الملائكة ووضعته على قمة قريبة من جبل سيناء، ثم انزل الرهبان بقية رفات القديسة وادخلوه الكنيسة وافرز الجسد نوعا من الزيت المقدس جمعه الرهبان في زجاجـــات وقد اعتبر من الممتلكات المقدسة حيث تنكر أحدى الروايات أن هنري الثاني مـــن مدينة بدونزويك الألمانية زار الدير سنة١٣٣٠م وعاد بقطرات زيت وقطعة صـــغيرة من عظام القديسة [٦٧] وفي سنة١٠٢٦م جمع الراهب ســيمون (Simon) ثلاثـــة أصابع من يد كاترينة وحملها للدير ووضعت فيما بعد في كنيسة التثليث.

وقد نبعت شهرة تلك الرفات من قدرتها على شفاء ومعالجة الألم، وبناءا على رغبة الحجاج تم تجميع بقايا كاترين من قمة الجبل وأدخلت في صندوق وحفظت في الكنيسة الخارجية داخل جدران الدير، حيث بقيت محفوظة الآن، وفي فترة الحروب

الصليبية أخذت ثلاث أصابع لأوروبا ثم أعيدت لتدفن مع بقية رفات القديسة في الصندوق المحفوظ في نهاية مذبح الكنيسة، حيث يوجد قبر رخامي أجوف مرتكز على أربعة أعمدة بيزنطية من الرخام، ويحوى هذا القبر تابوتين من الذهب بهما رفات كاترينة بالإضافة إلى بعض الهدايا الممنوحة من الملوك والملكات والأباطرة [٦٨] ويلاحظ أن الصندوق يعلوه غطاء به صورة بديعة لكاترينة وحولها كتابة باللغة الروسية التي ورد منها الصندوق سنة١٧١٣ وفي السابق كان حينما يأتي الزوار والحجاج يحضر الوكلاء الثلاثة للدير ويفتحون الصندوق الخارجي وكذلك الصندوق الأصفر المرمري بغية الاحترام والوقار ويخرجون يد القديسة اليسرى غير المتحللة بل جافة ناشفة بلحمها وجلدها وأصابعها وكفها وكذلك رأسها وهي جمجمة فقط بغير جلد ويقولون أن بقية جسدها في الصندوق، لكن صباغ لم يؤكد ذلك خاصة وأنه تابع المراسيم أعلاه.

و يوجد تحت الصندوق الذي فيه جسد كاترينة كتابة باليونانية والعربية[٦٩] ويبدو أن الرهبان لم يكونوا يعرضون الجسد كله للزوار فقد كان ذلك تقديرا من جانبهم لاعتبارات العفة والفضيلة.

وبالنسبة لمسألة حمل الملائكة جسدها فنعتقد أن تفسيرها يرجع لأن غالبية كتاب العصور الوسطى الأولى كانوا يصفون العيشة الرهبانية بأنها عيشة ملائكية وحينما يعبرون عن إلباس أي شخص الزي الرهباني يقولون إنهم ألبسوه الزى الملائكي فالملائكة الذين نقلوا جسد هذه القديسة إنما كانوا نساكا من سكان البراري ثم أنزلوه لداخل الدير كما أسلفنا، وأن كان هناك إجماع من قبل المؤرخين على صعوبة تصديق أسطورة كاترين – ومع ذلك فعلم الدير الأبيض مكتوب عليه حرفي A.K، وهما الحرفان الأولان من اليونانية (أجيا كاترينا) [٧٠].

وفيما يختص بمسألة جنسية الدير فحين كان دير كاترين مـــصريا شـــاركتهم الحياة فيه أعداد من الجنسيات المختلفة أهمها اليونانيين (الأروام – الروم) ثم حـــدث الانشقاق الموجع نتيجة لمجمع خلقدونية المسكوني سنة ٤٥١م وكانت مصر في ذلك الوقت خاضعة لإمبراطور بيزنطة في القسطنطينية الذي بطـــش بأبنائهـــا لرفـــضهم قرارات هذا المجمع، وحينما وصل العرش للإمبراطور جستيان في القـــرن الـــسادس استولى على الدير وجعله خاصا باليونانيين وحدهم، ولذلك شاع بين الناس أن الدير والقديسة كاترينة يونانيين.

وعن أعياد الدير العديدة فأهم في يوم ٢٥ نوفمبر من كل عام حسب التقـــويم اليوناني واللاتيني يحيون ذكرى استشهاد كاترينة، حيث يجتمع الرهبان بصحبة رئيس الأساقفة، وبعد إتمام الخدمة يجوب الرهبان أركان الدير المختلفة حاملين تابوتين مـــن الذهب الأول به يد كاترينة ملفوفة في قطن طبي وتلمع الخواتم والأساور، والتابوت الثاني به جمجمة القديسة وخلال الموكب يغنون ترتيلات ويتوقفون في مواقف خاصة، ومساعدو الكهنة (الشمامسة) يحملون المباخر حيث يرسلون سحب مـــن العطـــر وجميع الحجاج من ورائهم يحملون شموع مضاءة [٧١] ويلاحظ أن الاحتفال بذكرى اكتشاف جسد القديسة في الثالث عشر مايو يقل أهميـــة عـــن احتفـــال الخـــامس والعشرين من نوفمبر.

ومن الطقوس الأخرى الملازمة لاحتفال الرهبان بعيد كـــاترين أنهـــم ليلتـــها يقطفون العنب الذي يبقونه على عرائشه داخل الدير حتى يأتي موعد العيد ويجعلونه حزما متساوية ويوزعونه على الحاضرين، وبعد أكل العنب يشربون الخمر الجيد، وفي عشية العيد ثم يفتحون صندوق القديسة ويقبل الزوار يدها اليسرى وهي مقطوعـــة من حد المفصل وكذلك جمجمتها ثم يلقى الزوار خواتمهم في الـــصندوق المـــذكور

بإصبع القديسة ويذهبون لمولاهم وتبقى الخواتم في الصندوق لمدة ثمانية أيـام إلى أن يأخذوها ثانية (٧٢)، وهناك العيد من الزوار الذين سجلوا لنا تلك الاحتفالات.

ويحتفل الرهبان في الثالث عشر من مارس من كل عام بعيد العثور على بقايا جسدها فوق الجبل مماثلا وفي كلتا المناسبتين يسمح الرهبان لزوار الدير أن يشتركوا في الصلاة وان يسيروا في الموكب وبيد كل منهم شمعة مضاءة(٧٣).

هذا وقد انتشرت ذكرى القديسة كاترينة في كل أنحاء أوروبا بعد ذلك حتى جرت العادة في مدينة روان بفرنسا أن يحتفل قسيسوها بإحياء ذكراها على نفـس الطريقة المتبعة آنذاك(٧٤)، ومن الأعياد الأخرى التي يحتفل بها الرهبان على مدار العام عيد سيدنا موسى في الثالث من الشهر السابع (سبتمبر) حيث يوزعون الطعام علـى البدو وغيرهم من الزوار (٧٥).

وفي التاسع عشر من شهر يناير من كل عام تقرع الأجراس في حدود الساعة الرابعة صباحًا في عيد Epiphany وهو عيد تخليد ذكرى تعميد المسيح(٧٦).هـذا وقد سجل St. Mark بداية الترتيل لهذا اليوم (الكرسماس) كعيد مسجل فيما بعد عند العرب(٧٧).

وفي اليوم السادس من شهر أغسطس من كل عام يحتفل بعيد التجلي، ويوجد في مكتبة الدير مخطوط يوناني مصور(٧٨) يضم صورة للتجلي كتبت عليها (موسـى يرى وجه الرب لأول مرة) ويعلق يوحنا ذهبي الفم (٧٩) على ذلك في تفسيره لإنجيل متى بقوله (إنه هنا تقابل العهد الجديد بالعهد القديم وموسى يمثل القانون بينما الـنبي إلياس يمثل الأنبياء).

وأول شيء يواجه الزائر حجرات من الرخام نقش عليهـا في سـتة أسـطر بالعربية واليونانية ما يلي (أنشأ طور سيناء وكنيسة جبل المناجاة الفقير لله الراجـي عفو مولاه الملك المهذب الرومي المذهب يوستينانوس تذكارا له ولزوجته تاوضـورة

على مرور الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وتم بناؤه بعد ثلاثين سنة من ملكه، ونصب له رئيسا اسمه ضولاس[٨٠] جرى ذلك سـنة ٦٠٢١ لآدم الموافق لتاريخ السيد المسيح سنة ٥٢٧[٨١].

وهناك بعض المؤرخين الذين يطعنون في صحة سنة البناء وسنة الانتهاء من الدير، فأحمد شفيق[٨٢] الذي زار الدير في أوائل القرن الماضي يرى أن تلك اللوحة وضعت على الأرجح في القرن الثاني أو الثالث عشر ولما كان حكم جستيان قد دام من سنة ٥٢٧ إلى سنة ٥٦٥م وبما أن الدير تم بناؤه وكما ذكر على اللوحة أعلاه أي بعد ثلاثين عام من حكمه فيكون ذلك سنة ٥٥٧م[٨٣].

ولكن مؤرخي الدير يرجحون بناء الدير حوالي سنة ٥٤٥م وذلك لاعتبارات شتى عندهم[٨٤] – ولقد جاء في الكتابات المنقوشة على حواشي السقف..

"في ذكرى إمبراطورنا التقى جستنيان وإمبراطورتنا لترقد روحها بسلام" ويرى بنتلى "أن الكنيسة قد شيدت في الفترة الواقعة بين وفاة الإمبراطورة سنة ٥٤٨ ووفاة الإمبراطور الذي توفي بعدها بسبعة عشر عاما".

ومما سبق يتضح لنا: أن اللوحة المكتوب عليها تاريخ بناء الدير غير مضبوطة التواريخ، فان تاريخ إنشاء الدير يكتب عادة عام ٥٣٩م وهي توافق ٦٠٣٢من ادم وسنة٥٢٧ والتي توافق ٦٠٣٥ وسنة٦٠٢١ من آدم والتي توافق ٥١٣م. وإذا ما أعدنا قراءة النص الموجود فوق باب الدير لاحظنا أن سنة ٥٢٧ هي السنة التي تولى فيها جستيان الملك فلا يمكن أن يكون قد تم بناء الدير في نفس العام، وهذا يرجح أن هذين الحجرين قد وضعا مؤخرا، ربما في القرن الثالث عشر الميلادي.

٣– وصف الدير ومحتوياته

إن الدير عبارة عن متحف حي من العصور الوسطى والحديثة يشتمل على كنوز من الفن الكنسي (الاكليركى) من مختلف العصور، وعليه فهو كنز حقيقي به

كافة إمكانيات العمل والبحث لكل من عالم الآثار ومؤرخ الفن المسيحي، والتاريخ الوثائقي بعامة، والدير من الداخل يبدو لأول وهلة ضخما صارما له كل خصائص المدينة الكاملة باستثناء عدم وجود النساء والأطفال.

إنه يشكل متاهة حقيقية، حيث أن كل بوصة أو شبر من الداخل مستقل بكل طاقته وتوجد أشكال عديدة غير منتظمة الشكل تشكل بلاطات صغيرة مقطوعة بحلقات من المباني والعديد من الطرق الضيقة التي تقود زوايا ضيقة في كل الاتجاهات، والبعض منها قد أنهار بفعل عوادي الزمن.

وهذا المجمع من المباني يغوص أحيانا لأسفل وفي أحيان أخرى يرتفع إلى اثنين أو ثلاث طوابق، وأحيانا تتداخل الحجرات والكنائس الصغيرة فتراها مبنية داخل الجدران الخارجية ونستطيع أن نرى النحت والنقوش في كثير من تلك الأماكن وهى تمثل أسماء الفرسان الذين زاروا الدير في العصور الوسطى والحديثة.

ولعلنا نكون على حق حين نستعير قول "فورستر" عندما رأى الدير أول مرة فصاح قائلا: (عندما دخلت ورفعت رأسي انتابتني الدهشة الشديدة ووقفت في (ماكيت) مدينة لها شوارع ضيقة ومرصوفة وممرات مغطاة ومبان بيضاء متراصة وظاهريا فان الأربعة عشر قرنا لم تغير الكثير من دير سانت كاترين، أن رؤية هذا الدير كأنها رؤية بيزنطة التي طواها التاريخ)[٨٥].

والدخول للدير يكون من خلال بوابة صغيرة عبر البوابة الثلاثية الثقيلة ذات المقابض الحديدية والمسامير الحديدية، وذاك يعود – غالبا – لغرض الدفاع في حالة الطوارئ، ويعد (صباغ) سبعة أبواب يجب أن يمر الزائر[٨٦] من خلالها وهى أربعة أبواب من الحديد وثلاثة من الخشب، ثم يترل من خلال سلم عريض مكون من اثنتي عشر درجة بآخرهم باب شاهق عظيم البناء وهو باب النرتكس (Narthex) وبعد المرور من خلاله توجد ثلاث أبواب من جهة المشرق وهى أبواب الكنيسة الكبرى،

وكان للدير في حائطه الغربي من جهة الشمال باب كبير بقنطرة سعتها سبعة أقــدام وهو باب الدير الأصلي ولكن المخاوف من العربان – خاصـــة في فتـــرة العـــصور الوسطى – دفعت الرهبان إلى سده بالحجارة وفتح باب ضيق في وسط هذا الحـــائط طوله نحو متر ونصف المتر وعرضه حوالي متر، وصفحوه بالحديد والمـــسامير، ويمـــر الداخل منه بدهليز ضيق طوله حوالي مترين فيأتي الزائر إلى باب آخر بحجم البـــاب الخارجي وفي متانته كذلك وهو يفتح للشمال ومن ثم يؤدى إلى داخل الـــدير، وفي فترة الحكم العثماني لمصر أمر السلطان العثماني (سليمان الأول)– بناء على طلـــب الرهبان – أن يظل هذا الباب مغلقا حتى لا يدلف منه العربـــان إلى داخـــل الـــدير وبالتالي يتعرضون للدير(٨٧).

وفى سنة ١٨٨٠م أضافوا بابا ثالثا(٨٨) تعلوه الكتابات التي تحدثنا عنها سابقا، وللدير كوة من أعلى الحائط مستورة بقفص من خشب اسماها شقير (الباب المعلـــق) وبجانبها لولب كبير من الخشب لف علية حبل متين يعرف بالدوار ترفع به الأثقـــال من خارج الدير حاليا وفي زمن الاضطرابات كان يرفع به الزوار، وفي بعض الفترات كان الفترات كان الزوار يدلفون داخل الدير عن طريق نفق يبلغ طوله حوالي ثلاثين قدما فوق سطح الأرض في الجانب الشمالي الشرقي.

والآن يدخل الزوار عن طريق بوابات كبيرة تقود للفناء في الجانب الـــشمالي الفرعي، ومن ثم يدخلون الكنيسة والمكتبة عن طريق باب منخفض(٨٩).

وقد لاحظت السيدة دبسون (Dobson) وجود رسومات للصليب والهلال على الأقفال الجرانيتية، ويبدو أنها تفردت بذكر هذه الملاحظة(٩٠).

وفى الفترة من سنة ١٦٠٠م حتى سنة ١٨٩٠م كانت وسيلة الدخول للدير اله أو رافعة ترفع الزوار نحو الدير، وعندما يدخل الزائرون يسرع المرافقـــون مـــن البدو أمامهم عند المترل المظلم (The Pent House) صائحين نحو الباب الـــذي

يتدلى بواسطة حبل به سلسلة صغيرة لسحب أو جر الزائر كما يفعلون الآن في جر (بالات) البضائع القادمة للدير[٩١].

ويشعر الزائر وهو داخل الدير بعدم انتظام سطح الأرض التي أقيم فوقها، وسقوفه مسطحة في كل مكان تقريبا وشرفاته متصلة بعضها البعض عن طريق أدراج حجرية بحيث يمكن الانتقال من شرفة لأخرى مجاوره وتسود القناطر فوق الأزقة، ومن الجهة المشمسة للأسوار تنمو الكرمة التي تعرش غالبا على هيئة أنسجة عنكبوت خضراء فاقعة ممتدة عبر الأزقة [٩٢]. أما ضواحي الدير فهي قمم جبال موسى، الصفصافة، المناجاة، كاترينا الضريح والكنيسة.

وتوجد زاويتان لضيوف، وزوار الدير الغربية وهى الأقدم، والأخرى موجودة في الجنوب، وعبر الجدار الغربي يوجد صف طويل من ست حجرات للنوم وحجرة طعام ومطبخ وصالة استقبال، والزاوية الثانية بها خمس عشر حجرة للنوم كبيرة وصالتين للطعام وحجرة استقبال ومطبخ، وحجرات النوم تختلف في مساحتها، فواحدة يوجد بها سرير وأحد وأخرى بها من اثنين إلى ثلاثة أو سبعة أسرة على التوالي.

وتكفى حجرات الدير لمبيت نحو مائة زائر ومقيم أثناء العصر العثماني،ويوجد بكل غرفة منضدة يوضع عليها إبريق أو حوض لغسل الوجه واليدين وإبريق من القصدير وكرسيان وسجادة ومرآة وفوق كل سرير وسادتان وبطانيتان. وبالنسبة لحجرة الاستقبال فهي مؤثثة بأثاث جميل، حيث توجد نسخة من تنظيمات الدير مكتوبة بأربع لغات: وهى العربية والفرنسية والانجليزية واليونانية. ويوجد راهب بصفة دائمة ليكون مسئولا عن الزوار[٩٣].

هذا وقد بنيت على طول الواجهة الداخلية للدير صوامع الرهبان وأبنية أخرى متفرقة، كما يوجد داخل السور حوالي اثني عشرة بيعة بنيت على شكل

أقواس وقباب من أجل تسوية الأرض الوعرة شيدت فوقها تلك الصوامع وبعـض الكنائس الصغيرة وهي عبارة عن عشرين قبة وأربعين قوسا، جميعها شيدت داخـل هذا البرج التاريخي[٩٤].

وبالنسبة لصوامع الرهبان فتكاد تتشابه من ناحية الشكل، لأنها عبـارة عـن حجرات صغيرة نظيفة، وتوجد صور صغيرة دينية معلقة على الجدران، بعض الكتب القليلة على المكتب والمنضدة أو الرف، وبكل حجرة سرير بسيط وكرسي وموقـد وأطباق وأكواب وقدر الشاي [٩٥].

وحجرة الطعام ليست بعيدة عن المكتبة وبنيت من الحجر، وبداخلها مـذبح صغير، والجدران مزدانة باللوحات الجصية الحديثة، وتوجد مائدة كبيرة تاريخها مـن تاريخ أبواب الكنيسة وهي منحوتة من الخشب على طـراز النهـضة (روكوكـو) صنعت في القرن السابع عشر بجزيرة كركيرا، وكان المتوحـدون قـديما يتنـاولون طعامهم عليها وعلى رأسهم رئيس الأساقفة.

وتلك الحجرة تشبه كنيسة ذات أربعة جوانب، وسقفها ذو أقواس حـادة في القمة على الطراز القوطي، ويوجد عليها كتابات إفرنجية وشعارات عائلية [٩٦] كما اعتاد الرهبان في تلك الحجرة أن يغسلوا أقدام الحجاج، وهي طقوس لم تعد تمـارس الآن.

وبالدير بعض الأسلحة التي تركها الفرسان الزوار خلال الحروب الـصليبية وتاريخها يرجع لزمن الحملة الصليبية الثالثة، كما توجد بجوار السور فتحات بداخلها استحكامات بارزة ذات زوايا أربعة تحمل كوات تغطى قطعا صغيرة مـن الـسلاح تطلق قذائف من زنة الرطلين، لكن هذه المدافع لم تطلق أبدا إلا لكي تحدث ضجيجا في الجبل.

وترسانة الدير تحتوى على أسلحة صغيرة وبنادق ذات محاور اضطر الرهبان لاستخدامها في بعض الأحيان ضد البدو والمغيرين على حديقة الدير الخارجية المحيطة بها جدران أقل انخفاضا وصلابة من جدران الدير الحصن، ويعتقد البعض أن تلك الأسلحة ترجع إلى زمن الغزو العثماني لمصر سنة ١٥١٧م وان السلطان سليم الأول جلب هذه المدافع والبنادق لحماية الدير، وكان للسور بوابة كبيرة مدرعة بالرصاص والصلب ثم رؤى أنها لا تحمى الدير على أكمل وجه فاستبدلوها بالأبواب الثلاث السابق ذكرها، وكان هناك مدفعان يتصدران باب الدير [٩٧] وفي سنة ١٨٧١م بنى المتوحد " غريقوريوس" المنوط بحفظ الأواني المقدسة على نفقته الخاصة(الجرسية) والتي هي عبارة عن اثني عشر جرسا من أحجام مختلفة كان قد أهداها قياصرة روسيا للدير، وأيضا جرس خشبي آخر أقدم من الأجراس المعدنية يقرع عند صلاة العصر وصلاة السحر يوميا [٩٨].

وبداخل الدير الشمعدانات المعلقة والتي تفي بغرض الرؤية ليلا أو إثناء النهار المعتم خاصة في فصل الشتاء.[٩٩]

ومن الكنوز التي لا تقدر بثمن في الدير معرض الإيقونات والموسم الذي يتم فيه عرض لحو مائة وخمسين أيقونة مختلفة ومختارة من مجموعة تضم حوالي ألفي أيقونة ذات قيمة روحية وتاريخية وفنية.

ومن بينها أيقونات نادرة الوجود صنعت في القرن السادس الميلادي عن طريق الشمع المذاب (كيروخيطوس) ويعود عهد قسم من المجموعة لأوائل العصر البيزنطي (القرن السادس- القرن العاشر) وفنها ممزوج بالفن اليوناني الجيورجياني والسرياني والقبطي، كما يعود تاريخ قسم كبير منها للقرون من الحادي عشر حتى الخامس عشر الميلاديين.

وتتمثل المدرسة الكريتية التي أسسها دير سيناء في (ارا) في القرن الــسادس عشر بعدد كبير من الإيقونات ذات المصدر الغربي، أحداها اسبانية للقديسة كاترينا على طراز الفن القوطي، ويرجع عهدها للقرن الرابع عشر، وهي محفوظة في كنيسة الدير الرئيسية(١٠١) وغيرها الكثير من الكنوز التي يحويها الدير، ومن ملحقات الدير التي يبلغ عددها أكثر من مائة وخمسين عينا ما بين مخزن وغرف للــسكنى ومنــافع مختلفة فيوجد داخل سور الدير طاحونتان تعملان ليلا ونهارا لطحن القمح بواســطة البغال، وبجوارهما منخل ومحل لغسيل القمح، ويوجد فرنان كبيران للخبز يقــال إن الواحد منهما يسع حوالي ثمانمائة رغيف كبير من الخبز المصنوع لإطعــام الرهبــان والعربان معا، وكان الخبز نوعان: نوع أرغفته كبيرة من طحين متحــول ونظيــف للزوار والرهبان، والنوع الآخر أرغفته صغيرة مستديرة تصنع من طحين غير متحول بشكل جيد وتوزع على خدم الدير والعربان

وتوجد بالدير معصرة من الحديد تشبه مكبس عصر الزيتون بعد هرسه علــى مهرسة تشبه طواحين الجبس المستعملة في مصر، حيث تدار المعصرة بالأيــدي(١٠٢) وتقترب في شكلها من معاصر سيوة المصنوعة من الخشب

ويتم تزويد الدير بالماء عن طريق ثلاث عيون وآبار داخل الدير وهي كالآتي:

١- عين موسى شمال الكنيسة (Well of Moses) وهي موجودة قبل وجود الدير نفسه وتزود الدير بالماء النقي الجاري والبــارد للشرب ويرفع ماءها بواسطة مضخة وضعت في بداية القرن.

٢- عين الشجرة المحترقة (Well of Burning Bush) وهــي أعمق من عين موسى وكان الرهبان يسقون منها الشجرة المحترقة قديما.

٣- عين سانت استيفانوس (The Well of Stephanos) تقع في القطاع الجنوبي الغربي للكنيسة وجاءت تسميتها تلك نسبة للمهندس المسئول عن بناء الدير، حيث تم حفر البئر للتزود بالماء خلال فترة البناء.

وفى الصالة الأمامية يوجد حمام رخامي يحتوى على ماء مقدس ليشرب الرهبان كوبا منه قبل الدخول إلى الكنيسة الكبيرة.

كما يخترق الحديقة جدول تجرى فيه المياه بصفة دائمة، حتى ولو لم تسقط الأمطار لمدة عام كامل، يظل جاريا مليئا بالمياه بعمق يبلغ ثلاث بوصات رغم نضوب معظم العيون الأخرى لقلة أو انعدام المطر(١٠٣).

ويوجد بداخل البستان مقبرة الدير أو الكميتريون أو المعظمة بمعبدها الصغير المسمى باسم القديس تريفنى، إذ أن المتوحدين المتوفين كانوا يدفنون في مقبرة ثم تنقل عظامهم فيما بعد – وأجسامهم في بعض الأحيان – إلى مخبأ العظام تحت المعبد، وتعود تلك العادة إلى وقت تأسيس الدير، وربما كان ذلك – اعتمادا على حديث أحد الرهبان في الدير – لأن التراب هناك قليل العمق ومن ثم يصعب إقامة قبور دائمة

ولأن أرض الدير صخرية ويصعب أن يحفر فيها كثير من المقابر فاكتفوا بقبرين يدفنون فيها، وهى تقع خارج الجدران في الجانب الشمالي الغربي حيث يوجد مبنى أبيض يتكون من حجرتين هما جماجم وعظام الرهبان، ويوجد في أحدى الحجرتين عظام الأساقفة ورؤساء الأساقفة المتنحين والمتوفين، وهم إما حصلوا على تقديس مميز أو منهم من عانى واستشهد، وقد رتبت هياكلهم في صناديق وكتبت أسماؤهم على قطع من الورق أو المعدن، ويوجد في أحد الصناديق هيكل أميرين من الهند مع درع أوراق يقال إنهم كانوا يرتدونه أثناء الفترة التي قضوها كنساك فوق جبل موسى(١٠٥)

أما الحجرة الأخرى يوجد بها عظام الإخوة الأكثر علوا حيث رصوا كـــومتين الأولى للجماجم والثانية لعظام الأذرع من الأرض وحتى السقف.

كما توجد كومة أخرى من الأيدي والأرجل، وتوجد سلسلة مصنوعة مـــن المسامير الحديدية وتزن حوالي خمسة عشر رطلا حيث تربطهم في المـــوت كمـــا في الحياة، وتوجد أسواط جلدية داخل هذه الحجرة، وعناقيد حديدية وصواني وغيرهـــا كتذكار للأيام الخوالي التي كانت فترة يكثر فيها النساك. ويوجد في أركان الحجـــرة رفات القديس استيفان (st.stephan) (١٠٧). الحمال أو البواب وعكازه مازال في يده مقاما كما كان يجلس وهو حي منذ أكثر من ألـــف ســـنة مـــضت وفي أثنـــاء وجود(صباغ) في الدير سنة ١٧٣٥م رأى رئيس الدير يحضر معه من كريت جسده سلفه الأسقف(بنيكفوروس أو نيكيفوروس) ووصف بالتفصيل كيفية دفنه حـــسب الطقوس الأرثوذكسية اليونانية كما وجد حوالي ثمانية صناديق تحتوى على أجـــساد الرؤساء السابقين للدير، وعلى كل صندوق اسم الرئيس الموضوع فيه، كما يوجـــد صندوق يحتوى على أعضاء لثلاث نساك من أبناء الملوك الذين تنسكوا ومـــاتوا في الدير(١٠٨) ويتابع (أفرام) في وصفه للكمينتر أو الكويمتاريون حيث إنـــه يوجـــد–في الأصل–بأسفل المكان كنيستين يقدسون فيها كل يوم سبت (١٠٩). وأهـــم الرفـــات المحفوظة في الدير لبعض المطارنة(رفات المطران حنا ينا) الذي سعى ليكون بطريكـــا للآستانة ولم يفلح وتوفى سنة ١٦٦٨م، ورفات المطران قسطنديوس الثاني الذي صار بطريكا في الآستانة ومات سنة١٨٥٩م، ورفات المطران كـــالتراتس المتـــوفى ســـنة ١٨٨٥م، ورفات المطران بوفيريوس الأول(١١٠).

أما أهم المزارات الثلاث داخل الدير فهي كنيـــسة العليقـــة، والبازيليكـــا، والجامع.

وبالنسبة للأولى فقد تعددت أسماؤها فهي كنيسة العليقة، أو هيكل عليقة موسى أو كنيسة الضامنة أو كنيسة العذراء، وتقع في نهاية شرق الكنيسة الخارجية وفي مستوى منخفض عن الكنيسة الكبيرة تقف كنيسة الشجرة المحترقة[١١١] حيث تعتبر وأحدة من أقدس المزارات الدينية في الدير، وهيكلها محلى بالرخام المجزع المتناسق في الشكل والدقيق في صنعه، وفي جانبي الهيكل صور للأنبياء والرسل قبل موسى وبعده، مثل إيليا وصالح وهود وشعيب وداود وسليمان ويعقوب الرسول ومار يوسف ويوشع وجميعها بالفسيفساء. وبجانب الهيكل على يسار الداخل من الباب الشمالي توجد رخامة تدل على أن هناك قبرا للقديس "افتيموس" بطريرك أورشليم القدس المتوفى سنة١٧٢٢م، ويبلغ مسطح هذا المكان ثلاثة أمتار ونصف المتر عرضا من الشرق للغرب، وخمسة أمتار طولا من الشمال إلى الجنوب، وهو مفروش بالطنافس الفارسية وجدرانه منقوشة بالقيشاني على ارتفاع متر ونصف مزينة بنوع من الرخام الجميل يقال إنه أتى به من افسوس ببلاد الأناضول [١١٢].

والمكان الذي به الشجرة مؤكل بطبق من الفضة الخالصة، والإضاءة تظل مشرقة، وجذور الشجرة انتقلت لخارج الكنيسة، وتم حمايتها بعناية من خلال سياج خارج الكنيسة، وقد كرست هذه الكنيسة لبشارة السيدة العذراء، وتقام خدمة القداس الأهلي في الكنيسة كل يوم سبت عدا السبت الكبير.ويحفظ هيكل كنيسة العليقة الكثير من بقايا أجساد القديسين مثل جمجمة القديس يوحنا ذهبي الفم، وذراع القديس باسيليوس والفك الأسفل للقديس جريجورى من نيسا (Nysse)[١١٣].

وكنيسة الشجرة المحترقة تعتبر أقدم جزء من المبنى في ظهر الدير، وترى السيدة "دبسون" أن رفات القديسة كاترينة محفوظة في تلك الكنيسة[١١٤] وهذا القول ينافى الحقيقة بطبيعة الحال، هذا وفي قمة جبل المناجاة شرقي الدير نافذة طبيعية، ففي صباح الثالث والعشرين من شهر مارس من كل عام تدخل الشمس من

هذه النافذة، فطاقة الكنيسة في أن وأحد، ومن ثم تنير العليقة ٠هذا ويوجد بالكنيسة مبنى من الخشب عليه اسم واقف المنبر وتاريخه هكذا: " وقف الفقير إبراهيم ســعد الحلبي لدير طور سيناء المعمور سنة ١٧١٣م "

كما توجد أيضا داخل الكنيسة عدة أيقونات جميلة الصنع، وهى رسم لكاهن من كريت يدعى " انتيموس " رسمها سنة ١٧٦٠م[١١٥].

وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن المزار الثاني الهام نجد أن أسماءه متعــددة هــي الأخرى منها الكنيسة الكبيرة أو كنيسة الاستحالة أو كنيسة التجلي أو الكاتدرائية أو البازيليقا (البازيليكا Basilica) والكنيسة خالدة بشكلها وحجمها وقوتها. إنها كنيسة بيزنطية في الصحراء ولم تتعرض للدمار أبدا وهي واحدة مــن أروع وأغــنى الكنائس البيزنطية في العالم وتنسب للإمبراطور جستيان، ولكننا إذا عــدنا لتطبيــق الأحداث التاريخية المتلاحقة سنجد أنها بدأت على عهد الإمبراطورة هيلانة، وفي سنة ١٥٣٠ تم توسيع الكنيسة لشكلها الحالي، ويتم الوصول إلى الباب الخلفي للكنيسة بعد نزول خمس عشرة درجة من درجات السلم أسفل الدير.

ويوجد اهتمام خاص بالنحت الغليظ عليها بالصلبان وأشكال الطيور وأشجار البلح وغيرها محفورة في لوحات نحتت بواسطة الفرسان الزائــرين أيــام الحــروب الصليبية[١١٦] وطولها حوالي ٣٨,٤٠ مترا وعرضها ١٩,٢٠ مترا ومتوسط علــو جدرانها عدا السقف والقبة خمسة أمتار، وهى مقسمة لثلاثة أجنحة وبها صفان مــن الأعمدة سبع في كل صف، وفي النهاية الشرقية للجناح الأوسط يوجد جزء ناشــئ نصف دائري في القبو مصنوع من الموزاييك (الفسيفساء) ونهايــة مغلفــة بجــدران مباشرة، ومن خلالها تقودنا الأبواب إلى كنيستين صغيرتين في الشمال، حيث توجــد كنيسة الآباء المقدسين، وفي الجنوب توجد كنيسة سان جون (St. John) ٠ ومن خلال أي من الكنيستين نستطيع أن نصل إلى كنيسة الشجرة المحترقــة، وأرضــية

الكنيسة ممهدة بأنواع مختلفة من الرخام والسقف الذي يظهر من داخل الكنيسة، والذي يحجب الكتل الخشبية والسقف الخارجي لعله أقدم سقف خشبي في العالم ما يزال قائما فى موضعه منذ إقامته لاشك أن الجفاف التام ووقوع الدير كله في بقعة نائية كان لهما الفضل الأكبر في المحافظة عليه وعلى النقوش الرائعة الموجودة على كتلته الضخمة، فهو سقف من الخشب ومطلي باللون اللازوردى (الأزرق السماوي) ومبقع بالنجوم الذهبية(١١٧).

أما الأعمدة البيزنطية فهي من الجرانيت ومحلاه بتيجان جيدة التصميم، بحيث لا يوجد منها اثنان متشابهان وتلك الأعمدة صليب صغير معدني داخل العمود، ويقال إن كل عمود بداخلة رفات شهيد وأحد لكل شهر من شهور السنة (١١٨) وتوجد المقاعد الخشبية البسيطة بين الأعمدة التي تخص الرهبان والعروش المحفورة الخاصة بالأساقفة أو المطارنة.

وتوجد خمسة شبابيك بيزنطية في كل جانب من الجدران يدخل منها الضوء للكنيسة، الجدران مغطاة بعدد من الإيقونات واللوحات الزيتية، ويقف مذبح الكنيسة عاليا جهة الشرق أسفل قمة مزخرفة بالموزاييك ذات قيمة كبيرة نفذت بواسطة الفنانين الأوروبيين مع بداية القرن السابع الميلادي والفسيفساء تمثل الشكل الخارجي والصور فيها كما يلي:

في الوسط صورة السيد المسيح، وفي اليمين صورة إلياس (Elias) وعلى اليسار موسى، كما يرقد بطرس (Peter) أسفل قدمه وجون (John) يركعون على كل من الجانبين وحولهم يوجد تماثيل للرسل والقديسين كل باسمه باللغة اليونانية، كما توجد إشكال للطيور مع تصوير غريب لطائر الدودو(١١٩).

وفى نهاية المذبح على اليمين يوجد قبر رخامي أجوف مرتكز على أربعة أعمدة بيزنطية من الرخام، ويحوى هذا القبر تابوتين من الذهب بهما رفات القديسة كاترينا [١٢٠].

ويرى فورستر نقلا عن الرحالة " بوكوك " أنه رأى كمرات أعلى الكنيسة تحمل كتابة (في شرف جستيان والامبراطورة تيودورا) كما أكد رحالة آخرون ذلك، ولكنهم أعطوا قراءات مختلفة وإن اتفق الجميع على أن هذه الكتابة مخفية خلف سقف الكنيسة، وقد تساءل فورستر عما إذا كانت الكمرات محفوظة من بناء سابق محطم الآن، ويجيب بأن الصورة أظهرت مبنى له سقف مائل، ويفترض فورستر أن تكون أحد كنائس القرن السادس محفوظة في هذا المكان، ويصل من خلال دراساته العديدة حول الكنيسة إلى أنها هي الكنيسة الأصلية، وأنها قد بنيت ما بين عامي ٥٤٨ م و ٥٦٥ م[١٢١] ويرى أنه باستثناء كنيسة أيا صوفيا في استانبول، فان كنيسة كاترين تعد أفضل كنيسة محفوظة في العالم من بين الكنائس العديدة التي شيدها جستنيان وتضم الكنيسة بعض عناصر فنية ذات تأثيرات إسلامية تتمثل في الأبواب الخشبية وعقدين بالجدار الأيسر من مصلى (سان جاك) وشمعدانين من الطراز الإسلامي محفوظين في مصلى (سان انتين) وكذلك بلاطات من الفسيفساء بأرضية الكنيسة، كما يرجع عمر باب الكنيسة للعصر الفاطمي، بالإضافة إلى العديد من النقوش العربية محفورة على الحجر والفسيفساء وببعض الإيقونات المقدسة كتابات عربية مثل أيقونتين محفوظتين بداخل الكنيسة الأولى كانت تزين مصلى موسى، على جبل موسى ونص النقش يقول: (يا ناظر الله أعطى منك مغفرة لاصطفان الذي صور محاسنكما)[١٢٢].

ويلاحظ أن الصلبان التي بداخل الكنيسة تأخذ الشكل اليوناني للصليب المتساوي الأذرع كل صليب في دائرة منحوتة، ومنها أيضا ما يأخذ الشكل اللاتيني

حيث الذراع السفلى تكون أطول من غيرها والصليب كله داخل مثلث، وقد بنيت الكنيسة على الطراز البازيليكى في مرحلته الأولى، والذي هو طراز معماري نادر في عصرنا الحديث لأن معظم تلك المباني من هذا النوع لم تبق على حالها ولا يوجد سوى القليل في العالم من هذا النوع[١٢٣].

على أن المهم في الكنيسة الكبرى – كما أوضحنا – مجموعة الإيقونات الشمعية التي يرجع معظمها إلى العصر البيزنطي، ويقال إن من أهمها حوالي أربعين أيقونة لا يوجد لها مثيل في العالم. وقد شاهد أحمد شفيق أحد الشمعدانات الموجودة بالكنيسة منقوش عليها تاريخ ١٧١٩م.

وتوجد كنائس صغيرة Chuppls تتوزع في نواحي الدير المختلفة، فيوجد بداخل الكنيسة المقدسة ست كنائس صغيرة تقع وراء الأعمدة الثلاثة ومثلهم في اليسار والكنيسة الأولى من ناحية اليمين مكرسة على اسم القديسين (قزما وضميانس) " دميانوس " والكنيسة الثانية على اسم القديس (سمعان العجائبى) " العمودي" والثالثة للقديس " يواقيم وحنة " كما توجد على كنيسة العليقة كنيسة " يوحنا المعمدان " وعلى شمالها كنيسة" يعقوب الرسول"[١٢٤] أما الثلاث كنائس التي على يسار الكنيسة الكبيرة فالأولى كرست على اسم القديسة(أيرين)، والثانية على اسم الملوك القديسين قسطنطين وهيلانة، والثالثة باسم القديس الأسقف انتيبا.كما توجد كنائس أخرى منها كنيسة القديس اسطفانوس أول الشهداء ورئيس الشمامسة، وكنيسة يوحنا، وكنيسة سرجيوس وبكخس، وكنيسة على اسم قديس الرب هارون أخو موسى النبي، وكنيسة تاودورس، وكنيسة على اسم ميلاد السيدة العذراء، وأخرى على اسم الرسل، وكنيسة على اسم القديس مارجاجيوس، وكنيسة على اسم القديسة كاترينة برسم زوار الإفرنج، وكنيسة على اسم يوحنا المتكلم في اللاهوت، وكنيسة على اسم الخمسة أقمار الشهداء اقتطينوس ورفقته[١٢٥]، وكنيسة على اسم السيدة، وهى أول كنيسة عمرت في الدير المقدس، لأنها تسمى

كنيسة القيصر أو كنيسة يستيفانوس، وبحسب وقت زيارة افرام للدير نجده يعدد نحو سبع وعشرين كنيسة داخل الدير، وإن كـان صـباغ يعـددهم بحـوالي خمـسة وعشرين[١٢٦] كنيسة ومن أسماء الكنائس الأخرى داخل الدير كنيسة مار إليـاس، ومريم المصرية، والبشع النبي، والقديسة " مارينا ".

كما توجد عدة كنائس صغيرة متناثرة خارج أسوار الـدير فـوق الجبـال المتلاصقة للدير، وقد جاء ذكرهم في عدة مصادر دينية وتاريخية مثل كنيسة السيدة الايكوتومو " النبي موسى، والتجلي في حوريب ويوحنا السابق والقديـسة حنـة " بندليمون " وزونا " امفروسيوس " والرسل، وقزما ودميانوس واليشاع ومجمـوعهم اثنتي عشر كنيسة تقع خارج الدير، وقد كانوا بأمره الدير في زمن الحكم العثمـاني لمصر[١٢٧].

وإذا انتقلنا للمسجد[١٢٨] وجدناه يقع بجوار الكاتدرائية بالقرب مـن بـرج كنيستها من الجهة الغربية البحرية على مسافة تقرب من الثلاثة أمتار[١٢٩]، كما تعلو أرضه عن ارض الكنيسة بنحو خمسة عشر مترا [١٣٠] ومع ذلك فمنارته أقل ارتفاعا من برج الكنيسة، ومن المتواتر أن المسجد قد بنى فيما بين عامي ١١٠١ و١١٠٦ م بأمر من أبي على المنصور انوشتكين (٤٩٥-٥٢٤ /١١٠١-١١٣١ م)، وزيـر الخليفة الآمر[١٣١] الذي عز عليه أن يرى البدو المسلمين الذين كانوا يسكنون شـبة الجزيرة السينائية، كانت كثرتهم تدين بالطاعة للدير من دون محل لائق للعبادة فشيد هذا المسجد. بالإضافة لمسجدين آخرين في"وادي فيران " وثلاثة فوق جبل موسـى وعند حصن الساحل بجوار "آيلة"[١٣٢].

وهناك من يرى أن بناء هذا المسجد في تلك البقعة من سيناء كان من أجـل الحجاج المسلمين المتجهين في طريقهم للحجاز عبر الوادي المقدس[١٣٣].

والأمر الذي تجدر الإشارة إليه أن الجامع قد شيد خلال القرن الحادي عشر في وقت كان فيه الرهبان يتعرضون لخطر كبير، إذ كان الخليفة الحاكم قد أمر بهدم المؤسسات المسيحية سنة ١٠٩٠م، وهو تاريخ اغتيال البطريرك يوحنا الاثيني على يد المسلمين.

وأيا ما كان الأمر، فقد أحسن الخليفة الأمر إلى الرهبان فعندما أمر ببناء هذا المسجد لم يتعرض لمباني الدير الأخرى، بل بناه بجوار كنيسة التجلي، ويسمى هذا المسجد عند البعض بالمسجد الفاطمي، ويعرف أيضا في أوراق الدير بالمسجد العمري لاعتقادهم أنه بنى على عهد الوالي عمرو بن العاص، والصحيح أنه نسبة للآمر ومن ثم حرف إلى " العمري " كما أنه من تقاليد الرهبان التصريح بالخطأ: أنه بنى على عهد الحاكم بأمر الله (٣٣٦- ٤١١ ﻫ / ٩٩٦-١٠٢١م)[١٣٤] وإن كنا نعتقد أنهم قد خلطوا بين الحاكم بأمر الله والآمر بأحكام الله . وقد شيد المسجد زمن " الأنبا زخاريا " الذي عينه الآمر أسقفا للدير بموجب المنشور الصادر سنة ١١٠٣م[١٣٥].

ويبلغ المسطح الداخلي للمسجد: طول الضلع الشرقي ٧,١٧م والضلع البحري ١٥,٤٣م والغربي ٧,٤٠م والقبلي ١٠,١٢م وله ثلاث نوافذ طول كل منها متر ونصف المتر وعرضها نحو المتر وهى مفتوحة في مواجهة الباب.

والمسجد له منارة منفصلة عنه تبعد مسافة مترين وتحتوى على ٣٦ درجة ويبلغ طولها نحو ١١مترا إلى الدرج الذي يقف عليه المؤذن، والمسجد مبنى من حجر الجرانيت والطوب النيىء، كما أنه على شكل حجرة واحدة لا يزيد اتساعها عن ١٠,٧ أمتار، ويحمل سقفه عمودان. وعموما فالمسجد من الناحية العمرانية والجمالية بناء ساذج بسيط للغاية[١٣٦] أما أهم ما يحتويه من آثار تاريخية فهو المنبر، وكرسي الشمعدان، وكرسي المصحف اللذان صنعا بمصر سنة ١١٠٦م ويبلغ طول المنبر

مترين وسبعة وأربعين سنتيمترا وارتفاع بابه نحو المترين واثنين وســتين ســنتيمترا، ومدخله على شكل نصف دائري مدبب الرأس وتوجد لوحة خشبية تتضمن كتابة في ستة اسطر بالخط الكوفي[١٣٧].

أما الكرسي على شكل هرم مقطوع نقش على جوانبه سطران بالخط الكوفي أيضا، سطر من أعلى وسطر من أسفل وفيهما اسم باني المسجد وما له في سيناء من مآثر[١٣٨]، كما يوجد في محراب المسجد من المرمر الصقيل مدون عليه بعض أسمــاء الزوار المسلمين[١٣٩] والكتابات المسجلة بالحبر الأحمر على محراب المسجد مكتوبــة بالخط الثلث[١٤٠].

ويقوم على خدمة المسجد جماعة يقال لهم " الخوجات " وهم من قبيلة صغيرة تدعى " الوزنة" التي هي أحدى بدنات قبيلة " أولاد سعيد " من قبائل الطور، بدنــة الرزنة هذه تتناوب خدمة المسجد من عهد طويل وعربان الرزنة ليسوا أصــلا مــن عرب أولاد سعيد بل هم أغراب ولكنهم لجئوا إليهم بالأخوة، وإن ذهــب بعــض المؤرخين إلى إرجاع أصلهم إلى مصر، وأن أجدادهم كانوا قد أرسلوا خصيصا لخدمة المسجد ثم تناسلوا بين البدو المحيطين والتجئوا إلى قبيلة كبيرة شأن القبائل المستضعفة، ويحتمل أن يكون اسم " الرزنة " تحريفا للاسم القديم "راتانو" أو " رازانوا" وهــؤلاء الخوجات يتناوبون خدمة المسجد أسبوعيا وللخوجة مرتب شــهري يتــضاعف في رمضان وله أيضا محل للنوم بالدير.

وتشير بعض الوثائق إلى هؤلاء " السدنة " و" الخدام " الذين كانوا يلقون من رعاية الدولة مثلما يلقى الرهبان، وتحكى أحداها أنهم تعرضوا لبعض المضايقات ممن لاينتمون للدير بصلة، فلما علم المسئولون بالأمر أصدروا أمــرهم (لاغــات قلعــة الطور) — قائد الحامية العسكرية — بالعمل بكل الشدة والحزم على وضع حد لتلك المضايقات وإرجاع الأمور إلى ما كانت عليه من هدوء وسلام.

وكثيرا ما نجد في وثائق الدير أشارات لقيام الرهبان بترميم المسجد وإصلاحه أكثر من مرة تبرعا منهم وذلك بعد صدور الإذن لهم بهذا[١٤١]، وكـذلك مرسـوم السلطان إينال (١٤٥٣- ١٤٦٥ م) أن الرهبان يقيموا مؤذنا للمسجد على جارى عادهم[١٤٢]، وفي مرسوم " السلطان قايتباي" ١٤٦٨- ١٤٩٦م اوجـب علـى الرهبان أن يقدموا للمسجد كل ما يحتاجه من زيت الوقود وإنارة وتنظيف المسجد، ومئونة المؤذن، هذا بالإضافة إلى إقامة مؤذن جديد كلما مات المؤذن ويقوم المـؤذن بدوره بحماية الرهبان[١٤٣].

وبالرغم من ذلك تشير بعض الوثائق على الوشاية والتعريض بالرهبان عنـد الحكام بسبب المسجد، بزعم ألهم يحتسون الخمر بداخله، كما اقموا بـسد بـاب المسجد إلى خارج الدير حتى يحجبوا المسلمين عن الصلاة بداخله.

وبالمقابل وجدت وثائق تؤكد نصرة الرهبان للمـسجد ورعايتـه لخدامـه وزواره[١٤٤] وتشير أحدى الوثائق[١٤٥] إلى حدوث خلاف بين رهبان الدير وسيدي محمد بن الشيخ عمر الذكور، مستحفظان قلعة الطور، والناظر على المسجد الكائن بالقلعة، حول وجود بعض النخيل الموقوف على المسجد داخل بساتين الدير، وأراد المدعى أن يلزم الرهبان بتعهد ثمار تلك النخيل بالنظافة والحراسة، فأنكر رهبان الدير هذا الأمر، وطلبوا المدعى بإثبات ذلك، فلم يستطع ومن ثم صدر الحكم في صـالح الرهبان بموجب حجة شرعية، ويدل هذا الحكم على العدالة والبعد عن التعصب.

كما أصدر السلطان سليمان الأول أوامره إلى نائب الشرع بالطور والإدارة بمنع النواب من الاعتداء على الدير ومحتوياته وخاصـة (المـسجد الـداخل مـن الدير)[١٤٦] وتتوالى الفرمانات السلطانية للمحافظة على مسجد الدير، فهناك فرمان صادر في عهد السلطان مراد الثالث وموجه إلى ذوات الجهات السابقة لمنـع أحـد مشايخ العربان ويدعى أبو بكر من هدم المسجد وبناء مسجد آخر مكانـه — هـذا

بالإضافة إلى اعتدائه على الرهبان وأمر السلطان بالإبقاء على المسجد وتعميره[١٤٧] وبمرور الزمن خلا المسجد من المصلين والزوار ونالــه الإهمـــال، ويقـــول الأب " مستيرمان " أن العرب هجروا المسجد منذ سنين طويلة، وان احتفظ المسجد بكرسيه ومنبره إلا أنه لم يحتفظ بالغرض الذي شيد من أجله بل صار مخزنا للحبوب والفواكه أما المئذنة فهي في حاله يرثى لها [١٤٨].

ولكن تم الاهتمام بالمسجد مرة أخرى مع بدايات القرن العشرين حينما أمـــر الملك فؤاد بفرش المسجد، وتعيين مرتبات للخدم وسدنته، وفي فترة لاحقـــة وضـــع المسجد والدير في أولويات هيئة الآثار المصرية ورعايتها، وأصبح مثل الدير من آثار مصر التاريخية[١٤٩].

٤- أحوال الدير منذ الفتح العربي حتى العصر المملوكي

عند الفتح العربي لمصر، لم تصطدم جيوش المسلمين الظافرة بأي حركة مقاومة من جانب الهيئة الوحيدة المنظمة التي كان يعمل حسابها في تلك البقاع الـــوعرة ألا وهو الدير، وقد كانت سيناء ومازالت، عند العرب المسلمين منطقة مقدسة حينمـــا جاء ذكرها في القرآن الكريم.

ويرى البعض أنه مع الفتح الإسلامي لمصر سنة ٦٤٠م انقطع الزاد الذي كان يرسل لحماة الدير من الجبالية كما لم يكن للدير طاقة على إمـــدادهم بـــالزاد ولا في طاقة الجبالية حماية الدير بعد ذهاب دولة البيزنطيين فاضـــطروا إلى تـــرك محلاتهـــم وسكنوا البادية حول الدير حتى مجـــيء الـــسلطان ســـليم الأول إلى مـــصر ســـنة ١٥١٧م[١٥٠]، أما عن وجود العرب في سيناء، فيرى البعض أن ذلك يرجع إلى زمن الإمبراطور جستنيان أوائل القرن السادس الميلادي حيث وجد شقير في أحد أدراج مكتبة سيناء ما يفيد بأن الأعراب من بني إسماعيل كانوا يعيشون في تلك المنطقة قبل بناء الدير، ومن أقدم القبائل الأصلية التي بقى لها أثر في شبه الجزيرة بعد فتح العرب

لها: قبائل الحماضة، والتبنة، والمواطرة، وقبيلة العايد التي عهدت لهم الحكومة المصرية قديما لخفر المحمل الشريف من مصر إلى العقبة، وقد ورد ذكرهم في كتاب " الأم " حيث كان لهم الإشراف على قبائل الطور " منطقة الطور ونواحيها " وكانت تعقد شروط الاتفاق بين عرب الطور ورهبان دير سيناء في بيت شيخهم بشأن تأجير الإبل وتأمين الطرق[١٥١].

وهناك أيضا قبيلة بني واصل التي يجمع الثقات في سيناء على أنهم من بني عقبة من عرب الحجاز، وأنهم هاجروا لبلاد الطور واقتسموا البلاد مع قبيلة الحماضة كما قرأ شقير ذكرا لبنى واصل وقبيلة النفيعات في كتاب الأم[١٥٢].

ويمكن القول بأن تاريخ الدير مع الحكام المسلمين كان غالبا لصالح الرهبان فهو يحظى بمكانة مرموقة ومركز ممتاز، وليس أدل على ذلك من حرص الرسول العربي نبينا محمد (صلي الله عليه وسلم) أن يعطى للرهبان عهدا بالأمان، وذلك منذ وطئت قدماه الكريمتان حدوذ سيناء في أيلة (إيلات) عند زيارته لتبوك[١٥٣] وقد كانت مسألة عهد النبي (صلي الله عليه وسلم)[١٥٤] مثار خلافات بين المؤرخين الذين تصدوا لها فيما بين مؤيد للعهد وأخر ينفي هذا العهد جملة وتفصيلا " فبازيلي " يؤكد مكافأة الرسول (صلي الله عليه وسلم) (إثناء زيارته للدير على حسن ضيافتهم لـه) ومنحهم هذا الأمان وقد نادى عزيز سوريال عطية بنفس الرأي حين قال أنـه مع إعطاء محمد (صلي الله عليه وسلم) توقيعه على العهد انضم لهـا كـل المسلمين المخلصين ليحموا الدير ورهبانه[١٥٥]..

وكذلك راينيو يؤيد صحة هذا العهد ويسميه بـ (العقد نامة)[١٥٦] كما تؤكد السيدة دبسون أن الرسول (ص) قد أعطى الدير خطاب حمايته ووقعة بنفسه بعلامة سوداء أو ببصمة سوداء حيث أنه لا يستطيع الكتابة [١٥٧] أما لينا (Lina Ecansein) فتفترض أن الرسول (صلي الله عليه وسلم) قد أعطى الأمان

للرهبان[١٥٨] ويقول المستعرب الروسي بيرمنوف أن مطران سيناء قــسطنديوس في كتابة عن مصر المطبوع في أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادي ذكــر أن محمـــد (صلي الله عليه وسلم) رد جميل حسن الضيافة للرهبان بمنحهم سنة ٦٢٤م في اليوم الثالث من محرم صك الأمان وأن النص كان محفورا على جلد غزال بخــط كــوفي ممهورا ببصمة يد محمد (صلي الله عليه وسلم) وتوقيع وأحد وعشرين شاهدا ومـــن المهم أن ننوه بأن الكنيسة الأرثوذكسية قد تذرعت بهذه الوثيقة ســنة ١٨١٠م في نضالها لاستعادة حقوقها في ضريح السيد المسيح في القدس حيث قرئــت بـــشكل احتفالي مهيب لإثبات حقوق وامتيازات أتباع مذهب الأرثوذكسية[١٥٩].

ونود القول بأنه لو ثبت حقا أن الرسول (صلي الله عليه وسلم) قد أعطى هذا العهد فأنه أعطاه للمسيحيين جميعا وليس لطائفة منهم، ومن ناحية أخرى، ينفي بعض المؤرخين صحة هذا الموضوع [١٦٠] فأسد رستم مثلا عند حديثه عن الرسائل الـتي بعثها الرسول سيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم) للأمراء والأباطرة المحيطين بالجزيرة العربية لم يذكر هذا العهد، ونفس الشيء بالنسبة لحميد الله الحيدربادى، وأحمد زكي باشا شيخ العروبة، وحجة المعارضين لذلك أن لغة العهدة تختلف عن لغة عصر النبي ففيها من التراكيب والألفاظ ما لم يكن مألوفا في ذلك العصر، هذا بالإضـــافة إلى أن الوثيقة مؤرخة في السنة الثانية للهجرة مع أن الهجرة لم يؤرخ لها إلا بعد السنة الثامنة عشر، أي بعد وفاة الرسول بسبع سنوات، وفضلا عن ذلك أن بعـــض الــشهود المذكورين في نهاية الوثيقة مثل أبي هريرة، وأبي الدرداء، لم يكونوا قد اسلموا بعد في السنة الثانية للهجرة، وأخيرا فان مؤرخي الإسلام لم يذكروا هذه العهدة الوثيقة ولم يأتوا بأي إشارة تدل عليها[١٦١].

وفى ضوء ذلك فأنه من المعتقد أن الرهبان لا يدعون أن هذه العهـــدة هـــي الأصل الذي صور عن النبي (صلي الله عليه وسلم) ولا صورة طبق الأصل بـــل أن

العهدة التي بأيدينا تذكر أن الأصل أعطى في ثاني سنى الهجرة والظاهر أنه ثـامن — على حد قول شقير — لا ثاني سنى الهجرة فحرفة النساخ، ومثل هذا التحريف وارد لاسيما وأن النساخ كانوا من الأعاجم — وعلينا أن نتذكر بأن رهبان الدير كانوا في غالبيتهم من الأروام وهم الذين يجيدون الكتابة — وأخيرا فإن عـدم ذكـر أحـد المؤرخين للأصل لا يطعن بصحته وإن كان " المقريزي " في كتابه " القول الابريزى " الذي جمعه مينا اسكندر ودون فيه ما يختص بالقبط مما كتبه المقريزي في خططه وطبعة في القاهرة سنة١٨٩٨م [١٦٢]، قد أورد نص هذا العهد، ونحن من جانبنا لا نستبعد صحة هذا العهد أو صحة الأصل المفقود لأن هذا العهد لا يخرج في مضمونه عـن مآثر ومعاني الإسلام السمحة، كما أن المؤرخ " ابن سعد"[١٦٣] يذكر أن الرسول قد أرسل كتابا في السنة السابعة من الهجرة إلى "ضفاطر " الأسقف يدعوه للإسلام ونحن لا نعرف بالضبط إذا كان هذا الأسقف هو أسقف دير سانت كاترين أو أي رئيس ديني آخر، ومن المرجح أن يكون رهبان سيناء قد طلبوا تأكيد الأمان والعهد مـن عمرو بن العاص بعد أن اجتاز رفح أول حدود مصر الشرقية، ويبـدو أن طائفـة الأرمن في القدس يوجد لديهم عهد آخر يزعمون أنه لصالحهم من قبل النبي محمـد (صلي الله عليه وسلم) وإن كنا نعتقد أنه وضع خصيصا لحماية مصالح الطائفة[١٦٤]

ويلاحظ حنا النقيوس[١٦٥] أنه منذ فتح العرب لمصر أسلم كثير من المصريين بل أن بعضهم تعاونوا مع العرب بعد إسلامهم أو قبل ذلك مثل يوحنا أحد رهبـان دير سانت كاترين، وعموما كانت طبيعة العلاقات بين حكام مصر الإسلامية ورهبان الدير علاقة تعاطف ورعاية في الغالب، وتحتفظ المكتبة بعدد كبير من تلك المراسـيم والتوقيعات الصادرة من حكام مصر بدءا من العصر الفاطمي وحتى العصر المملوكي [١٦٦] وغالبيتها توضح لموظفي الدولة من بندر الطور وغيره من المـدن والثغـور في مصر والشام بتقديم كل التسهيلات اللازمة للرهبان وتأمينهم في سفرهم بين أجـزاء البلاد وفي خارجها، وإعفاء الدير من كافة أنواع الضرائب، وأيضا أكرمتهم الدولة

بحكم أنهم كانوا منقطعين في منطقة شرفها الله تعالى وأنهم كانوا يقدمون الخـدمات للمسافرين من الحجاج وعابري السبيل من المسلمين والمسيحيين على السواء، كمـا أنهم كانوا ومازالوا يقومون بالدعاء للدولة في هذه المنطقة المقدسة[١٦٧].

ويلاحظ أن المراسيم التي أصدرها حكام مصر لصالح الرهبان كانت مستمدة روحا وفي بعض الأحيان نصا من عهد عمر بن الخطاب" العهدة العمريـة " الـذي يعتقد بعض الفقهاء والمؤرخين منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي أنه القانون الذي يحدد العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة، وبالتالي أضـحت الـشروط العمرية نواه لكتب فقهية، كذلك كتب الحسبة [١٦٨] حـتى إننـا نجـد المقريـزي (ت١٤٤١-١٤٤٢م) ينشر عهد عمر مع صفرونيوس بطـرك الملكيـة في طـور الزيتون (طور سيناء) والذي مقامه القدس في العشرين من ربيـع الأول سـنة ٥١٥ه ويسميه " عهد الإمام الخليفة عمر بن الخطاب " وفيه، كبقية العهود الـتي منحهـا عمر، يتجلى حرصه الشديد على حريات أهل الذمة وحمايتهم واحترام مقدسـاتهم والتأكيد على وجوب معاملة الذميين بالحسنى.

وفى الغالب كان الحكام المسلمون لا يأخذون جزية من الرهبان غير أن حكام مصر لجئوا إليها في بعض الفترات لأسباب متفاوتة، فعبد العزيز بن مروان مثلا لجـأ إلى فرض الجزية لاحتياجه الشديد للمال حيث كان مهتما بتعمير مصر فجدد بنـاء مسجد عمرو بن العاص وزاد فيه، كما بنيت كنائس كثيرة في عهده وكانت مـصر مشتركة بجانب الخلافة الأموية في القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير[١٦٩].

ونجد أيضا أسامة بن زيد التنوخى صاحب خراج مصر زمن خلافة سـليمان ابن عبد الملك (٩٦-٩٩ هـ) يأمر الرهبان بألا يقبلوا في سلك الرهبنة مـن يـأتي إليهم، وأمر بوسم كل راهب بحلقة حديد في يده اليسرى ليكون معروفا ووسم كل وأحد منهم باسم بيعته وديره والتاريخ الهجري، وفرض على كل وأحد منهم دينارا

جزية ... ومجمل القول فان فرض الجزية على الرهبان لم يكن قاعـدة في حكـم مصر، ففي خلافة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) أمر بإعفاء الأساقفة والكنائس من الخراج . كما أبطل الجبايات (الضرائب المستحقة) [١٧٠]، ولكننا لم نجد في وثائق الدير ما يدل على أنهم كانوا يبذلون الجزية أو خلافها للدولة.

ويدين التراث المسيحي في مصر والعالم للعرب المسلمين لحفاظهم على أيقونات الدير سليمة مصانة في الوقت الذي تعرضت فيه باقي الأديرة والكنائس في العالم المسيحي الأوروبي والأسيوي لحركة محطمي الإيقونات التي قام بها الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث الايسورى (٧١٧- ٧٤٠ م) حيث أن مصر، وبالتالي سيناء كانت خاضعة للحكم العربي الإسلامي ولا سلطان للإمبراطور البيزنطي على مسيحي مصر[١٧١].

ولم تسلب حرية الرهبان تحت الحكم الإسلامي، فكان لهم حق الاعتراض حتى أمام الخليفة ضد الغبن الواقع عليهم، وذلك مثلما حدث سنة ٣١٢ / ٩٢٤م عندما كانت مصر تابعة لحكم الخلافة العباسية. أن أخذ الرهبان والأساقفة بأداء الجزية، فأخذت منهم ومن الضعفاء والمساكين ومن جميع الديارات بأسفل مصر والصعيد، ومن رهبان طور سيناء، ومن ثم فقد سافر وفد من هؤلاء الرهبان لبغداد حاضرة الخلافة للاستغاثة بالخليفة المقتدر، فكتب لهم بألا تؤخذ الجزية من الرهبان ولا من الأساقفة.. وأن يجرى أمرهم على ما كانوا عليه من قبل[١٧٢].

وإن كان دير سانت كاترين لم يحظ بالكثير من عناية الدولتين الأموية والعباسية. إلا أنه كان موفور الحظ في عهد الدولة الفاطمية على عكس الوضع بالنسبة للخلافتين الأموية والعباسية، وتدل على ذلك المنشورات والعمائر التي وجدت في الدير من قبل الخلفاء الفاطميين.

فالآمر مثلا كما بينا سابقا بنى المسجد داخل الدير (١٧٣) كمـــا تعـــين علـــى مطارنة الدير المتولين للرئاسة الدينية بعد انتخابهم، أن يؤكـــدوا مركـــزهم الجديـــد بصدور منشور أو تأكيد من قبل حكام مصر الفاطميين كما فعل المطران"يوزخريـــا" الذي عين في عهد الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ١١٠٣م، والمطـــران " جـــرجس " المتولي المطرانية سنة١١٣٣م على عهد الخليفة " الحافظ لدين الله "، وهنـــاك أيـــضا المطران " غبريل الثاني " المتولي عام ١١٤٦م وكان عالما متفقها في اللغة العربية ومن مؤلفاته القيمة كتاب " تعليم مسيحي "، وذكر كتاب " تاريخ الدير " أسماء ثمانيـــة مطارنة تولوا رئاسة الدير خلال القرن الثالث عشر وحتى نهايته، وهـــم المطارنـــة: " يوحنا الثاني، وسمعان، وافتيموس، ومكاريوس، وجرمانوس، وثيودوسيوس، وسمعان، ويوحنا الثالث (١٧٤).

وتكشف الوثائق الديرية عن طبيعة العلاقات زمن حكم الفاطميين لمصر حيث عاملت السلطات الإسلامية الفاطمية الدير ورهبانه بكل مودة واحتـــرام. فهنـــاك مرسوم فاطمي يعلمنا أن أسقف دير سيناء المدعو " نيفرى " يلتمس مـــن الخليفـــة الفاطمي " الأمر " إصدار الأمر برعايته ورهبان الدير، وبالفعل صدر المنـــشور مـــن ديوان الإنشاء ((بمضاعفة الإحسان إليهم ومتابعة الإنعام عليهم وبتوفير حظوظهم من الرعاية والاحترام ونصيبهم من العناية والحماية (كذا) بالعـــدل (كـــذا) الـــشامل وبالإنصاف الكامل..)) ولا يخرج غالبية المراسيم الأخرى في محتواها العام عن هـــذا المعنى(١٧٥).

وخلال الفترة التي كان فيها "الحاكم بأمر الله " يضطهد أهل الذمة في مـــصر نراه يقطع الدير إلى رجل عربي يعرف بابن غياث، والذي أوعز إليه الخليفة بالمـــسير إلى الدير لهدمه وبناء مسجد مكانه، إلا أن الأنبا سلمون بن إبراهيم – أحد كتـــاب النصارى الذين ترهبنوا – أخذه بالحيلة وأحسن استقبال " ابن غياث " وأكد له أن

أسقف الدير ورهبانه على استعداد تام للمساعدة في هدم الدير لساعته وغير ممانعين، وسلم له جميع محتويات الدير من الذخائر والذهب والفضة وأوضح له صعوبة هدمه لحصانة مبانيه وضخامة جدرانه وكثرة ما يلزم من أموال ونفقات لهدمه — ثم أعطاه مبلغ من المال فانصرف دون أن يهدم الدير.

وقبل اختفائه (الحاكم) سنة ١٠٢٠م خفف من غلواءه للدير، فانتهز الأنبا سلمون " رئيس الدير " الفرصة وشكى إليه سوء حالة الرهبان وتوسل إليه في إطلاق الأوقاف الخاصة بالدير، فوافق الخليفة ويلاحظ أن تلك المعلومات لم يأت بها سوى "الأنطاكي" دون أي مصدر آخر (١٧٦).

وقد جدد " صلاح الدين " ما كان يقوم به الخلفاء الفاطميون من رعاية الرهبان المنقطعين للعبادة في دير سانت كاترين، وتبعه في ذلك أخوه الملك العادل سيف الدين أبو بكر إذ توجد وثيقة صادرة منه إلى رهبان الدير هدد فيها من يتعرض لهم بضرر أو أذى بأشد العقاب ، وفي وثيقة أخرى نراه يأمر صاحب قلعة آيلة بالامتثال لما جاء في منشوره (١٧٧).

ومن ناحية أخرى لا نستطيع أن نغفل الدور الذي قام به الرهبان، إثناء الحروب الصليبية على الشرق حيث أنهم رفضوا استضافة الملك بلدوينى الأول ملك بيت المقدس، ورفضوا طلبه بالمبيت ليلة بالدير أثناء حملته الاستطلاعية في شبه جزيرة سيناء سنة ١١١٦م ٠ وحتى لو فرضنا أنهم لم يلبوا طلبه خوفا من السلطات الفاطمية والملك الآمر في ذلك الوقت فيكفى أنه عمل مضيء ويسجل لهؤلاء الرهبان (١٧٨). والغريب في الأمر أن الصليبيين كانوا يعتبرون دير سانت كاترين من المناطق التابعة لنفوذ أساقفة البتراء — على الرغم من أن سيناء لم تخضع للسيطرة الصليبية بتاتا. وقد وصل الطموح برجال الدين اللاتيني (الأوربيين) أنهم اعتبروا رئيس دير سانت كاترين الأرثوذكسى أسقفا مساعدا لرئيس أساقفة البتراء، لكن الواقع يقول

غير ذلك إذ أن الدير من الناحية السياسية كان يتبع السيادة المصرية، ومن الناحية الروحية كان يتبع الكنيسة الشرقية [١٧٩] وإجمالا نستطيع القول بشكل قاطع أن أقباط مصر لم يدفعوا ثمن تقاسمهم مع الفرنجة " الصليبيين " ديانة واحدة باستثناء أعمال فردية من قبل الدهماء والعامة.

وإذا انتقلنا للعصر المملوكي نجد أن الدير كان من بين المزارات المقدسة الرئيسية والمهمة التي يحج إليها المسيحيون الأوربيون، أما بخصوص طبيعة العلاقات مع الحكم الجديد فيرى أحد الباحثين أن المصادر لا تشير صراحة لطبيعة العلاقة بين السلطات الإسلامية على عهد دولة المماليك وبين رهبان طور سيناء، وأرجع ذلك إلى أن أولئك الرهبان كانوا يمثلون أقلية داخل المجتمع المصري، بصفة عامة وفئة ضئيلة من أهل الذمة بصفة خاصة، كما أنهم عاشوا في منطقة نائية في صحراء بعيدة عن مركز الحكم المملوكي، ثم نراه يتراجع بقوله أن المراسلات التي صدرت في عهد السلطان سيف الدين قلاوون لرهبان الدير تسد فراغا أغفلته المصادر التاريخية[١٨٠] ويبدو أن رأى الباحث لم يجانبه التوفيق تماما، فالوثائق المحفوظة بالدير، وكذلك الوثائق الأخرى المحفوظة في ثنايا المصادر التاريخية المعاصرة، تؤكد لنا أنه كانت هناك علاقة متينة وقوية ومستمرة بين الطرفين حكاما ومحكومين.

فعلى مسؤولية أحدى الوثائق، أن السلطان "خليل بن قلاوون" ٦٨٩-٦٩٣هـ/ أمر النواب والولاة في مصر والشام بإشمالهم رعاية الرهبان مع إعفائهم من المغارم[١٨١].

كما أن السلطان "قايتباي ٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٥م " قد وقف إلى جانب الدير أمام القوى الأجنبية الطامعة في بسط سلطتها الدينية والدنيوية عليه[١٨٢].

وعلينا أن نلاحظ أن الوثائق الصادرة لصالح الرهبان في العصر الإسلامي بأكمله تقريبا لم تكن على نمط وأحد وإنما اشتملت أيضا على عدة أنواع منها (التواقيع)[١٨٣] و(السماحة)[١٨٤] و(المكاتبة)[١٨٥] و(المثال)[١٨٦]

ويلاحظ أن مخطوطات الدير تبدأ كاملة من القرن الثالث عشر وتستمر في القرن الرابع عشر، وقد كان القرن الثالث عشر هو العلامة الفارقة والمميزة للإنتاج الأدبي للرهبان المتحدثين بالعربية، والذين زاد عددهم في تلك الفترة نظرا لهروب وفرار الكثير منهم من بلادهم في الشام إثر الغزو الهمجي لجحافل المغول.

وبالتالي كان الدير هو الملاذ الآمن والمكان الملائم لكتابة كل تلك المخطوطات بلغتهم العربية، وظلوا بالدير حتى القرن الرابع عشر لأسباب لا يمكن أن نستخلصها بوضوح، ويظهر تأثير الأدب العربي على دير سانت كاترين من خلال التأثير على مجالات المخطوطات والإيقونات الذي وصل ذروته في القرن الثالث عشر، فمن بين الستمائة واثنين مخطوطة العربية يوجد ثلاث مائة واثنين وثلاثين مخطوطة من هذا القرن ثم يقل العدد بعض الشيء، وإن كان هذا الانحدار يستحق منا التوقف لبرهة لكي نكشف العوامل التاريخية المسببة لذلك، فالقرن الثالث عشر كان بداية سقوط الخلافة العباسية ونظرا لحالة عدم النظام والأمن التي صاحبت الغزوات المغولية لبلاد المشرق أن أصبح دير سانت كاترين ملاذا جيدا لهؤلاء المسيحيين المتحدثين بالعربية، ومن ثم فقد ارتفع عدد المخطوطات، وكذلك نتاجهم الأدبي لمستوى غير عادى. ومع عودة السلام لربوع الإمبراطورية العربية الإسلامية بعد اندحار الغزو المغولي قل عدد الرهبان العرب المقيمين داخل أسوار الدير إلى أن اختفوا نهائيا من الدير مع مطلع العصور الحديثة وبالتالي قلت أعداد المخطوطات العربية المحفوظة بالدير.

ومن الأمثلة التي توضح العطف على الرهبان وأتباع الدير من قبل الدولة والأفراد العاديين تلك الوثيقة التي يرصد فيها السلطان الأشرف شعبان بن حسين

(١٣٦٢-١٣٦٧م) الخدام ورهبان الدير إحدى وثلاثين شجرة زيتون من أموال بيت الأموال المعمور لصالح الرهبان[١٨٧]. كما توجد بمكتبة الدير وثيقة وقف[١٨٨] باسم المعلم (سليمان بن بشارة بن فهد النصراني) الجابي تنص على أن يصرف ربع الوقف (للفقراء والمساكين من النصارى الملك[١٨٩] المقيمين بالقدس الشريف والواردين إليه فإن تعذر صرف للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيث وجدوا). كما تذكر أحدى الوثائق أن الراهب (مقار بن مسلم بن شبرى الملكي) كان له في ذمة أحد النصارى مبلغ من المال بقية دين أجل تسديده حتى نهاية سنة ١٣٩٨م بضمان أحد المسلمين[١٩٠] ونعتقد أن هذه الوثيقة السابقة لها توضحان إلى حد بعيد مدى قوة العلاقة بين رعايا وأتباع الديانتين الكبيرتين المسيحية والإسلام وقد أسبغت الدولة المملوكية المصرية على أسقف الدير (المستقل) الألقاب الفخمة الدالة على مكانته. فكان يلقب أحيانا بلقب البطريق بالإضافة لألقاب التعظيم والتشريف[١٩١]. وأيضا من مظاهر رعاية الدولة للدير أنها أمرت وساعدت في بناء سور الدير وترميمه سنة١٣١٢م عندما ضربه الزلزال وانهارت الجدران الشمالية الشرقية للدير[١٩٢] وفيما يتعلق بأمور القضاء فقد كانت غالبية المعاملات القانونية والخاصة بمعاملات البيع والشراء والوقف والرهن والمداينة والمصادقات الشرعية وغير ذلك من المعاملات كانت تتم أمام أحد القضاة المسلمين[١٩٣].

كما تبين الوثائق أن مسائل المواريث كانت تتم حسب الشريعة الإسلامية وأن أمورهم كانت تعود على أهل ملتهم إذا لم يكن للمتوفى وريث[١٩٤] ويتضح من بعض الوثائق أنه في بعض الأحيان كان الشهود على هذه التصرفات القانونية من المسلمين وفي أحيان أخرى كان بعضهم من الذميين حيث الشهود جميعا مسيحيين[١٩٥] ويستفاد من أحدى الوثائق أنه إذا اشترى أحد أبناء الأقليات الدينية دارا تعلو على دور جيرانه المسلمين كان من حقه أن يحتفظ بها دون أن يهدم الجزء العلوي الذي يتيح له كشف عورات جيرانه[١٩٦].

كما أصدر سلاطين المماليك العديد من المراسيم لصالح الرهبان والتي تنص صراحة على ألا يتعرض أحد لأوقافهم[١٩٧] كما توصى بالرهبان وأملاكهم التي بالديار المصرية والبلاد الشامية [١٩٨] وان يساعدوا على مصالح أوقافهم وأحباسهم وجميع متعلقاتهم[١٩٩] في وثيقة يرجع تاريخها لأخريات القرن الثالث عشر الميلادي تؤكد نفس المعنى حيث جاء فيها (من السلطان إلى النواب والولاة بالديار المصرية والبلاد الشامية، يشمل رهبان طور سيناء بالرعاية والاحترام والإعفاء من المغارم والتوفير من المظالم على حكم التواقيع الشريفة التي بأيديهم، وان تكف عنهم أيدي العدوان وتجرى أمورهم على منهج العدل وسنن الإحسان)[٢٠٠].

وهكذا نرى أوقاف رهبان دير جبل سيناء في مصر وخارجها قد حظيت برعاية حكام مصر وسلاطينها تماما كأوقاف المسلمين، حيث تدلنا على ذلك المراسيم التي أصدروها لصالح رهبان دير طور سيناء والتي تنص صراحة على ألا يتعرض أحد لأوقافهم وبمساعدهم على رعاية مصالح أوقافهم وانحباسهم وجميع متعلقاهم.

ويلاحظ أيضا أن كثير من وثائق وقف أهل الذمة التي توقف على الأديرة كانت تحدد رهبان دير بعينة، وإذا تعذر الصرف تحدد الوثيقة أديرة أخرى على التوالي يحل بعضها محل الآخر، وإذا تعذر الصرف للأديرة المحددة في الوثيقة تنص الوثيقة على أن ناظر الوقف يصرف ريعه على فقراء النصارى من أبناء مذهب معين حسبما يتراءى له [٢٠١] كما لوحظ في أحدى الوثائق أن الواقف جعل الوقف على مصالح النصارى الملكانية، فإذا تعذر الصرف لهم كان الوقف لصالح فقراء المسلمين أينما كانوا، كما جعل لقاضى المسلمين الحنفي نظارة الوقف إذا ما آل إلى فقراء المسلمين[٢٠٢].

وقد كان رئيس رهبان الدير مسئولا عن أوقاف الدير ويتم إقراره في ذلك بمراسيم خاصة صادرة من حكام مصر[٢٠٣]. وفي بعض الأحيان لجأ رهبان الدير

لبعض قضاه المسلمين لإثبات أحقيتهم في نظارة أوقاف الدير[٢٠٤] بل تدلنا بعض المصادر على أن البطاركة والقساوسة والرهبان وغيرهم من رجال الدين قد أسهموا في النشاط العلماني الدنيوي، إذ تذكر أحدى الوثائق أن رئيس رهبان طور سيناء كان طرفا في وثيقة بيع.

وتذكر وثيقة أخرى أن نفس الراهب (مقاري بن مسلم بن شبرى النصراني الملكي)، كان طرفا في مصادقة شرعية على أن له في ذمة أحد النصارى مبلغا من المال بقية دين كان عليه أجل تسديده سنة ٨٠١هـ /١٣٩٨م بضمان أحد المسلمين[٢٠٥]، كما أن البائع في وثيقة غيرها هو البطرك اليعقوبي[٢٠٦]، وفي وثيقة أخرى نجد أن المشترى هو الراهب متى من رهبان الدير الذي اشترى كرم العنب من أحد العربان[٢٠٧].

ويتضح من وثائق الدير أن المسيحيين الملكانيين واليعاقبة قد عملوا في النشاط التجاري الداخلي والخارجي على حد سواء، وتشير الوثائق أيضا إلى أنهم يملكون العقارات في شتى أنحاء البلاد إما عن طريق البيع والشراء أو الوراثة ففي الوثائق ما يظهر أن اليهود والمسيحيين كانوا يتعاملون مع المسلمين في عمليات البيع والشراء في حرية تكاد تكون تامة وفي ظل القوانين الحاكمة آنذاك، وعلى مسئولية بعض الوثائق وجدنا أن بعض نساء اليهود كن يعملن كدلالات وكانت الدلالة تقوم بالمرور على السيدات في منازلهن لعرض ما يحتجن إليه، بل وجدنا وثيقة تشير إلى أن المدين (مسيحي) قد أحال الدائن (مسيحي) لأحد تجار مدينة الطور المسلمين لكي يضمنه في تأجيل سداد دينه [٢٠٨]، ويبدو أنه لم تكن هناك قاعدة ثابتة بشأن المواريث عند الرهبان وأتباع الدير، فأحدى الوثائق تشير إلى أن البطريرك الملكاني " فيلوتاوس بن موسى بن عبد الله " كان بائعا في عقد طرفه الآخر مسيحي يعقوبي، وكان موضوع التصرف (البيع) قطعة ارض تركتها امرأة نصرانية ملكية المذهب دون وريث وآل

ارثها إلى أهل ملتها[٢٠٩]، وفي بعض الأحيان كان يقسم ارث المتوفى من رعايا الدير حسب الشريعة الإسلامية فقط إذا لجأ الورثة لقاض مسلم[٢١٠].

ومن أنواع الوثائق المهمة في مكتبة الدير والتي توضح لنا إلى حد كبير مدى الاستقلالية والحرية التي عاش فيها الدير، ونقصد بها تلك الوثائق الفقهية والتي تحتل عند الوثائقيين مكانا هاما من حيث عددها وأهميتها بالنسبة لدارس التاريخ وخاصة تاريخ القانون، بالإضافة إلى أن الغالبية مما نشر من وثائق المجموعة العربية عبارة عن عهود أو مراسيم (Decrees) في فترة العصور الوسطى أو الفرمانات (Firmans) من العهد العثماني، أو الأوامر الإدارية (Administrative Orders) من العصر العثماني.

ومن ثم فإن ما قام به الدكتور عبد اللطيف إبراهيم من نشر لبعض الوثائق الدبلوماتية خاصة القانونية منها تعتبر موضوعا أصيلا وأساسيا في علم الوثائق، وفي مجال التاريخ القانوني بعامة[٢١١]. وبخصوص العلاقات بين الدير والقبائل العربية المحيطة به فغالبا ما كانت علاقات ودية وحسنة، فهناك وثيقة تعلمنا بنوع معين من التعامل بين الفريقين فالراهب متى من رهبان الدير يشترى كرم عنب من أحد العربان[٢١٢]، ولكن حينما كان الرهبان يتعرضون لاعتداءات من قبل البدو كانت المراسيم تصدر لتحث الموظفين والنواب وزعماء القبائل العربان على منع اعتداءات العربان، وإحضار المعتدين للقاهرة لمعاقبتهم. وكانت الدولة في بعض الأحيان تأخذ عليهم قسائم شريفة بعدم الاعتداء، ففي مرسوم للأشرف طومان باى تنص الوثيقة على " أن من المشمول بنظرنا السعيد جماعة الرهبان والرهبانات الملكية واليعاقبة"[٢١٣].

ومع ذلك فالسلطان الغوري استعمل الدير كورقة ضغط ضد مسيحي أوربا (البرتغاليين) الذين حاولوا الوصول إلى الأماكن المقدسة، فما كان منه إلا أن هدد

بتدمير أماكن المسيحيين المقدسة في فلسطين. كما قام رئيس دير سانت كاترين بإيعاز من الغوري برحلة إلى أوروبا حيث اتصل بالبابا وحاول تحريضه على منع البرتغاليين من الإمعان في سياسة الاستفزاز الديني للمسلمين على أساس أن هذا سيعود بالضرر على المسيحيين الشرقيين(٢١٤).

حواشي الفصل الأول

(١) انظر: إبراهيم أمين غالى، سيناء المصرية عبر التاريخ (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٧٦) ص ٢٨ – ٢٩. افانجلوس بابا يوانو، دير طور سيناء، ت: صليبا خوري وفيليب دحابرة (إصدار دير طور سيناء، ١٩٧٧) ص ٤٠. W.F. Bassili , Sinai and St. Catherine Monastry, Catherine Monastry, Cairo , 1957.p.80

(٢) L,Eckenstion, A History of Sinai, London, 1925, p. 172; Vonlichtonstein;Voyages en Egypte pendent 1638-1646, Le CAIRE,1972, PP.225.271.

(٣) Bassili , Op; Cit., PP. 115-118.، كما أن البعض قد شاهد كنيسة يقوم فيها الحجاج بالصلاة والدعاء، وبجوارها حوضا أو حفرة داخل صخرة تشبه كتف الإنسان حيث كان النبي موسى سيقع على ظهره عندما ناجاه ربه من فوق قمة هذا الجبل. أنظر: J. Wild ; Voyages En Egypte. 1606-1610, Le Caire , 1972, P.36; A.S. Atiya;Some Egyption Monasteries According to the unpuplished Mos of Al-Shabushis " Kitabal – Diyarat" in Bulletin de L, association des Anis De L'art copte , Tome , V , 1939, PP.21-22.

(٤) نعوم شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها (بيروت: دار الجيل ١٩٩١) ص٢٢٦، افانجلوس، المرجع السابق، ص٤٠. Bassili ; Op. Cit., P. 119

(٥) أحمد شفيق، مذكرات عن زيارة إلى دير طور سيناء والطواف بالسيارات في صحراء سيناء في شهر يناير ١٩٢٦ (القاهرة: ك الأميرية، ١٩٢٧) ص ٩–١٠.

(٦) مثل دمترى نحات وهبه عبيد، قد حضر إلى هذا المكان عبد هو وهبة الحداد طرابلس الشام حضر في هذا الموضع المقدس فرج بن بطرس الدمشقي غفر الله له ولأبناله بشفاعة السيدة أم النور) أنظر: Rabino; Op. Cit., P. 74 , 100.

(٧) حول تلك الأسطورة أنظر: Bassili, Op. Cit., P. 121.

(٨) أنظر: جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلى مصر ومكة والمدينة، ت عبد الرحمن عبد الله الشيخ (القاهرة: هيئة الكتاب ١٩٩٥) ص٤١–٤٢.

(١٠) يأتي رابينو بوصف دقيق وشامل للطريق من القاهرة إلى الدير في: رابينو، " دير سانت كاترين بطور سيناء " في المقتطف، م٩١، جـ٤، نوفمبر ١٩٣٧، ص٤٣٧ -٤٤٠، وأيضاً عبد الرحمن زكي، " طرق المواصلات في شبة جزيرة سيناء: في مجلة الجيش المصري، م٢، ع٢، يناير ١٩٤٠، ص٢٢٢-٢٢٣

(١١) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص٩-١٠

(١٢) نعوم شفيق، المرجع السابق، ص٢٠٥، فايز نجيب اسكندر، مصر في كتابات الحجاج الروس في القرنين الخامس والسادس عشر. (الإسكندرية: الفكر الجامعى،١٩٨٨) ص٤٥؛ Bassili ;op,cit,p.81 ;

(١٣) G.H. Forsyth ; " Island of Faith in the Sinai Wildernes" in , Nationl نفس المؤلف Intraduction to the Archtecture , grographic, U.S.A,1964, P. 84 ; in, the church and Fortress of Justinian, N.D. PP. 5-6.

(١٤) أحمد فخرى " تاريخ شبه جزيرة سيناء منذ أقدم العصور حتى ظهور الإسلام " في موسوعة سيناء (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٢) ص١١٥-١١٦، أحمد أبو كف "دير القديسة كاترين قلعة المسيحية التي اقتحمها العدوان الإسرائيلي " في الهلال، ع٦، ١٩٧٩، ص٩٤، شقير، المرجع السابق، ص٢٠٦

(١٥) ج. كوتل، "ملاحظات حول طبوغرافية شبه جزيرة سيناء.... التقاليد، والعادات، والصناعة، والتجارة، الشعب والسكان " في وصف مصر جـ٢، ت: زهير الشايب، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٠٧، أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى (القاهرة: م الأميرية، ١٩٧٧) ص ٥٦.

(١٦) شقير، المرجع السابق، ص ٨٤-٨٥، ورابينو، دير سانت كاترين بطور سيناء..... ص ٤٤٢-٤٤٣.

(١٧) المرجع السابق، ص ٤٤٣.

(٢٢) Constantin , P. Papamiklopoulo ; Tinosinedits ou " monastere du mont Sinai in Revue de la Societe de Crece, T. VII, 1918, PP 408-512; Le Monostere du Mont Sinal , Athenes, 1932.

(٢٣) (جدد هذا الدير المقدس كله. دير سانت كاترين.. المحترم الامجد المطران كيريلوس من القسطنطينية عام ١٨٦١م). أنظر: رابينو: المرجع السابق، ص٤٤٤، وبخصوص كيريلوس أو " كيرللس الثاني " فقد سيم مطراناً على الدير في الأستانة في الفترة من ٢٥ نوفمبر ١٨٥٩ وحتى ١٨٦٧ وفي أي امه بنيت بوابة حوش الدير وأسست المدرسة العبيدية بالقاهرة سنة ١٨٦٠ وأيضاً أهدت الحكومة اليونانية تابوتاً من الفضة وعلى غطائه صورة للقديسة كاترين وقد رصعت بالأحجار الكريمة. أنظر: شقير، المرجع السابق، ص ٥٢٤.
Rabino; Op. Cit., P. 91

(٢٤) ج كوتل، المصدر السابق، ص١٠٧، رابينو، المرجع السابق، ص٤٤٥- A.S Atiya; The Arapic Monscripts of Mount Sinai ; Bal timore, 1954, P. .XXVII

(٢٩) لم ينشر المرحوم زهير الشايب هذا الرسم في ترجمته لدراسة د. كوتل ولا في المجلد الخاص بصور ورسومات مصر فيا العصر الحديث. انظر: وصف مصر. اللوحات. ت: زهير الشايب وعفت الشريف (القاهرة: م مدبولى، ١٩٨٦)، وأن كان الرسم موجود في الأصل الفرنسي. أنظر:
.Descripion de l'egypte, Etat. Moderne , Vol. 2,P. 103

(٣٠) طبع هذا المجلد ثلاث طبعات عن طريق Institute Francais D' Archeolocie Orientale du Caire أعوام ١٨٣٩، ١٩٣٢، ١٩٦٠، وهو كتاب لا غنى عنه لكل من يشتغل بتاريخ الرحالة الفرنسيين إلى مصر في العصر الحديث وخاصة عصر محمد على وخلفائه.

(٣١) رابينو، المرجع السابق، ص٤٤١ – ٤٤٢.

(٣٢) الانجليزى " فردريك كاثيرود " زار الدير عام ١٩٢٣م، وإصطحب معه آله رسم تساعد على ظهور الصورة على الورقة عن طريق الانعكاس، كما إستطاع الفنان الاسكتلندى " ديفيد روبرت " خلال السنوات ٤٥ – ١٨٥٢ من أن يطبع عشرين كتاباً دارت حول مصر والأراضى المقدسة واشتملت على تخطيطات لجبل سيناء ودير القديسة كاترينة. أنظر: نبتلي، المرجع السابق، ص٤٨، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص٣٢-١٢٥

(٣٣) عن أصل تسمية سيناء يرى البعض أنها مشتقة من الكلمة السامية " سن " بمعنى من الانسان، ويعود سبب هذه التسمية إلى شكل الجبال الشبيهة بالسن في تكوينها، كما يرى

آخرون أنها مشتقة من كلمة " سين " بمعنى آلة القمر التي كان يكرمها سكان الصحراء قبل التاريخ، ويضيف أحد المؤرخين أن " بعل " كان آلهاً في سيناء ومنه اتخذ جبل سربال تسميته، كما أنه كانت تعبد آلهة كثيرة في سيناء ومنها " ليون " الإله الأعلى الذي كان كاهنة في مدينة " مديان " الكاهن " يوثور " كما رسمت سيناء بالمصرية القديمة هكذا تلفظ بكلمة " مفكات " بمعنى أرض الفيروز، أنظر: إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص١٣-١٥، محمد السيد غلاب، الجغرافيا البشرية والتاريخية لشبه جزيرة سيناء " في موسوعة سيناء... ص١٧، الفانجلوس، المرجع السابق، ص٢٦ رءوف حبيب، دير سانت كاترين في سيناء (القاهرة: م المحبة، د.ت) ص١، عبد المنعم عبد الحليم، الأهرام ص١١، ٧مايو ١٩٩٧.

(٣٤) Bassili ; Op Cit., P. 79; Forsyth , Island of Faith ... , P. 84; A. Nourth ; Egypt The Land Petween Sand and Nile , Berlne , 1963, P. 75.

(٣٥) التوراة، سفر الخروج، الآيات ١٤: ٢١-٢٢، ١٥: ٢٧، ١٧: ١٠، وفيما يتعلق بتلقى موسى للوصايا العشر أنظر: المجالس القومية المتخصصة، السياحة في سيناء، (القاهرة: ١٩٨٠) ص٢٥-٢٧.

(٣٦) الفانجلوس، المرجع السابق، ص٦، السياحة في سيناء، المرجع السابق، ص٢٨.

(٣٧) Forsyth, Island of Faith ... P. 1; Naurath , Op. Cit., 75

(٣٩) Bassili , Op. Cit., P. 79.

(٤٠) عباس عمار، المدخل الشرقي لمصر (القاهرة: المعهد العلمي الفرنسي للآثار، ١٩٤٦) ص١٠٢.

(٤١) مرسوم ميلان أصدره الإمبراطور قسطنطين ٣٠٦-٣٣٧ Constantinus وبموجبه أصبحت الديانة المسيحية ديانة شرعية Riligia Licta داخل أنحاء الإمبراطور ولكنها لم تكن الدين الرسمي للإمبراطور بل أن " اسحق عبيد " يرى أن تسمية المرسوم بميلان خطأ وأن الصحيح تسميته " قرار التسامح مع المسيحية" أنظر: اسحق عبيد " قصة عثور القديسة هيلانة على خشبة الصليب أسطوره أم واقع " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية. م١٧، القاهرة، ١٩٧٠، ص٧، رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، جـ١، فصل ٣،

القاهرة، ١٩٧٤، " كنيسة بيت المقدس في العصر البيزنطي " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م٢٥، القاهرة، ١٩٧٨م، ص٧٠.

(٤٢) يلاحظ أنه مع انتشار الكنائس المسيحية في بلاد العرب الصخرية في القرن الخامس قام فيها كرسي ديني عرف بكرسي " فلسطين الثالثة Paleestina Tarti امتدت فروعه إلى أيله وفيران وجبل سيناء وغيرها. هذا في فترة قوة الدولة الرومانية. لكن من ضعفها عادت القبائل البدوية للغزو ثانية. أنظر: عباس عمار، المرجع السابق، ص١٠٣.

(٤٣) هو الارشمندريت ثم الأسقف " يورفيرى اوسبينكى Uspensky الذي أرسل سنة ١٨٤٣، سنة ١٨٤٧، للقدس بصفته عميل سرى للسنيودسى (المجمع) الديني الروسي وأيضاً مبعوثاً لوزارة الخارجية الروسية، ويرتبط اسمه بالكشف عن مجموعة القوانين السينائية اليونانية المدونة على الرق. والتي ترجع إلى القرن الرابع م، وأرشمندريت Archimandrite لقب يطلق على عدد من رؤساء الأديرة. أنظر: أن مششرسكياوك. ت. يوز بايثانو " مرور مائة سنة على الجمعية الروسية الفلسطينية " ت: صلاح الدين عثمان هاشم في الثقافة العالمية. ع٣٤، الكويت، ١٩٨٧، ص٣٧.

(٤٤) عباس عمار، المرجع السابق، ص١٠٢، جوزيف نسيم يوسف، " سيناء، كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطى ". دراسة في كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الإسكندرية، ١٩٨٣) ص١٢٩. Rabino ; Le Manastere de….., P. 1-2.

(٤٥) أنظر: بنتلى، المرجع السابق، ص٥٦-٥٧، نعوم شقير بالمرجع السابق، ص٤٩٣-٤٩٤، ٤٨٩-٤٩٠، أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص٩٢، عباس عمار، المرجع السابق، ص١٠١، متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس أنبا مقار (وادي النطرون، ١٩٩٥) ص٢٦٠. Wendell Phillips ; " Foreword " in the Araeic , hanus ….., P.XI ; Atiya; The Arabic Treasures of the Cenvent of mouint Sinai " in Proceedings, Vol. II , Cairo , 1952, P. 6; محمود سعيد عمران، " مصر في كتابات الرحالة الأجانب في العصر البيزنطي " بحث القى في مؤتمر التبادل الحضاري بين شعوب حوض المتوسط بالإسكندرية، ١٩٩٤م، ويرى " جيمس ويلارد " أن رحلة الراهب المصري " امونيوس " كانت سنة ٣٨٠ وأنه انفرد بذكر وجود نشاء قتلوا كانوا موجودين على الساحل الغربي للهضبة بجوار

واحة فيران. أنظر: Wellard, Desert Pilcrimace A journey into christien Egypt, London, 1970, P.380.

(٤٦) العهد القديم، سفر الخروج ٣: ١-٥، بيرمنيوف، المرجع السابق، ص١٧٩ , **Atiyai** ;XVII ; .P, ..the Arabic أحمد فخرى، المرجع السابق، ص٧٤.

(٤٨) بيرمينوف: المرجع السابق، ص١٧٨ شقير، المرجع السابق، ص٤٧٩-٤٨٩، أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص٩٣ ; Dobson ; Op. Cit., P.48، الحديث التلفزيوني " للأب دميانوس " في برنامج خاص عن دير سانت كاترين، في الأحد ١٩٩١/٥/١٩.

(٤٩) افانجلوس، المرجع السابق، ص٧.

(٥٠) للمزيد من التفصيلات عن مجمع خلقيدونية أنظر: الأسقف ابسذورسى، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، جـــ١ (القاهرة: د.ن ود.ت) ص٤٩٦-٥٣٤، جورج باقي، " البابا ديسقورس البطريرك الخامس والعشرون (٤٤٤ – ٤٥١) " في رسالة مارمينا، صور من تاريخ القبط جـــ٢ (الإسكندرية، ١٩٩٠) ص ٥٩-٨٣.

(٥١) وقد شيدها عام ٣٣٠م. أنظر: لبتلى، المرجع السابق، ص٥٢، أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٢٢، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٢

(٥٢) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٢٣-٢٥.

(٥٣) انتقلت أبراشية فيران لطور سيناء ١٠٦م بعد سقوط دولة الأنباط باستيلاء الرومان عليها، أنظر: Butch; Churches of Egypt ; P. 392

(٥٤) البجاة أو عبيد البجة والتي من سلالتهم البشاريين سكان شرق أسوان والنوبة أنظر أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١١.

(٥٥) عباس عمار، المرجع السابق، ص١٠٢، شقير، المرجع السابق، ص٤٩٢-٤٩٣، أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص٩٤-٩٥.

(٥٦) بنتلى، المرجع السابق، ص٥٧، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١١، **Atiya ; the** Arabic Manuse , P. XVII ; Bassili ; Op.Cit., P.79

ولدينا تحليل لرسائل جستنيان والرهبان كتب عن طريق سكرتيره " بروكوبيوس " الذي حفظ نسختين من الكتاب واحد للجمهور وآخر للإطلاع السرى والكتاب هو ;Procopius

Buildings, Rreas , by H.B. Daving, London , 1940.

(٥٧) انظر: الوثيقة رقم ٦٩٢ وموضوعها حجة في ١٥ ذي الحجة ١١٦٩ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٥٦م، إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٣، فايز إسكندر، المرجع السابق، ص٤٧.

(٥٨) جاء في تلك النقوش (أيها الرب الذي ظهر في هذه البقعة المقدسة، بارك وارحم خادمك اسطفيان من أي لا مهندس هذا الدير وكذلك زوجته " نونا " وليحل الأمان قلوب أطفالهما جورج وسرجيوس وتيودورا). أنظر: بنتلى، المرجع السابق، ص٥٩.

(٥٩) وقد جاءت إشارة إلى عزم الإمبراطور على تشييد الدير على قمة الجبل في الوصف الذي سجله بروكوبيوس حيث جاء فيه (بما أنه لم يكن لهؤلاء أي ة رغبات حيث تساموا برغباتهم على العواطف الإنسانية، وبما أنهم لم يمتلكوا شيئا ولم يهتموا بأنفسهم ولم يسعوا وراء الملذات لقد شيد الإمبراطور لهم كنيسة كرسها لمريم العذراء. كان الرهبان يقضون أوقاتهم فيها في الصلاة والتعبد. وقد شيد هذه الكنيسة في سفح الجبل إذ لم يكن بالإمكان الوصول إلى قمة الجبل خلال الليل بسبب الرعد المستمر وتجسدات إلهية مرعبة أخرى. أنظر: بنتلى المرجع السابق، ص٥٩-٦٠، Forsyth ; Introduction to the Architeeture ......, P. 6

(٦٠) أنظر هامش رقم ٤ ص٧ السابق الذي يختلف مع Atiya; the monastary of ST catherine in mount Sinai (Cairo 1950) P. 37.

(٦١) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٢٦ نقلاً عن تلتاريوس، التاريخ المقدس القديم والحديث من موسى النبي للسلطان سليم، مكتوب باليونانية سنة ١٦٥٨م وترجمة بعض الرهبان للعربية، محفوظ بالدير.

(٦٢) القديس " أنطونيوس " أول راهب مسيحي يلتجئ للبرية المصرية، توفى ٣٥٦م عن عمر يناهز ١٠٥ عاماً، في ٣٥٧ سجل " أثناسيوس " سيرة حياته وترجم إلى اللاتينية عن طريق بطريرك أنطاكية قبيل نهاية القرن الرابع م. أنظر: بنتلى، المرجع السابق، ص٥٣، إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص١٢٤.

(٦٣) هناك اختلافات حول أعدادهم والمناطق القادمين منها فالمؤرخ بنتلى يقول بأنهم كانوا مائتي (٢٠٠) مصري ومثلهم جاءوا من " ويلز " بالجزيرة البريطانية وأن الحاليين من سلالتهم

يسمون Dschebelijau، والبعض يؤكد بأنهم كانوا مائة وسبع من المصريين ومثلهم من بلاد " الصرب " أو " فلاشيا " أو " بلغار "، والسلالة الحالية تسمى " Djebeliya. أنظر: بنتلى، المرجع السابق، ص١٣، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٥، بيرمينوف، المرجع السابق، ص١٧٩، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٤ For-syth; Island of Faith ....., P. 12; Wellard; Op. Cit., P. 109.

(٦٤) أيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية، ٩ أجزاء (القاهرة: م المحبة، ١٩٨٨) جـ٨ ص٣٠-٣٢، والبعض يرى أن الاسم الجديد كان سنة ٦٠٠م حيث ذكر لأول مرة في المخطوط العنوان، " الشهيد انطونيوس " أنظر: السياحة في سيناء، المرجع السابق، ص٣٠.

(٦٥) هنالك صعوبة في تصديق الوقائع التاريخية التي جاء ذكرها من حكاية كاترينة، فأول ما يلفت النظر أن الكنيسة القبطية لا تذكر قديسة بهذا الاسم بين شهدائها، كما أن كلمة كاترينا في رأى البعض ليست اسم القديسة وإنها لقبت بتلك التسمية التي معناها بالإغريقية الطاهرة ومهما يكن الأمر فإن سيرتها محاطة بشيء من الغموض وأقرب للأسطورة منها للتاريخ والواقع.

(٦٦) زكى شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، جـ١ (القاهرة ١٩٨٦) ص١١٢-١١٣، أحمد أبو كف، المرجع السابق، ص٩٠، السياحة في سيناء، المرجع السابق، ص٣٠، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٧، بنتلى، المرجع السابق، ص٦٤، الموسوعة المصرية، المرجع السابق، ص٩٤٦، حسن حبشي، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٦) ص٩٩، مجلة مرقس، القديسة كاترينة شهيدة الإسكندرية (القاهرة، ١٩٨٧م) ص٨ Dobson; Op. Cit., P. 51 ; Bassili; Op. Cit., P. 103.

(٦٧) ويقال أن زوجة الإمبراطور نفسها آمنت بكاترينا. أنظر: **Wellard , Op. Cit.,** P. 111. S. Caterina Dalessondria Vergine e Mortire , Torino , 1938, PP. 1-15.

(٦٨) بنتلى، المرجع السابق، ص٦٤. ج. كوتل، المرجع السابق، ص١١١، خليل صباغ، " رحلة خليل صباغ إلى طور سيناء " في المشرق، السنة ٧، ١٩٠٤، ص٩٦٤، أفرام البستاني،

المصدر السابق، ص٧٤٠-٧٤٣. Bassili; Op. Cit., PP. 100 , 104; .Dobson; Op, Cit., 55 ; Fabri (f); Op.Cit., PP.601-604

(٦٩) (نصر الله الشاغورى، الذي قام بتجديد بلاط الكنيسة في عهد الرئيس اثناسيوس الطيب الذكر سنة ١٧١٥ للمسيح) راجع النص في خليل صباغ المصدر السابق، ص١٠١٢ Fabri; Op. Cit., P. 602 ;

(٧٠) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٠.

(٧١) فايز اسكندر، المرجع السابق، ص٥١ ؛ Basili; Op. Cit., PP. 104, 121 Dobson; Op. Cit, P. 51.

(٧٢) خليل صباغ، المصدر السابق، ص١٠٠٦ eakenstein, (L) ; Ahistery of Sinai , London,1921;P.172.

(٧٣) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١١٢.

(٧٤) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٨.

(٧٥) السياحة في سيناء، المرجع السابق، ص٣٥.

(٧٦) إنجيل متى ١٣:٣-١٧، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص٢٠.

(٧٧) الفريد بتلر، المرجع السابق، جـ٢ ص٢١٠ Dobson; Op. Cit., PP. 55-56, 84.

(٧٨) انظر المخطوط رقم ١٢١٦ يوناني ; K. clark; checklist of Mnuscripts in the St, Cat. Herine's Monastary Mount Sinai, Microfilned for the Ibrary of concress,1950,Washing tion,1952,P.31

(٧٩) يوحنا ذهبي الفم: ولد في دمشق، هو يوحنا ابن منصور في المراجع القبطية وقوربين ابن منصور في تاريخ ابن العبري عمل في الإدارة مع الدولة الأموية حتى اعتزال قومه وانتقل للصوامع وتعمق في اللاهوت ووقف أمام يزيد الثاني الخليفة الاموى الذي كان قد أمر بتحطيم جميع الإيقونات في كنائس النصارى سنة ٧٢٣م وليوحنا تأليف عديدة بعضها فلسفي وجدلي وزهدي ورهباني وتفسيري وتسبيحي، توفى في ٧٤٩م، في دير القديس سابا ودفن فيه، أنظر: أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى (بيروت: م الرسولية، ١٩٨٨) ص٦٨-٧٨. وحول قصة التجلي ورأى الكنيسة، أنظر: سامي شنودة، الصور المقدسة، ص١٩٦.

(٨٠) الرئيس ضولاس (زولاس) ٣٧٣م، هو أول رئيس ذكره التاريخ لرهبان طور سيناء، وفي أي امه غزا البجاة رهبان راية عند مدينة الطور، شقير، المرجع السابق، ص٥١٧.

(٨١) هكذا كانوا يؤرخون آنذاك – خاصة في روسيا – وتحسب بأن العام الأول الميلادي يوافق عام ٥٥٠٨ لآدم وهكذا... ثم قام بطرس الأكبر بقلب تقويم تاريخها السنوي من ٧٢٠٨/٩/١ لآدم إلى ١٧٠٠/١/١م.

(٨٢) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٢، شقير، المرجع السابق، ص٢٠٨، أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٥٩، خليل صباغ، المصدر السابق، ص٩٦٧، ١٠١١، عباس عمار، المرجع السابق، ص١٠٢، أبو كف، المرجع السابق، ص٩٤، داود عبده داود، " دير سانت كاترين بسيناء وأهميته في تاريخ الفن البيزنطي " في مجموعة المحاضرات العامة (الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، ١٩٦٥)، ص٣٤٨ والذي بقراءة مختلفة بعض الشئ عن القراء السابقة (دير جبل سيناء المقدس حيث كلم الله موسى. بناة مؤسسة جستنيان آخر ملوك الرومان. يعتمد على الله ويأمل في وعده والتخليد الأبدي لنفسه وزوجته يتودورا وتم الانتهاء منه في العام الثلاثين من حكمة وقد افتتح سنة ٦٠٢١ لأدم، سنة ٥٢١ منذ المسيح). أنظر:
Dobson ; Op. Cit., P. 50.

(٨٣) جوزيف نسيم، سيناء، كنوزها...، ص١٣٠، ويرى سوريال أن البناء كان سنة ٥٤٠، و" الفريد نورث " يتقدم بتاريخ البناء إلى سنة ٥٤٢م، وأن العمل ظل سارياً حتى وفاة جستنيان سنة ٥٦٥م، أما برمينوف فيرى أن البناء كان في سنة ٥٥٧م، والسياحة في سيناء ٥٤٥م، والموسوعة المصرية (محمد أمين) يرجع بتاريخ البناء إلى عام ٥٤٦م.

(٨٤) Atiya , The Arapic ….., P. 6.

(٨٥) Forsyth; Op. Cit., PP. 88; Atiya ; The Arabic …, P. XVIII

(٨٦) خليل صباغ، المصدر السابق، ص٩٩٥–٩٦٠، أفرام البستاني، المصدر السابق، ص٧٣٩.

(٨٧) الوثيقة رقم ١٣٣ في ١٦ جمادى أول ٩٤٧هـ / ١٥٣٦م من السلطان " سليم الأول " ١٥٢٠–١٥٥٦ إلى حاكم الطور للاستمرار في سد أحد أبواب الدير.

(٨٨) شقير، المرجع السابق، ص٢٠٧–٢٠٨.

(٨٩) Bassili;Op. Cit., P. 84

(٩٠) Dobson,Op. Cit., P. 58

(٩١) سامي شنودة، الصور المقدسة... ص١٩٢؛ Bassili ; Op. Cit., P. 82 , 84
وعندما وصل بعض الحجاج الألمان سنة ١٥٦٥م والبعض الآخر من جنسيات أخرى بعد عام ١٥٧٠م وجدوا البوابات مغلقة ومنذ ذلك الوقت وحتى الاحتلال البريطاني كان الدخول عن طريق تلك السلة، انظر: Wellard; Op. Cit., P. 110.

(٩٢) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١٠٧.

(٩٣) Bassili ; Op. Cit., P. 88 ; Dobasn ; Op. Cit., P. 80 ; Forsyth; Op. Cit., P. 86

(٩٤) افانجلوس، المرجع السابق، ص١٦.

(٩٥) Bassili ; Op. Cit., P. 113.

(٩٦) افانجلوس، المرجع السابق، ص٢٦، افرام البستاني، المصدر السابق، ص٧٤١ Rabino. Le Monster de Saina ; PP. 59, 61-64.

(٩٧) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١٠٨، شقير، المرجع السابق، ص٢٠٦-٢٠٧

(٩٨) افانجلوس، المرجع السابق، ص٢٦.

(٩٩) فيما يتعلق " بالإيقونات الشمعية " Encaustic وحتى سنوات قليلة كان المعروف من هذه الإيقونات في العالم كله قليلاً جداً وهي التي حملها الأسقف بورفيريوس أزنبسكس منتصف القرن التاسع عشر إلى روسيا، وهي الآن محفوظة في متحف مدينة كيف والبعض منها وصل إلى متحف برلين بوسائل مختلفة، أما كنوز الدير الحالية فتبلغ نحو الأربعين. أنظر:
داوود عبده، المرجع السابق، ص٣٥٥-٣٥٧ Bassili ; Op. Cit., P. 96-98

(١٠١) افانجلوس، المرجع السابق، ص٢٨. Atiya; the Arabic Monuscripts ....., P. 13 ;
Lina ; Op. Cit., P. 178; Rabino ; " Le Monastere de Sainte-Catherine (Mont Sinai). Sauvenirs Epicraphiques des Anciena Pelerins " in Bulletinde le societe Royaleceocraphie

(١٠٢) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٣-١٤.

(١٠٣) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١٠٨، شفيق، المرجع السابق، ص١٥ Bassili ; Op. Cit,m p. 97, 115.

(١٠٥) Bassili ; Op. Cit., PP. 116-117. ;

(١٠٧) ستيفان ناسك سيناوى عاش في منحدرات جبل موسى كحارس للجبل ومات ٥٨٠م، ويحتفظ الدير بهيكل عظمى له يبدو فيه جالس جلسة صليبية " مسيحية " وبيده عصاته. أنظر:

Rabino ; le Monstere de Sainte Catherine du Mont Sinai ....., PP. 117-121; Atiya; the Arabic Monuscripts.., P. XIX

(١٠٨) خليل صباغ، المصدر السابق، ص١٠٠٩.

(١٠٩) أفرام البستاني، المصدر السابق، ص٧٢٢.

(١١٠) نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢٢٣ ; Fabri (f) ; Op. Cit., P. 498 ; Dobson; Op. Cit., P. 88 ;

(١١١) " الشجرة المحترقة أو العليقة " برج يلجأ إليه النساك عندما يجابهون الأخطار، ويقال أن " هيلانة " قد بنته في القرن الرابع ويقع على مقربة من دير القديسة كاترينا وأصل هذه التسمية ظهور الله عز وجل لموسى وسط نبات من الشوك المتوقد والنبات مع ذلك لا يحترق، وتلك الشجرة تمثل شجرة توت أسمر ولكنها لا تثمر أو تعطى أي فواكه والرهبان يرقبونها ويخدمونها ويطيلون عمرها عن طريق القطع كلما اقتضى الأمر، وفي الماضي كان يسمح لبعض الحجاج بحمل ورقة من الشجرة كذكرى مقدسة. أنظر: سورة طه أي آت ٩، ١٠، ١١، ١٢، القصص أي ة ٢٩، النمل أي ة ٨٧، كما عبر عنها بصفة الترجي في سورة طه بمعنى أنه بورك من في النار ومن حولها أي من أرض الشام الموسوعة بالبركات لكونها مبعث الأنبياء.أنظر: أفانجلوس، المرجع السابق، ص٢٤ Dobson; Op. Cit., P. 54 , Bassili ; Op. Cit., P. 108 ; فايز اسكندر، المرجع السابق، ص٧-٨، خليل صباغ، المصدر السابق، ص٩٦٦، أفرام الشماس، المصدر السابق، ص٧٤٠، العهد القديم، سفر الخروج أي ة ٣: ٥.

(١١٢) خليل صباغ، المصدر السابق، ص٩٦٦، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٢-١٣. ' Dobson; Op. Cit., P. 47 – 48.

(١١٣) خليل صباغ، المصدر السابق، ص٩٦٦، افانجلوس، المرجع السابق، ص٤٢، رءوف حبيب، المرجع السابق، ص٥، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٥، افرام البستاني، المصدر السابق، ص٧٤٠، أبو كف، المرجع السابق، ص٩٢ – ٩٣.

(١١٤) Dobson; Op. Cit., P. 54.

(١١٥) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٤، افرام البستاني، المصدر السابق، ص٧٤٠، شقير، المرجع السابق، ص٢١٣، مرقص سميكة، دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة جـ٢ (القاهرة: م الأميرية. ١٩٣٢) ص١٥٥.

Forsyth; Island of Faith. P. 92 ; Kammerer (M.A.) ; Les Monesteres, (Le Caire , 1926) P. 144; وهناك الدراسة التي قدمها " أ. يوسف شكري " عن " محتويات الدير وبخاصة كنيسة العليقة " في المركز الثقافي الإيطالي بالإسكندرية ١٩٩٣/١٢/٢٢.

(١١٦) Bassili; Op. Cit., P. 95 – 96.

(١١٧) داوود عبده، المرجع السابق، ص٣٤٨.

(١١٨) Bassili; Op. Cit., P. 97.

(١١٩) طائر منقرض من فصيلة الحمام، أكبر قليلاً من الذيل الرومي، انظر: مرقص سميكة، المرجع السابق، ص٩٩، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٩، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١١٢

Bassili; Op. Cit., P. 98.

(١٢٠) جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص١٤٠ ; Forsyth. Op. Cit., P. 92

(١٢١) قارن مع " د / سوريال " الذي يرى أن الكنيسة قد بنيت بين عامي ٥٦١، ٥٦٥م. أنظر Atiya; the Arabic Manuscript ... Op. Cit., P. XVIII، السيد عبد العزيز سالم، " الآثار الإسلامية في دير سانت كاترين بطور سيناء " في العلوم، ع١، يناير ١٩٦٥، ص٢.

(١٢٢) أصطفان أصله من إيلياء " القدس " ورد اسمه في نقش يوناني (اصطفان بن ماريتربوس) وهو المهندس الذي قام ببناء الكنيسة ويبدو أنه كان بجانب وظيفته كمهندس مصوراً بارعاً. أنظر: عبد العزيز سلام، المرجع السابق، ص٧-٨، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٩، ونلاحظ أن التأثيرات المعمارية الإسلامية قد وجدت آثارها في عمارة الكنيسة ويلاحظ ذلك في الباب الخارجي واللوحات الخشبية المنحوتة من العصر الفاطمي. أنظر: داود عبده، المرجع السابق، ص٣٢٦.

(١٢٣) مثل كنائس القديس بطرس القديمة في روما، وسانت أبو لينارى الجديدة في رافنا، والقديس بولس خارج أسوار روما. وقد كان هناك اعتقاد عند المشتغلين بالفن البيزنطي أن طراز الكنائس البازيلكية توجد في الغرب فقط. لكن أمكننا العثور على بعض الكنائس كلها مبنية على الطراز البازيليكى مثل كنيسة أبو مينا بمريوط، والديرين الأبيض والأحمر بالقرب من سوهاج وكذلك الكنيسة التي اكتشفت بالأشمونين وقامت جامعة الإسكندرية بنشر تقريرهما في: A.G.B. Wace, A.H.S. Hagaw , T.G. Skeat: Hermopiolis Magna, Ashmunein, Alex unver ....., 1959. أنظر:
داود عبده، المرجع السابق، ص٣٤٤-٣٥٠، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٩، أبو كف، المرجع السابق، ٩٦ ومن أهم الكتابات التي تحدثت عن الكنائس أعلاه أنظر:
W.R. Lethaby Medieval Art, from the Peace of the church to the Eve of the Ramaissance (312 – 1350) Revised edition by D.T. Rice , London , 1949. PP. 45-46

(١٢٤) أفرام البستاني، المصدر السابق، ص٧٤٠، خليل صباغ، المصدر السابق، ص٩٦٦-٩٦٧، نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢١٣-٢١٤، Bassili ; Op. Cit., P. 97

(١٢٥) يبدو أن الاسم الصواب هو " افستراتيوس " ورفاقه هم " افسترابتوس، وأوكستسيوس، وأوجانيوس، ومرداريوس، واورستوس " وقد استشهدوا على عهد دقلديانوس في جهات الأرمن وشاع ذكرهم فدعوا بالخمسة وعيدهم يكون في ١٣ كيهك في أعياد الكنيسة. أنظر: افرام البستاني، المصدر السابق، ص٧٤١.

(١٢٦) خليل صباغ، المصدر السابق، ص١٠٠٣، ونفس العدد ينادى به فايز اسكندر في المرجع السابق، ص٤٥.

(١٢٧) انظر: الهرام الشماسي، المصدر السابق، ص٧٩٥-٧٩٩، خليل صباغ، المصدر السابق، ص٩٦٣، ١٠٠٦، شقير، المرجع السابق، ص٣٣، ٥٦، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٧، ١٩، ٢١، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١٢٢-١٢٣، فايز اسكندر، المرجع السابق، ص٥٠-٥١. Fabri (f) ; Op. Cit., PP. 608-611.

(١٢٨) أول إشارة وصلتنا عن المسجد كانت عن طريق الراهب " جاك الفيرونى " الذي زار الدير عام ١٣٣٥م وقال (أن المسجد قائم ببرجه – مئذنته – وهناك يمارس رجال الدين المسلمين شعائرهم دون اعتراض من الرهبان الخاضعين للسلطان المسلم، كما أشار إليه الحجاج الإيطاليين الذين سافروا من القاهرة للطور عام ١٣٨٤م ويلاحظ أن الوصف ممزوج بروح التعصب التي كانت سمة ذلك العصر، ونشرت رحلة الفيرونى في دورية الشرق اللاتيني عام ١٨٩٥.

(١٢٩)) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٥ Bassili ; Op. Cit., P. 109 ; Atiya; the Arabic…, P. 13; ويرجعها كل من أحمد رمضان وشقير إلى لحو خمسة عشر متراً، ويرجعها مرقص سميكة وسالم إلى عشرة أمتار عند الأول وستة أمتار عند الثاني وبالنسبة للسيد رابينو فقد حددها على مبعدة سبعة أمتار بالتقريب.أنظر: رابينو، المرجع السابق، ص١٠٤.

(١٣٠) نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢١٤، أحمد رمضان، المرجع السابق، ص١٠٠.

(١٣١) الخليفة " الأمر بأحكام الله أبو على المنصور " سابع الخلفاء الفاطميين وقد خلف عهده مخطوطين محفوظين بمكتبة الدير تحت رقمي ٧٢٦، والمخطوط السابع موضوعة أخبار الأيام (أول وثاني) في ٧٥ ورقة من القرن العاشر الميلادي. أنظر: بن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: دار الكتب، د.ت) جـ٥، ص١٧٠-٢٣٦، دائرة المعارف الإسلامية (القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩) جـ٢ م١، ص١٠٣-١٠٥.أما المقريزي فيقول أن الآمر هو الخليفة العاشر. أنظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، محمد حلمي أحمد، جـ٣ (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٣) ص١٣١-١٣٣.

(١٣٢) رابينو، المرجع السابق، ص٤٠٢، عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص٢-٣، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١٠٢، الموسوعة المصرية، المرجع السابق، ص٩١٢.

(١٣٣) لا توجد وثائق سينائية تتحدث من قريب أو بعيد عن مرور الحجاج المسلمين على الدير في طريقهم للأراضي الحجازية، خاصة ونحن نعلم أن درب الحجيج المصري لم يكن يمر بالدير. للمزيد من التفصيلات أنظر: محمد لبيب البتانوني، الرحلة الحجازية (القاهرة د.ت، ١٣٢٩هـ) ص٢٧–٢٨، سميرة فهمي على عمر، دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانية (رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩)، سليمان عبد العزيز مالكي، " طريق حجاج مصر والشام. انتشار الإسلام إلى منتصف القرن السابع عشر الميلادي "، المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م ٣٠–٣١، ١٩٨٤، ص٣٩–٥٩، أحمد دراج، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف (القاهرة: الانجلو، ١٩٦٨) ص٨٢–٩٨، عباس عمار، المرجع السابق، ص٢٠.

(١٣٤) توجد بعض الوثائق ترجع بناء المسجد إلى عهد الخليفة عمر بن الخطاب. أنظر: بيورلدى صادر من ديوان مصر المحروسة إلى قدوة المحافظين واغات قلعة الطور وكتخداية وسائر أعيانه وانفاره في ٢٠ رجب ١١٢٠هـ / ١٥ أكتوبر ١٧٠٨ في محمد محمود السروجي، دير سانت كاترين في تاريخه الحديث...، ص١٢٢. وعلى الرغم من أننا لم نعثر على نص مرسوم الخليفة الآمر إلا أنه توجد إشارة صريحة إليه في مرسوم الخليفة العاضد لدين الله بن محمد عبد الله، آخر الخلفاء الفاطميين، الذي صدر عام ١١٦٩م، والبعض يقول بأنه وجده ونشره، راجع: أحمد عيسى، " مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م٢، ١٩٥٦، ص١١٩–١٢١.

(١٣٥) المعلومات المتوافرة عن زخايا، قليلة جداً، أنظر: شقير، المرجع السابق، ص٥٢٠، Robino; Le Monastere de Saint – Catherine du Mont Sinai ...., P. 83

(١٣٦) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٥، أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٥٥، سالم، المرجع السابق، ص٣–٤، ويقارن علماء الآثار الإسلامية مسجد الدير من حيث الأهمية والزخارف بمنبر مسجد قوص في قنا.

(١٣٧) (بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. نصر من الله وفتح قريب. لعبد الله ووليه أبي على المنصور الإمام الآمر بأحكام الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه

المنتصرين. أمر بإنشاء هذا المنبر السيد الأجل الأفضل أمير الحرمين سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو القاسم شاهنشاه عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلا كلمته وذلك في شهر ربيع الأول سنة خمسمئة – أثق بالله).

(١٣٨) (بسم الله الرحمن الرحيم مما أمر بعمل هذا الشمع والكراسي المباركة والجامع المبارك الذي بالدير الأعلا والثلاث مساجد الذي فوق مناجاة موسى عليه السلام والجامع الذي فوق جبل دير فاران والمسجد الذي تحت فاران الجديدة والمنارة التي بحضر الساحل الأمير الموفق المنتخب منير الدولة وفارسها أبي المنصور أنوشتكين الآمرى)، هذا وقد أخذ شقير رسم الكتابة أعلاه على ورق نشاف عند زيارته للدير سنة ١٩٠٥م، وكان أحمد زكى باشا قد زار بدوره الدير سنة ١٩٥٥ وطبع الكتابة على قوالب من الجبس وقرأها له ولشقير " الشيخ مصطفى القباني الدمشقى " المتخصص في الخط الكوفي، أمـــا السيد " رابينو " فإن السيد حسن رشيد أمين متحف الفن الإسلامى هو الذي شرح له تلك الخطوط، والكرسى والمنبر محفوظلن في متحف الفن الإسلامى.

(١٣٩) ومنهم " مفتاح عبد الله " في ٢٨ رمضان ٩٢٥هـــ / ٢٥ / سبتمبر ١٥١٩م، سليم بن محمد الخطيب وبصحبته جماعة من عساكر الباشبوزق في ١٨ رجب ١٠٢١هـــ / ١٤ سبتمبر ١٦١٢م.

(١٤٠) من بين تلك النصوص (هو حبى ومعينى ومغيشى في مفتنى ومشهدى حضر في هذا الجامع المقدس المبارك العبد الفقير المعترف بالذنوب والتقصير، الراجي رحمة ربنا القدير، محمد بن مصطفى بن محمد بن عبد الله، الحقير غفر الله تعالى له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات... الخ). والنص الآخر يقول (بسم الله الرحمن الرحيم يافتاح يا عليم أودعت في هذا المكان المبارك شهادة إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كتبه رضوان الهوارى بن علي الرافعي، كان الله له أي ن ما كان، وأين ما ولى بوجهه وغفر له ولوالدية...). أنظر: سالم، المرجع السابق، ص٤-٥.

(١٤١) انظر: الوثيقة رقم ٢٢٥.

(١٤٢) انظر: الوثيقة رقم ٥١.

(١٤٣) انظر: الوثيقة رقم ٦٠.

(١٤٤) ففي كتاب " الأم " نص لمطران الدير " نيكوفورس الكريتي " في ١٧٤٤م يقول (إنه قد تم الاتفاق ببندر الطور بحضور الإمام بين تكينورس اقلوم الدير وكاتبه الخورى جرجس تلحمة من جهة وبين جماع أبو هديب وموسى ولد علي وغيرهما من جهة أخرى بشأن إنارة الجامع وتنظيفه) وبخصوص المطران " نيكوفورس مار ثالسى Nikephoros. Marthalls " فهو المطران رقم ٤٥ عند شقير (ص٥٢٣) والخامس والستون عند رابينو (ص٩٠) وهو من كريت ١٧٢٩-١٧٤٩ حيث أقام مطراناً على الدير مدة عشرون عاماً ثم استعفى ومات في بلدة كريت.

(١٤٥) انظر المخطوط رقم ٢٢٥٣ سيناء – يوناني، ص٢٦ نقلا عن السروجي، المرجع السابق، ص١١٥.

(١٤٦) انظر المرسوم رقم ١٢٩ في ٣٠ رجب ٩٤٠هـ / ١٥ ابريل ١٥٣٤م.

(١٤٧) انظر: الفرمان رقم ١٥٦ في ١٥ جمادى ثاني ٩٥٠هـ / يوليو ١٥٨٢م.

(١٤٨) رابينو، " جامع دير القديسة كاترين بطور سيناء... " ص٤٠٨.

(١٤٩) ألف " شمس الدين الشامي " (ت ٩٤٢هـ / ١٥٣٥م) كتاباً عن المسجد سماه " مطلع النور في فضل الطور " وتوجد منه نسخه تقع في ٢٢ صفحة بدار الكتب المصرية، كما أن جمعية محبي الآثار كانت قد اكتشفت إثناء زيارتها لدير سانت كاترين مسجداً أثرياً داخل الدير قبلته تجاه المسجد الأقصى ولم يعرف بعد من الذي قام ببنائه، أنظر: روز اليوسف، ع٣٥٦٣، السنة ٧١ سبتمبر ١٩٩٦، ص١٨. وقد قامت السلطات المصرية ممثلة في هيئة الآثار – بعد عودة سيناء إلى مصر – بالقيام ببعض الترميمات داخل الدير حتى انتقى أربعة عناصر معمارية ليشملها الترميم وهى (الكنيسة الرئيسية، الجامع الفاطمي ومئذنته، مبنى المصرة، أسفل الجامع مبنى الاستراحة خارج الدير) هذا وكانت منظمةَ اليونسكو قد شيدت في حدائق الدير بيوتاً صغيرة لاستقبال الزوار وتستوعب ما بين أربعين إلى خمسين زائراً يومياً. أنظر: آمال صفوت الألفي، آثار سيناء. دير القديسة كاترين (القاهرة: هيئة الآثار، ١٩٨٦م).

53 Kammerer, Op. Cit., P. 143 ; Dobson , Op. Cit., P. G.M. Sotiriou , Les Icones du Mont Sinai , Athens , 1958, Vol. 2 , P. 228

وهى أول دراسة علمية على نطاق شامل للدير كنوزه،

Weitzman , " The Jephthah panel in the pemd of the Church of St. Catherin's " in Dumbarton " , Oaks. Papers , U.S.A. , 1964, PP. 341-352; ….., " In-troduction to the Mosaics and Monumental Paintings. " In The Church and Fortres of Justinian , U.S.A. 1965, PP. 11-18; Ihor , Savcanko, Inscriptions, PP. 19-20 ; G, H, Forsyth , Introduction to the Architecture , PP. 5-10.

(١٥٠) شقير، المرجع السابق، ص٤٩٢.

(١٥١) انظر الفرمان رقم ١٢٤ في ٨ ذي القعدة ٩٦٦هـ / ١٥٥٨م لأمير العايد بالشرقية لمنع عربات تلك القبيلة من الاعتداء على الرهبان.

(١٥٢) أن بنى عبة أصحاب الدرك في قلعة المويلح " بير الحجاز، قعدوا على تجار من بنى واصل في ٤ صفر ١٠٠٢هـ / ٣٠ أكتوبر ١٥٩٣م. أنظر: شقير، المرجع السابق، ص١٠٦- ١١١، بالمقارنة مع: المقريزي، البيان الإعراب عما بأرض مصر من الإعراب للمقريزي مع دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، ت. عبد المجيد عابدين (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ١٩٨٩) ص١٨، ٤٦، ١٤٩.

(١٥٣) والنص يقول (... وقدم يحيه بن رؤية – ولعله تحريف يوحنا بن رؤية – على النبي (صلى الله عليه وسلم) من أي له وهو في تبوك فصالحه على الجزية وقرر على كل حاكم في حرباء وأذرح في السنة دينار فبلغ ذلك ٥٥ ديناراً وأشترط عليهم قرى من مر بهم من المسلمين وكتب لهم كتاباً بأن يحفظوا ويمنعوا فكان عمر بن عبد العزيز لا يزيد على أهل أي له عن ٣٠٠٠ شيئاً). أنظر: ياقوت الحموي، المرجع السابق، ص٢٧، كما أن أبو الحسن المسعودي يورد كتاب العهد في كتابة أخبار الزمان، ص٨٣، أيضا توجد صورة للعهدة النبوية المنسوبة إلى الحضرة الشريفة بتحقيقات أحمد زكى باشا وبكتابة محمد أحمد فتح الله ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م في ٢٨ ورقة مودعة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٨١٤ تاريخ. أنظر: مختار الوكيل، فهرست المخطوطات المصورة، جـ٢، القسم الرابع. التاريخ (القاهرة: معهد المخطوطات، ١٩٧٠) رقم ١٧٧٨.

(١٥٤) يرى مراد كامل أن مكتبة الدير تحتوى على ست نسخ من عهد النبي باللغة العربية، والحقيقة أن عددها ثمانية وثائق. كما يلي: ٩٦١،٦٩٦،٦٥٩،٥،٤،٣،٢،١، أنظر أيضا الوثائق من ١ إلى ٤٣ باللغة العثمانية، ويوجد من هذا العهد ثلاث نسخ. واحدة لدى الكنيسة القبطية " مخطوطات بطريركية الأقباط الأرثوذكس بالقاهرة، مخطوط رقم ٦١ تاريخ " والثانية في الدير، والثالثة لدى الإدارة الحاكمة. أنظر: محمد عفيفي، " الأقباط بين عهد الذمة وعقد الوطنية " في الاجتهاد، ع٣٠، بيروت، ١٩٩٦، ص٩٠.

(١٥٥) Bassili; Op. Cit., P. 81 ; Atiya , The Arapic Monscripts.., .PP. 13 , 23

(١٥٦) رابينو، " جامع دير القديسة كاترين بطور سيناء " في المقتطف، م٨٩، نوفمبر ١٩٣٦، ص٢-٤.

(١٥٧) Dobson , Op. Cit., P. 57

(١٥٨) Lina ; Op. Cit., P. 175

(١٥٩) بيرمينوف، المرجع السابق، ص١٨٠.

(١٦٠) أسد رستم، المرجع السابق، ص١٨٠، محمد حميد الله الحيدربادى، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة (القاهرة، ١٩٤١).

(١٦١) ينفرد " بنتلى " برأي يقول فيه " أن كتب التاريخ والتراث ذكرت أن الرهبان أرسلوا عام ٦٢٥م وفداً إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) طالبين حماية، كما تذكر بعض هذه الكتب (يلاحظ أنه لم يشير إلى هذه الكتب) أن النبي زار الدير، ويذكر الرحالة أنهم شاهدوا أثر خف الجمل الذي امتطاه النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) لا يزال مطبوعاً بشكل واضح على إحدى الصخور ". أنظر: جيمس بنتلى، المرجع السابق، ص١٧. وبعض الزوار الذين زاروا الدير في وقتنا الحاضر شاهدوا ذلك الأثر معلق في جدار داخل الدير.

(١٦٢) نعوم شقير، المرجع السابق، ص٤٩٥-٥٠٢، سيدة الكاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٣) ص٢٢-٢٤.

(١٦٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، جـ٢، ص٤١.

(١٦٤) يبدأ العهد هكذا. (هو الحق. هذا الكتاب الهي والأمر النبوي والألفاظ الطاهر بتحقيق الحقايق المصطفوى هذا الكتاب الأصلى كاتبه معاوية بن أبى سفيان بأمل (كذا) من المصطفى

(ص) وعلى آله أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين والحمد لله رب العالمين..) أنظر: سجل رقم ١٤٤ من سجلات محكمة القدس الشرعية، ص٥٧ وما بعدها، إلى سنة ١٠٦٠م، كامل العسلي، " دراسة أولية حول الوثائق العربية الإسلامية في أديرة القدس " في المجلة المغربية للتوثيق، ع١، تونس، ١٩٨١، ص٨٨.

(١٦٥) حنا أسقف نقيوس: التي هي قرية ابشادى بمركز تلا في المنوفية، توفى أواخر القرن الأول هـ / السابع الميلادي وقد وضع كتابه عن تاريخ مصر بالقبطية وجاء فيه ذكر الحوادث التي وقعت زمن فتح العرب لمصر، ثم ترجم هذا الكتاب إلى العربية واليونانية إلى أن قام أحد القساوسة المصريين بترجمة للأثيوبية. ولا توجد سوى تلك النسخة التي عنى بنشرها " د زدنبرج " إلى الفرنسية،

Chronique de Jean , eveque de Nikiou. Text Ethiopien Puplie et Tradtiet Par M.H. Zatenberg (Noticos et extraits des Manuscrits de la Bublotheque national et autres biblio theques. T 24, Paris , 1883).

وظهرت أخيراً ترجمة بالعربية عن النسخة الفرنسية، أنظر: حنا النقيوس، تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر، ت: ليزة عزيز اسكندر (القاهرة: م النسر، ١٩٩٦) ص٢٤٨، سيدة الكاشف " تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع وأهميته لدراسة التاريخ القومي " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، مج ٩-١٠، ٦٠-١٩٦٢، ص٩، سليمان نسيم، التربية في العصر القبطي، (القاهرة: دار الثقافة، ٨٩) ص٧٣.

(١٦٦) انظر المراسيم أرقام ١٧، ١٨، ٢١، ٢٤، ٣٣، ٥٠، ٥٩، ٧٧، ٩٨، سيدة الكاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة...، ص٣٥ – ٣٦.

(١٦٧) يبلغ عدد المراسيم والمناشير ١١٩ وأرقامها في مكتبة الدير من ٦-١٢٤ وأقدمها مرسوم الخليفة الفاطمي الآمر في ٣٠ جمادى الثاني ٥٠٢هـ / ١٠ فبراير ١١٠٩م، أنظر: Clark (K.W) , Op. Cit., PP. 38-39

(١٦٨) أنظر على سبيل المثال: " الكلمات المهمة في مباشرة أهل الذمة " للأسنوى ت ٧٧٢ هـ والذي قام على نشره Perman ونشره في بروكلين بأمريكا ١٩٦٩، " المذمة في استعمال أهل الذمة " لأبن النقاش المصري وهو ما زال مخطوطاً برقم ٣٩٥٢ تاريخ، و٤٣١٥ تاريخ بدار الكتب المصرية، " شروط النصارى " لأبى زبر القاضي الذي كتبه سنة

١٤٥٥م، مخطوط بدار الكتب رقم ٢٢٥٢ تاريخ، " معالم القربة في أحكام الحسبة " لأبن الأخوة المصري (ت ١٣٢٨م) وقد حققه " روبن ليفي " ونشره سنة ١٩٣٨ في مجموعة " جب التذكارية "، " أحكام أهل الذمة " لأبن القيم الجوزية ت ١٣٥٠م ونشر في دمشق في مجلدين سنة ١٩٦٣م.

(١٦٩) المقريزي، الخطط... جـ١، ص١٢٥، جـ٤، ص ٣٩٤ – ٣٩٥.

(١٧٠) ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، م١ (القاهرة: معهد الدراسات القبطية، ١٩٨٤) ص١٤٨ وبخصوص الجزية المفروضة على المسيحيين عموماً، أنظر: دانيل دينسيت، الجزية والإسلام، ت: فوزى فهيم جاد الله، مراجعة: إحسان عباس (بيروت: م الحياة، ١٩٦٠م) ص١١٥ – ١٨١.

(١٧١) للمزيد من التفصيلات حول حركة " الأيكونكوكلاست " أو حركة محطمي الصور. أنظر: زكى محمد حسن، " بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية "، في مجلة جمعية محبي الفن القبطي، م٣، ١٩٣٧، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ص١٥، ول ديورانت، " قصة الحضارة " عصر الإيمان، ت: محمد بدران. جـ٣، م٤، "١٤" (القاهرة: جامعة الدول العربية، ١٩٧٥)، ص١٥٤ – ١٥٨، أسد رستم، المرجع السابق، ص٧٩–٩٧

(١٧٢) يحيى بن سعيد الأنطاكي، تاريخ أو صلة سعيد بن البطريق (بيروت، ١٩٠٥م) ص٨٣، المنشور رقم ٩ في ذي الحجة ٥٤٨هـ.

(١٧٣) أبو صالح الأرمنى، كنائس وأديرة مصر (القاهرة، د.ت) ص٧٧–٧٨، المرسوم رقم ٦، ورقم ٨ صادران عن وزير الخليفة الفاطمي الحافظ ابن المظهر بهرام لمقولى الحرب والمستخدمين وذلك بمنعهم من اعتراض شئ يختص برهبان الدير ومضاعفة الإحسان للرهبان وحمايتهم.

(١٧٤) شقير، المرجع السابق، ص٥٢٠، أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٢٧، كما كان للدير أسقف مستقل ورئيس في بعض الأحيان وهما وظيفتان مستقلتان حيث تقول الوثيقة (أن قصة رفعت لأبوابنا الشريفة باسم عازر الأسقف ورفاقه النصارى ومقارى رئيس الطور بسينا). أنظر المرسوم رقم ٦٠ من قبل " السلطان قايتباي ".

(١٧٥) انظر المراسيم التالية: ١١في ١٦ محرم ٥٩٢هـ / ٢١ ديسمبر ١١٩٠م، ١٢ في ٥ ذي القعدة ٥٩٥هـ / ٢٩ أغسطس ١١٩٩م، ١٦ في جماد الآخر ٦٢٨هـ / ١٤٢٢م.

(١٧٦)) سلام شافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول (القاهرة: هيئة الكتاب ١٩٩٥) ص٢٣٧-٢٣٨، والمرسوم رقم ١٢ في ٥ ذي القعدة ٥٩٥هـ / ٢٩ أغسطس ١١٩٩م زمن حكم الملك " الأفضل نور الدين "، ١٦ في جمادى الآخر ٦٢٨هـ / ١٤٢٢م زمن حكم الملك الكامل " ناصر الدين أبو المعالي محمد ".

(١٧٧) انظر المنشور رقم ١١ في ١٦ محرم ٥٩٢هـ / ٢١ ديسمبر ١١٩٥م، من ديوان الملك العادل لرهبان طور سيناء، المكاتبة رقم ٧ في ١٧ ذي القعدة ٦٣١هـ / ١٢٣٣م، والتي غالباً ما ترجع لعهد الملك الصالح نجم الدين أيوب والخاصة بمنع العربان والرماكين والصدريين من الدخول إلى الدير وعدن تعرضهم لأراضيهم وتخيلهم وكرمهم

(١٧٨) سلام شافعي محمود، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والأيوبي ١٠٧٤ - ١٢٥٠م (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢) ص٢٥٣، بنتلي، المرجع السابق، ص١٨، أحمد رمضان، المرجع السابق، ص٦٦.

(١٧٩) انظر: سعيد عبد الله جبريل البيشاوى، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية - الممتلكات الكنيسة في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩ -١٢٩١م (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ١٩٩٠م) ص٢٣٢، وقد نشر " س.م " بعض الوثائق من العهدين الفاطمي والأيوبي في: مرسومان أي وبيان من سيناء في وثائق من المحفوظات الإسلامية (أكسفورد، ١٩٦٥) ص٩-٣٨) " عريضة فاطمية ومرسوم صغير من سيناء " في الدراسات الشرقية في إسرائيل، ع٣، ١٩٧٣، ص١٤٠ - ١٥٨.

(١٨٠) إبراهيم خميس، الوثائق المملوكية الصادرة لرهبان طور سيناء في عهد السلطان سيف الدين قلاوون ١٢٧٩-١٢٩٠م (الإسكندرية: د.ت، ١٩٩٠) ص٧.

(١٨١) المرسوم رقم ١٧ في ٥ صفر ٦٩٠هـ / ٧ ديسمبر ١٢٩٩م.

(١٨٢) المرسوم رقم ٦١ في ٣ محرم ٨٧٣ هـ / ٧ أغسطس ١٤٦٨م.

(١٨٣) التواقيع: نوع المراسلات الصادرة من ديوان الإنشاء وعليها توقيع السلطان وتفتتح بكلمة رسم الآمر.. أنظر: القلقشندى، صبح الأعشى في صناعة الانشا (القاهرة: م الأميرية، ١٩١٨م) جـ١٢، ص٩٨٣.

(١٨٤) المسامحة: وهى الجود والموافقة على ما أريد منه وقد جرت العادة أن السلطان إذا سمح بترك شئ كتب به مرسوم شريف وشملته العلاقة الشريفة وهى على نوعين: المسامحات العظام

وما يكتب عن نواب السلطنة بالمماليك الشامية وغالب ما يكون في مسامحات التجار بمقرر وما يبتاعونه أو يشترونه أو بقدر معين يحصل الوقوف عنده ويعبر عما يكتب فيه بالتواقيع وأكثر ما يفتح برسم الأمر.. أنظر: محمد قنديل البقلى، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٤)، ص٣٠٩.

(١٨٥) المكاتبة أو المكاتبات الخاصة بمصر وما يتبعها وحتى الخارج شملت العمل الرئيسي في ديوان الإنشاء، وقد كان لديوان الإنشاء المكاتبات التي تصدر عنه صيغة بالنسبة للجهة المرسل إليها وهذه المكاتبات نفسها لها أسماء مختلفة مثل مناشير، تواقيع، تقاليد، رسائل، وكتب ومكاتبات وملطفان وإن غلب عليها اسم المرسوم أو المرسوم السلطاني.. أنظر: المرجع السابق، ص٣٢٤.

(١٨٦) المثال والجمع مثالات، وهو أول ما كان يكتب في الأوراق الرسمية إيذاناً بإعطاء احد المماليك أقطاعاً من الاقطاعات الخالية، وكان المثال يخرج من ديوان الجيش ويقدمه ناظر هذا الديوان للسلطان أثناء جلوسه بدار العدل فإذا شمله السلطان بالموافقة ارسله ناظر الديوان النظر لتسجيله أو حفظه ويكتب بذلك مربعة فيها اسم المعين على الإقطاع ورتبته وغير ذله من التفصيلات اللازمة.. أنظر: المرجع السابق، ص٢٧٦، ٢٩٧.

(١٨٧) وثيقة وقف السلطان " الاشرف شعبان بن حسين " محفوظة بأرشيف محكمة الاحوال الشخصية بالقاهرة تحت رقم ٤٩ في ٣ جمادى الآخر ١٣٧٠م، الوثائق ارقام ٣٢، ٣٤، ٤٦، ٥١، سيدة الكاشف، المرجع السابق، ص٩٥.

(١٨٨)) الاوقات والاحباس: في اصطلاح الفقهاء حبس العين عن تملكها لأحد من العباد والتصديق بالمنفعة ابتداء أو إنتهاء فقط فمن الأول الوقف على الفقراء ومن الثانى وقف الانسان على ولده.. انظر: ابراهيم خميس، ثلاث وثائق مماليكية صادرة لرهبان سيناء في عهد قطز وبيبرس (الاسكندرية: د.ت، ١٩٩٠) ص٣.

(١٨٩) طائفة النصارى الملكية أو الملكانية: كانت إحدى الطائفتين المسيحيتين في مصر خلال فترة دراستنا حيث انقسم المسيحيون منذ البداية إلى عدة فرق كنتيجة للجدل الذي ثار بينهم حول طبيعة السيد المسيح وفي مجمع خلقدونية أدين " ديسقورس " بطرك الاسكندرية الذي نادى بأن المسيح طبيعة واحدة هى الطبيعة الأهية ومنذ ذلك الحين إعتنقت غالبية المصريين مذهب الطبيعة الواحدة واتخذ موقفاً عدائياً من الكاثوليك الذين اعتمدوا على تأييد الحكومة

الامبراطورية لهم واطلقوا عليهم اسم " الملكية " أو " الملكانية " بينما عرفت الغالبية أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة باسم " اليعاقبة " نسبة ليعقوب البرادعى أسقف مدينة الرها في الشام واعدادهم في مصر المملوكية قليلة ولهم بطريرك خاص... بيد أن وثائق سانت كاترين (مرسوم رقم ٨٣) على عهد قنصوة الغورى تكشف ان هذا البطريرك لم تكن له أي ة سلطة على دير طور سيناء ورهبانة بالرغم من أنه دير ملكانى. بل أن هذه الوثائق تكشف ان مقدد – مقدم – سانت كاترين كان يحمل لقب بطريرك في بعض الأحيان.. انظر: المرسوم رقم ٥٥ من عهد خشقدم، قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، دراسة وثائقية (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م) ص١٧٤٣ و.... " دراسة وتحقيق الوثيقة رقم ٢٥٢ من مجموعة وثائق دير سانت كاترين " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م٢٥، ١٩٧٨، ص٢٦٩–٢٧٠، جورج باقى، " البابا ديسوسقورس البطريرك الخامس والعشرون ٤٤٢–٤٥١م "، في رسالة مارمنيا الثانية عشر، (الاسكندرية، ١٩٩٠) ص٦٤ – ٨١، ستيفن رالسيمان، الحملات الصليبية من كليرمونت إلى أورشليم، ترجمة نور الدين خليل (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٤) ص٣٢.

(١٩٠) انظر الوثيقة رقم ٢٨٤ في شوال ٨٨١ هـ / يناير – فبراير ١٤٧٧م.

(١٩١) انظر الوثائق أرقام: ٤٥، ٥٥، ٧١، ٧٢، ٧٢، ٧٦.

(١٩٢) بيرمينوف، المرجع السابق، ص١٨١.

(١٩٣) انظر الوثائق ارقام: ٢٤١، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٦٢ من نوع بيع، ٢٤٤ مصادفة شرعية، ٢٥٩ وقف ٢٨٣ إقرار بدين في الفترة من القرن الثالث عشر وحتى القرن الخامس عشر.

(١٩٤) انظر الوثيقة رقم ٢٥٤ لسنة ٨٣٥ الخاصة بقطعة أرض لسيدة مسيحية ليس لها وريث ومدون فيها بالنص (إرثها إلى أهل ملتها)، وثيقة رقم ٢٥٦ لسنة ٨٢١ هـ وثيقة بيع وقف.

(١٩٥) انظر الوثائق ارقام ٢٤٤، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٨٢.

(١٩٦) انظر الوثيقة رقم ٢٨٦ في ١٣ جمادى أول ٨٨٣هـ.

(١٩٧) انظر المراسيم أرقام ٧٩، ٢٤، ٢٩، ٢٢، ١٧، ٥٩، ٥٠، ٤٦، ٣٢.

(١٩٨) انظر المراسيم أرقام ٣١، ٤٥، محمد امين قام بنشر تلك الوثيقة في دورية جامعة القاهرة فرع الخرطوم، ع٥، ١٩٧٣، ص٩٢.

(١٩٩) انظر المراسيم أرقام ١٨، ٢٢، ٤٥.

(٢٠٠) انظر الوثيقة رقم ١٧ في ٥ صفر ٦٩٠هـ / ٧ ديسمبر ١٢٩١م.
ويلاحظ أن السلاطين المماليك قد أعطوا الرهبان الفرنسيسكان في القدس مراسيم متشابهة إلى حد كبير لتلك المراسيم السينائية من حيث مضمونها ومحتواها وقد قام كل من الأب كاستيلانى والأب نوربيرتو ريشيانى بنشر صور لتلك المراسيم وبحوزتنا صورة من الكتاب النادر الخاص بريشيانى. أنظر:

Norerto Risciani; Documenti Efirmani. Gerusalemme , 1931.

(٢٠١) انظر الوثائق أرقام ٢٩٣، ٢٥٩، ٢٥٦.
(٢٠٢) انظر الوثيقة رقم ٢٥٩ في ٤ صفر ٧٩٣هـ.
(٢٠٣) مثل مرسوم السلطان " أي نال " رقم، ومرسوم السلطان " خشقدم " رقم ٥٥، ٥٦
(٢٠٤) مرسوم " خشقدم " رقم ٥٥، مرسوم " قايتباى " رقم ٥٧.
(٢٠٥) الوثيقة رقم ٢٨٠ في ١٥ رجب سنة ٨٦٠هـ، ٣٨٣ في سنة ٨٠١ هـ.
(٢٠٦) الوثيقة رقم ٢٦٠.
(٢٠٧) الوثيقة رقم ٢٨٤.
(٢٠٨) الوثائق ارقام ٢٥٦ في سنة ٨١٠هـ، ٢٦٢ في سنة ٨٥٤هـ، ٢٩٥ في سنة ٨٨٢هـ، ٢٥٨ في سنة ٨٤٩ هـ، ٢٥٢، ٢٢٥، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٨٠.
(٢٠٩) وثيقة رقم ٢٥٤ بيع في جمادى آخر سنة ٨٣٥ هـ.
(٢١٠) الوثيقة رقم ٢٥٦ في سنة ٨٢١هـ، ٢٥٨ في ١١ رمضان سنة ٨٤٦ هـ.
(٢١١) أنظر: عبد اللطيف ابراهيم، " من وثائق دير سانت كاترين ثلاث وثائق فقهية " في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م٢٥، جـ١، مايو ١٩٦٣، القاهرة، ١٩٦٧، ص٩٥-١٣٣ والوثائق التي نشرها هى أرقام ٢٧٧، ٢٨٥، ٣٠٦.
(٢١٢) الوثيقة رقم ٢٨٤ من نوع اعمال في شوال ٨٨١هـ / يناير – فبراير ١٤٧٧م.
(٢١٣) انظر على سبيل المثال المراسيم التالية. ارقام ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٣، ٥٠، ٦٠، ٧٦، ٧٩، ١٨٧، ١٠١، ولعلنا نلاحظ أن العديد من الوثائق وبخاصة المنتمية للعصر المملوكى والتي تحتوى التماسات يطلب فيها الرهبان من المماليك حمايتهم من بدو سيناء الذين كانوا يغيرون عليهم ابتغاء السلب والنهب، وكل هذه الوثائق أو العرائض كانت تتبع

الشكل العام الذي يصف، القلقشندى في دليل المحكمة العليا مع تغيرات طفيفة فيما يتعلق بوضع اسم مقدم العريضة بالنسبة للنص. أنظر: القلقشندى، المصدر السابق، جـ٦، ص٢٠٢-٢١٢.

(٢١٤) محمد أنيس، الدولة العثمانية والشرق العربى ١٥١٤ - ١٩١٤ (القاهرة: الانجلو، ١٩٩٣) ص١٢٦.

الفصل الثاني

الأوضاع الإدارية و الاقتصادية لدير طور سيناء

١ – اقتصاديات الدير :

في عام ١٥١٦ تقرر مصير الدولة المملوكية شمالي حلب في موقعة (مرج دابق) حيث تغلبت فيها الأسلحة النارية على شجاعة الفرسان الشراكسة الذين كانوا يحتقرون هذه الأسلحة، وكان لموت السلطان المملوكي العجوز أثناء القتال وتدبير المؤامرات داخل معسكره، بالإضافة إلى مكانة السلطان العثماني كحامي للإسلام وخليفة وأميرا للمؤمنين، كل هذه العوامل المتقدمة وغيرها كانت وراء ذلك الانتصار الكامل الميسور الذي حققه العثمانيون.

وبمجيء العصر الحديث مع بداية القرن السادس عشر الميلادي وانهزام المماليك أمام الفتح العثماني في مصر (١٥١٧)، إذا بالعثمانيين يقيمون حدا لاستقلال الدولة المصرية يكبح تطورها الثقافي والأدبي والعلمي، ولقد أنطوى هذا الفتح على عواقب اجتماعية جوهرية بالنسبة لمصر التي تحولت من مركز لدولة إلى مجرد ولاية في دولة، فقد حدث تغيير شامل للهياكل الحكومية العليا وإحلال أخري مكانها، وحدث نفس الشيء بالنسبة لكبار الموظفين في المجتمع.

وفى هذا الصدد تبرز الطبقة الإقطاعية الجديدة حيث انتقلت ملكية جزء كبير من أرض مصر إلى ملاك جدد من العثمانيين[1] الذين لم يستحوذوا على الأرض فقط بل على المناصب العليا أيضًا وخاصة الدينية والإدارية و العسكرية وقد كان واضحا أن العثمانيين الذين شغلوا تلك المناصب كانوا في الغالب أدني ثقافة من ممثلى السلطة السابقين.

وجدير بالذكر أن الفترة من نهاية القرن السادس عشر حتى نهاية القرن الثامن عشر قد شهدت نفوذ البكوات في مصر، حيث كانوا يشغلون جملة من أهم المناصب مثل "الدوادار" [٢]"والقائم مقام " [٣]وأخذوا يسعون إلى استعادة نفوذهم وجرت بينهم وبين حكام البلاد الوافدين من استانبول مصادمات عديدة [٤]كانت تنتهى عادة لمصلحة البكوات، وقد وصلت هذه المصادمات إلى حد بعيد، لدرجة أن أحد البكوات وهو (على بك) أعلن الاستقلال عن السلطان العثماني سنة١٧٦٩، ويمكن القول بأن البكوات وأن كانوا قد اعترفوا شكليا بسيادة السلطان العثماني، إلا أنهم قد حافظوا على استقلالهم عمليا [٥].

وفيما يتعلق بالكنيسة الأرثوذكسية ونظام الملل في داخل الإمبراطورية العثمانية.فبإمكننا أن نفترض أن سلاطين آل عثمان – حتى لو لم يتوفر لدينا الدليل المباشر– لم يطبقوا نظام الملل في إمبراطوريتهم إلا بعد فتح القسطنطينية، وأنهم كانوا يطبقون مبادئه بالفعل على الجماعات الإسلامية الخاضعة لحكمهم. على أن أدلة كافية وأن تكن متناثرة قد وصلتنا من الفترة الأولى لتجعل هذه الحقيقة مؤكدة سواء بالنسبة إلى الأرثوذكس أم اليهود.

وهكذا ففي الوقت الذي تم فيه الفتح العثماني كان الفرع السلافي من الكنيسة الأرثوذكسية الداخل في حوزة السلطان يضم ما لا يقل عن ثلاث بطريركيات منفصلة، وحينئذ كانت هذه الكنائس برغم أن لغة طقوسها الدينية كانت سلافية، تفصلها عن الأرثوذكسية اليونانية خلافات لا ترتبط بالعقيدة بل بحركات عرقية وأسرية.

وقد نظم العثمانيون الكنيسة باعتبارها "مللت" يخضع لسلطة البطريرك وخلع عليها اسم (روم مللتى) أى الطائفة الرومانية.ونتيجة لفتح سوريا ومصر ثم قبرص وكريت أصبحت الإمبراطورية العثمانية تضم كل الأراضي التي كانت الكنيسة

الأرثوذكسية قد ازدهرت فيها وبخاصة البطريركيات الثلاث القديمة في أنطاكية و القدس والإسكندرية وكان تركيب الكنيسة الأرثوذكسية يختلف عن تركيب الكنيسة الكاثوليكية من حيث أنها لم تكن لها رئيس أعلى. وكانت تدير شئونها أوليجاركية من البطاركة الذين كان كل منهم يتمتع داخل أبروشيته بوضع شبيه بوضع البابا الكاثوليكي.

ولكن تعزز تفوق العنصر اليوناني في الولايات السورية – وفي دير سانت كاترين – بمقتضى مرسوم يعزى إلى البطريرك جرمانوس في أعقاب احتلال السلطان سليم الأول لها نص على تحريم دخول الرعايا اليونانيين من سكان سوريا وفلسطين الذين يتكلمون العربية إلى الأديرة اليونانية مما عرقل توليهم المراكز الكهنوتية العليا، وهذا ما حدث في فلسطين حيث أن هيئة الكهنة كانت تختار كلها منذ القرن السادس عشر من (أخوة القبر المقدس) التي كانت عضويتها قاصرة على اليونانيين، ونفس الشيء كان مطبق في دير سانت كاترين فهيئته العليا جميعا أنتسبت لليونان.

كما كانت الشريعة الإسلامية تنص على عدم فرض الجزية على الرهبان الذين كانوا يعيشون في أديرة لا تخصص لها أوقاف كافية. وفي العهد العثماني كان هذا الشرط الأخير يتسع بحيث يشمل كل رجال الدين على اختلاف دياناتهم (٦).

وإذا أتينا لموضوع الدراسة وهو دير سانت كاترين، فإننا نجد أن الدير قد مر بفترة عصيبة إلى حد ما عما كان عليه أيام حكم المماليك، فبمجيء العثمانيين، اعتبر السلطان سليم الأول نفسه حاميا جديرا للدير خاصة بعد أن أعطاه الرهبان الأصل المزعوم لعهد النبي محمد (صلي الله عليه وسلم) (٧)حتى أن ملوك أوروبا قد حذوا حذو السلطان سليم وأظهروا اهتماما بالغا تجاه الدير عن طريق تقديم مبالغ مالية و المشاركة في المحافظة على أملاك الدير في أقطار مختلفة من العالم.

على أن كتب التاريخ تذكر أن العثمانيين عندما بسطوا نفوذهم على سيناء طلبوا من رهبان الدير دفع جزية سنوية مقدارها ٧٠٠ دوكا فما كان من الرهبان إلا أن التجاوا لأوروبا طلبا للمساعدة، ووعدهم ملك فرنسا لويس الحادي عشر بإعطائهم منحة قدرها ٢٠٠٠ دوكا سنويا، كما وعدهم إيزابيل ملكة اسبانيا بمنحة سنوية مقدارها ٥٠٠ خمسمائة دوكا[٨]. وحتى عندما انقسمت الكنيسة على نفسها وأنفصل الإغريق عن روما كانت الصدقات تجمع من مختلف أنحاء أوروبا لإرسالها إلى الدير، وقد اعترض بعض رجال الدين الكاثوليكي على المساعدة الممنوحة لأناس منفصلين عن البابوية، واحتج أحد المؤرخين في نهاية القرن الخامس عشر على تلك التبرعات. وفى عام ١٥٦٩م أرسل رئيس الدير للإمبراطور ماكسيميليان خطابا يطلب منه مبلغا من المال لإعطائه للسلطان العثماني حتى يوافق على الفرمانات الممنوحة لصالح الدير وللمرة الثانية تعترض الكنيسة الكاثوليكية خلال القرن السابع عشر على جمع الأموال من أوربا لصالح الدير زاعمة أن تلك الأموال تذهب لتوسيع نفوذ الكنيسة الإغريقية في الشرق على حساب الكاثوليك في الغرب[٩].وقد امتد نشاط الدير الحضاري والتعليمي خارج سيناء في القرن السابع عشر إلى أن وصل اليونان التي كانت ولاية تحت السيادة العثمانية.فأسست مدرسة العلوم والرسوم الشهيرة في (باراكليون-كريت)حيث تخرج كثير من رجالات ذلك العصر وكذلك امتد نشاط الدير لأقطار أخري مثل فلسطين ورومنيا والأناضول وروسيا وحتى الهند، وبالطبع مصر حيث وجدت الأديرة السينائية (الموجودة على أرض سيناء) والتي تطورت بدورها إلى مراكز روحية حقيقية وسنتناول فيما يلي أوجه النشاط الاقتصادي والإداري للدير بالاعتماد على الوثائق المتاحة لنا بالدرجة الأولى ثم الاستعانة بالكتابات المعاصرة والحديثة في هذا الموضوع الذي يتسم بندرة مصادره. فإذا أتينا إلى واردات الدير نجد أنها كانت من سيناء وحدها في العام كما يلي: حوالي (٣٥٠٠) ثلاثة آلاف وخمسمائة أقة من الزيت.ونحو (١٥٠٠) ألف وخمسمائة أقة

من النبيذ يستخرجونه من البلح ومن السبرتو وحوالي (١٥٠٠) أقة مستخرجه من العنب ومن العرق بالإضافة إلى (٥٠٠) خمسمائة أقة مستخرجه من البلح في مركزهم بمدينة الطور وفوق ذلك كان للدير وارد من البلح يقدر بنحو (٢٠,٠٠٠) أقة. ولقد كان للدير دخلا سنويا من أبعديته في سيرياقوس حيث كانت هناك عدة بيوت في (الخانكاة السيرياقوسية) يتم تأجيرها بمعلوم محدد أن الرهبان بالطور أنهوا إلينا أن لهم بيتا أو عدة بيوت في (الخانكاة السيرياقوسية)[١٠].

أما عن واردات الدير من خارج سيناء فلقد كانت كثيرة ووفيرة تأتي إليه من أملاكه المنتشرة في مصر والشام وآسيا الصغرى و أوروبا، ولقد حصل الدير على مر العصور على الكثير من إعانات الأباطرة والملوك والرهبان الطيبين أمثال البابا جريجورى (Gregory) الذي أرسل دعما من روما للدير. وهناك شارل السادس الذي أرسل بدوره بعض الأكواب الذهبية إلى الدير، ثم توالت الهبات والمساهمات للدير من حكام فرنسيين وإسبان وألمان، وفي القرن السابع عشر الميلادي قام البابا الكاثوليكى بمنح يوحنا كليماكوس رئيس الدير وقتئذ أغطية صوفية لخمسة عشر سريرا ومبلغا من المال لشراء ريش للوسائد.

وطبقا لأقوال البابا "هونوريوس Honorius " فقد كانت ممتلكات دير سانت كاترين في كريت تتكون من كنائس المنقذ المقدس Holy Saviour وسانت جورج St. George وسانت سيمون St. Symen وكذلك كل ما يخصهم من أراضى ومنازل في كل من Sclavevafe،Macrin Chicon، Ayiovs. Nikolaos،Vines وكذلك دير سانت جون .St.John Chrysostom في منطقة Rucanum وأيضًا جبلى Serfs،Casolia وكذلك أماكن تسمى Gaetania،Cunavo، Pezia، Paraskeve، وكنيستى سانت نيكلوس St. Nicholos وسانت باربارا St.Barbara في مدينة Candia.

ويتضح من القائمة أعلاه أن ممتلكات الدير في كريت كانت قيمة جدا وتتكون عامة من ممتلكات ريفية وفي العاصمة الكريتية Candia [١٢] وذلك بالمقارنة بقبرص نجد أن الممتلكات كانت محدودة وتتكون من منازل وجنيه ذهب واحد يحصل علية الدير من دخل ضرائب السوق. ولكن البابا Honorius لم يخبرنا ما إذا كانت ممتلكات الدير في كريت وقبرص أو حتى في سوريا اللاتينية – أي أثناء فترة الاحتلال الصليبي لساحل بلاد الشام، كانت قبل أو بعد أن وقعت تلك المناطق تحت السيطرة اللاتينية، ولكن على كل الأحوال فقد كانوا جميعا خاضعين تحت السيطرة اللاتينية منذ القرن (XIII) الثالث عشر.

ويذكر أنه في سنة ١٢٠٣م قام رئيس أساقفة كريت بمنح رهبان الدير أملاكا و أراضى في كريت تعود على الدير بما قيمته أربعمائة دوكا سنويا، ولما سيطر أهالي البندقية الفينيقيون على كريت سنة ١٢٠٤م اقر قاضى البندقية المدعو بيتروزيانى، الرهبان على أملاكهم في كريت، كما حذا بقية القضاة حذو بيتروزيانى حتى فقدت البندقية سيطرها على الجزيرة وذلك في عام ١٦٤٥م،كما تجدر الإشارة إلى أن الباباوات في القرن الثالث عشر أقروا للرهبان جزءًا من عائدات الأراضي التي احتلها الصليبيون [١٣]وهناك أحد الرحالة من سادة (كانديا) باليونان الذي ترك للدير وقفا يقدر بنحو أربعة آلاف من الدوكات (عملة بندقية وزنها حوالي ٣,٥جم ذهب)، وأوصى بأن يصرف جزء منهم على وكالة الدير بالقاهرة، وبالمقابل منحه الرهبان شعار القديسة والذي هو عبارة عن عجلة ذات أسنان ذهبيه[١٥]، وفى عام ١٧٩٨م أرسل نابليون بونابرت – أثناء وجوده في مصر – التحيات للرهبان وأمر بإعادة ترميم جدران الدير،كما يستدل على ذلك من منشوره الذي جاء فيه (يبقون متمتعين بسلام بالامتيازات الممنوحة لهم في أنحاء عديدة من سوريا ومصر، سواء كان فيما يختص بأراضيهم أو بمحصولات تلك الأراضي)[١٦].

أما بالنسبة لمؤنة الدير من قمح ودقيق وحبوب ومأكل ومشرب فجميعها من مصر، ويأتي الزيت والسيرج وغيره من غزة والرملة [١٧]، أيضًا كان يدخل للدير ما يسمى بالجباية التي كانت تؤخذ من البلدان التي يقطنها المسيحيون التابعون للمذهب اليوناني وفي حالات أخري كانت تسمى بالنذور والصدقات[١٨] وكانت تصل من رشيد ودمياط والبرلس والإسكندرية وغزة ويافا وبيروت وصيدا وطرابلس واللاذقية والنواحى المصرية والشامية والثغور الإسلامية الأخري، هذا وقد رتب (الموسكوفيون) — القادمون من موسكو — عربات نقل تحمل المؤونة الغذائية للدير التي ترسل من القاهرة سنويا، وكان يتم حراستها بواسطة الروس أنفسهم [١٩].

وفى بعض الأحيان كان الرهبان يتكسبون عيشهم عن طريق تأجيرهم ثورين أو أكثر أو بعض البغال والجمال لغرض الزراعة والحمل للمسيحيين والمسلمين على السواء[٢٠].

وتذكر المصادر أن الدير قد امتلك رواق للسكنى في حارة الجوانية بمدينة القاهرة القديمة، كانت تؤجر قاعاته للأشخاص العاديين رهبانا كانوا أم علمانيين، ومن أمثلة الرهبان سليمان وجرجس ويوسف والمعلم جرجس الراهب الوكيل بدرب الجوانية. والمعلم سرابيوس القسيس الذي سكن في رواق للمرحومة زينب خوند الخصكية.

ومن الجدير بالذكر أن الذي يقوم بتسجيل تلك الحسابات كان من المسلمين، ومن أمثلة ما وصلنا من أسماء : الفقير عبد الرؤف بن احمد السنباطي الشافعي وأخيه عبد الحق وهم أولاد الشيخ إبراهيم بن الحق السنباطى. هذا وكتبت بعض الوثائق باليونانية وهكذا ، ومن أمثلة تلك الوثائق..

(وصل المعلم أفلون الراهب بادوفيليس ليد الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ ابراهيم عبد الحق السنباطى عن اجرة القاعة والرواق بالجوانية وقف المرحومة زينب الخاصكية) [٢٢].

أما مركز الدير في القاهرة، فقد كان يمد الدير سنويا من الحبوب ما مقداره ٥٠٠ خمسمائة إردب، منها مائة إردب فولا، وسبعين إردبًا شعيرا، مائة وخمسين إردبًا ذرة، عشرة إرادب عدسا، والباقي قمحا، بالإضافة إلى مائة وخمسين كيسا من التين، وتجدر الإشارة إلى أنه لا ينال الرهبان من هذه الحبوب كلها سوى (٥٠) خمسين إردبًا، والباقي ينفق على العربان وزوار الدير من المسكوب وغيرهم [٢٣]، وتنفق معظم إيرادات الدير على ترميمه وتجميله وشراء لوازم المعيشة الضرورية للرهبان الذين كان يتراوح عددهم وقتئذ بين الثلاثين والستين، أما المقيمون بالدير الرئيسي فعددهم يتراوح بين خمسة عشر وعشرين، والبقية موزعون في فروع الدير أو توكيلاته بالقاهرة والسويس والطور وفيران. وقبرص وكريت، وخيوس والقسطنطينية وطرابلس وأسمرا.

ولقد كان للدير في تلك الجهات آنفة الذكر بمتلكات زاد عددها من قرن لآخر، وكان للدير عمال في تلك الجهات تزايد عددهم من وقت لآخر أيضًا، وفي الحقيقة ليس لدينا معلومات مؤكدة عن أعدادهم في البدايات الأولى للدير، وإن كان الرقم المسجل في نهاية العصور الوسطى يتراوح بين الثلاثمائة والأربعمائة، وكانوا خليطا من السوريين والأرووام والأرمن واللاتين والأحباش والمصريين وآخرين، وقد ساد الأرمن في القرنين الثامن والتاسع، وساد اللاتين بعدهم مدة ثم عادت السيادة للأرووام، ومنذ العصر العثماني وإلى الآن فجميع الرهبان يونانيو الجنس و الثقافة على مذهب الروم الأرثوذكس وأكثرهم يفهم العربية وبعضهم يجيدها [٢٤].

أما عن عدد الرهبان في كل سيناء فيلاحظ أنه اختلف اختلافا كبيرا باختلاف الأزمنة كما اختلفت ظروفهم المعيشية والأمنية، ففي بداية القرن الحادي عشر كان عددهم حوالي ثلاثمائة، ومع بداية القرن الرابع عشر صار عددهم حوالي أربعمائة راهب أو أكثر قليلا، وقد وصلت مجموعة من الحجاج الايطاليين للدير حيث كان يوجد ٢٠٠ راهب بخلاف ١٥٠ يخدمون الكنائس الملحقة بالدير، ٥٠ يخدمون الكنائس الأخرى الخارجية على (جبل موسى) ومع أواخر القرن ذاته وصل عددهم إلى حوالي مائتين[٢٥]وظل هذا العدد ثابتا نسبيا حتى أواخر العصور الوسطى، وفي العصر الحديث بدأ عددهم في التضاؤل بسبب تأسيس العديد من الأديرة الأخرى في مراكز مسيحية مختلفة كقبرص وكريت وأثينا وأديرة البحر الأحمر القبطية، بالإضافة إلى ضعف وانطفاء الحماس الذي صاحب حركة الرهبنة والديرية في بدايتها، وذلك بفعل التطور الثقافي الذي صاحب العصور الحديثة، ففي العصر العثماني ومع تدهور العلاقات بين الدولة العثمانية ودول أوروبا هجر الرهبان الدير، وربما ذهبوا إلى ميناء الطور حيث وصل عدد الرهبان وقت زيارة التاجر باسيل بوسيناكوف لجبل سيناء عام ١٥٥٨م حوالي تسعين راهبًا، ثم قل عددهم بسبب اضطهاد العربان المقيمين بجوارهم إلى ثلاثين راهبا دون إحصاء النساك والخلايا في الجبال على أن الرحالة الروسى باسيل جوجارا (Basile Gogara) يقرر عام ١٦٣٤م أن عددهم أكثر من ثلاثمائة [٢٦].

ومع ذلك فهناك ثمة إجماع بين المصادر التاريخية على تناقص عدد الرهبان في العصر الحديث، فمثلا يذكر الرحالة فولني أنه مع نهاية القرن الثامن عشر كان بالدير خمسون راهبا. إلا أن هذا العدد تناقص إلى ثمانية وعشرين عام ١٨٠٠م إلى أن وصل ثلاثة وعشرين عام ١٨١٦م.

أما دي جاسبارين فلم تجد أثناء زيارتها للدير عام ١٨٤٨م سوى اثنين وعشرين راهبا، وفي عام ١٨٩٤م لم يتعدى عددهم العشرين، وقد لوحظ أن كل

هؤلاء الرهبان كانوا من الإغريق (اليونان) وأن جاسبارين قد عثرت على راهب واحد فقط من بلاد البوسنة عام ١٨٤٨م [٢٧].

٢- النظام الإداري :

وفيما يتعلق بالتنظيمات الداخلية وتوزيع الوظائف في الدير وطريقة الإدارة نجد أن للدير هيئة تعرف بهيئة رجال الدير، وهى مسئولة عن إدارته وهى تتألف غالبا من المطران وخمسة قساوسة وشماس وعدد من الرهبان يتراوح بين أربع وثمان بخلاف الخدم من غير المترهبين والمقصود بهم خدام الدير من قبيلة الجبالية.

وللرهبان مجلس خاص يحكم بأكثرية الأصوات ويقوم بانتخاب الرئيس أو المطران ويكرسه بدوره بطريرك القدس، والبطريرك Archbishop هو الأعلى في الدرجة الدينية لجميع من في جبل سيناء والكنيسة تكون تحت وصايته ويقيم المطران في الدير حيث يتولى إدارته ويساعده في ذلك مجمع يتكون من نائب، وأمين صندوق وأمين مخازن، وكانت هناك وظيفتان في دير سانت كاترين هما :

(١) أسقف الدير وهو يتولى مسئولية رهبانه مقدما عليهم ومشرفا على النواحي الدينية الكنسية والطقسية.

(٢) رئيس الدير ومسئوليته هي إدارة شئون الدير وممتلكاته وأوقافه في مصر وخارجها، ورئيس الدير أقل رتبة ومقاما من الأسقف كما تدلنا على ذلك مجموع المراسيم بشأن تولية بعض الأساقفة وبعض رؤساء الدير، وكان الأسقف يسكن الدير غير أن وجوده بالقاهرة كان مطلوبا للمهام الخاصة بالدير [٢٨] وكان يتم اختيار الأسقف عن طريق انتخاب يصوت فيه الرهبان وبالنسبة للرهبان الغائبين أو المتخلفين

عن الانتخاب فكان يصوت عنهم بالإنابة. وكان من اختصاص المطران والمجمع نقل الرهبان من وظيفة لأخرى ومن دير لآخر.

كما أن الرابطة (المجمع) كان لها عزل الأسقف، وأن كان للأسقف الحق في أن يرفع هذا القرار إلى البطريركية في القدس، فإذا لم يوفق بين الطرفين رفعوا أمرهم لبطريرك القسطنطينية وحكمه نافذ.

ويلقب مطران الدير الرسمي بـ (مطران جبل طور سيناء والطور وفيران) وتكون حلته عبارة عن :

١- تاج مرصع بالحجارة الكريمة

٢- عصا أسقفية مصنوعة من الذهب والحجارة الكريمة

٣- العصا الرئاسية للدير "خيزرانة "ومقبضها من الذهب

٤- صليب رئيس الأساقفة وهو مصنوع أيضًا من الذهب والحجارة الكريمة

٥- "أنكولبيون " رئيس الأساقفة الذهبي وفيه خشب منقوش يمثل معلقة الملتهبة[٣٠].

وينفرد أنطونيوس الشهيد الذي زار الدير في القرن السادس الميلادي بذكر خبر مضمونة أن الدير كان له ثلاثة رؤساء رئيس يعرف اللاتينية وآخر يعرف اليونانية وثالث مصري[٣١] من الملاحظ أن بطريرك الطائفة الملكانية " الروم الأرثوذكس " في مصر لم تكن له أية سلطة على الدير رغم أنه دير ملكاني، بل إن وثائق الدير توضح أن مقدم سانت كاترين كان يحمل لقب بطريرك في بعض الأحيان[٣٢].

وأحيانًا كان رئيس الدير يعزل إذا صدر عنه خطأ ما تمامًا مثلما حدث للقبرصي مرقص الذي عين عام ١٥٤٠م وعزل بواسطة اجتماع عقد في القاهرة تحت إشراف بطاركة الإسكندرية والقاهرة والقدس[٣٣] وقد فضل بعض أساقفة البر

خدمة ربهم في أماكن أكثر تحضرا وتمدينا وبعيدا عن هجمات البدو فكان استقرارهم في مركز الدير بالقاهرة، مع جعل مناسبة واحدة في العام لزيارة الدير، فمنذ سنة ١٧٨٢م وحتى ١٨٧٢م لم يزر أي أسقف الدير إطلاقا، وكان المقيمون في الدير من كبار السن أو لم يجدوا مكانا آخر[٣٤]. وهناك من رؤساء الدير من انتقلوا إلى رئاسة كنيسة القسطنطينية الأرثوذكسية كالأب كـوزموس الأول (Cosmos.1) الذي أصبح بطريركا للقسطنطينية بعد عام واحد من ترشيحه لرئاسة دير سانت كاترين وكان ذلك في حوالي عام ١٧٠٤م لكن يبدو أنه عزل من منصبة الجديد فرجع إلى الدير حيث قضى بقية حياته[٣٥] وكان رئيس الدير في ذلك الوقت هو المطران " اثناسيوس فارياسيوس Athenasus[٣٦] والذي تلاه بعد ذلك كان المطران Jaamicus II [٣٧]وفى أثناء رئاسته للدير جاءه بطريرك القسطنطينية Jeremiah كلاجئ وأقام في سيناء، وقد كتب رئيس الدير اثناسيوس الثانى تقريرا قصيرا عن سيناء وترجم للإنجليزية بواسطة القس كلايتون (Clayton) سنة ١٧٥٣م وقرئت تلك الترجمة على جمعية الآثاريين في لندن ثم قدم كلايتون مبلغا من المال قدره خمسمائة جنية كمساعدة في اكتشاف جبل سيناء، ولكنه لم يتم اتخاذ خطوة محددة في هذا الصدد[٣٨].

على أنه مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين توالت البعثات البحثية والأثرية على جبل سيناء، وهذا ما سنفصل فيه القول بمشيئة الله في الفصل الرابع.

ومن الجدير بالذكر أن الباباوات خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر قاموا بمنح حمايتهم للدير[٣٩] كما منحوا امتيازات أكدوها بموجب بيان بابوي، بحيث ترقى رئيس الدير إلى درجة بطريرك واتسعت سلطاته لتشمل الأبرشيات المجاورة في

فاران وريثو ويقوم الرهبان بانتخاب الأساقفة على الوضع الذي رسمه بطريرك القدس، والذي أصبح بدوره الزعيم الروحي لأصغر الكنائس المستقلة في العالم.

وقد عاد الاستقلال الذي يتمتع به الدير بعدة فوائد ومنها ابتعاده عن الانقسام الحاد الذي وقع عام ١٠٥٤م وانشقت على أثره الكنيسة الأرثوذكسية في الشرق عن الكنيسة الكاثوليكية في الغرب، ولاستقلالية الدير استطاع الرهبان اللاتين أن يستمروا في العيش داخل الدير – وكان أغلبهم من فرنسا – مشيدين كنيستهم، ومستخدمين كتب الدين الخاصة بهم(٤٠).

بيد أن احتفاظ الدير باستقلاله خلال تاريخه الطويل أثار الحقد والحسد لدى بطاركة القدس وأنطاكية والإسكندرية، مما دفع بهم إلى رفع دعاوى (٤١)ضد الدير وذلك بدءا من القرن السادس. وانعقدت على أثر ذلك المجالس الكنسية لبحث ذلك الأمر، وأكد مجلس القسطنطينية الخاص في عام ١٥٧٥م على استقلالية دير سيناء.

على أن السينائيين – الذين ثقلتهم التجارب القاسية – قرروا البحث عن حماية لدى أقوى دولة ذات عقيدة أرثوذكسية، فكانت روسيا القيصرية هي تلك الدولة، وبالفعل لبى القياصرة الروس الطامحون الدعوة وانتهزوا الفرصة لأسباب تخصهم، منها رفع هيبة الكنيسة الأرثوذكسية خاصة بعد سقوط القسطنطينية وكنيستها في أيدي الأتراك العثمانيين، فكان لابد من وجود كنيسة أرثوذكسية أخرى كبيرة تلتف حولها بقية الكنائس والأتباع الأرثوذكس في العالم الشرقي، وهناك سبب عرقي آخر وهو رغبة رهبان الدير من اليونانيين السلاف والروس في جمع سلاف العالم تحت سيطرتهم لتكوين الدولة السلافية الكبرى، وبالفعل بدأت روسيا مباشرة مهامها، ففي عام ١٥٤٧ م قام الراهب السيناوى جروجوريوس (Grogorius) بزيارة موسكو حيث رفع شكوى الدير من فداحة الضرائب التي فرضتها السلطات العثمانية على الدير، وذلك اثر التغيرات التي أحدثها العثمانيون،

وكان القيصر في ذلك الوقت يدعى إيفـــان الرهيب Ivan the Terrible (١٥٥٣م-١٥٨٤م).

على أنه كان أول قيصر روسي أعطي (صك عطف) هو القيصر فيودور، وأعطي ذلك الصك لارشمنيدريت سيناء ميليتن الذي زار موسكو وأكد له مؤسس سلالة رومانوف القيصر ميخائيل هذه الوثيقة، وكان يحق للسينائيين السفر لموسكو من أجل (الإحسان) كل ثلاث سنوات.

ويرى دارس العلاقات الديرية مع روسيا البروفيسور بور فيرى أوسبينسكى أن وثائق العطف هذه قد تجددت بانتظام في السنوات اللاحقة فهناك الوثيقة التي منحها القيصر ألكسى في عام ١٦٤٩م، كذلك وثيقة أخري في عام ١٦٨٩م كما منحت وثيقة للدير من القيصرين بطرس وإيفان وأختهما، ووصية العرش صوفيا حيث وضعت الدولة الروسية الدير في دائرة اهتمامها

وقد تطورت علاقة الدير مع روسيا ووصلت إلى أوجها في منتصف القرن التاسع عشر لدرجة أن الرحالة الروسي أومانيس قد رأى عندما اقترب بقافلته من سفح جبل موسى علمين فوق الدير : علم القدس وعلم روسي تجارى[٤٢].

وبالنسبة للتقسيم الإداري لمنطقة دير سانت كاترين في العصر العثماني، فقد عثر على التقسيم الإداري لوسط وجنوبي شبه جزيرة سيناء مفصلا في المراسيم الصادرة عن سلاطين المماليك البحرية ومن تبعهم من سلاطين الدولة العثمانية إلى ولاتهم ونوابهم برعاية عهود وحقوق الرهبان[٤٣].

لكن المراجع التاريخية لم تشر بصراحة إلى التقسيم الإداري لشبه جزيرة سيناء[٤٤]، وما جاء في تلك المصادر كما يلي: سمى الجزء الشمالي باسم منطقة (الجفار) ويشمل كورًا خمس هي الفرما، البقارة، الواردة، العريش، رفح، ثم تحدثت عن القسم الأوسط والجنوبي من شبه الجزيرة تحت اسم كور القبلة، وقرى الحجاز

فذكرت كورة القلزم ومقطعي الساحل وفيران، وساحل الطور وآيلة، وهى نفس المناطق الإدارية التي وردت في مراسيم السلاطين [٤٥].

ولكن الدير من الناحية الإدارية كان يتبع إقليم الشرقية ويتولاه والى من أمراء الطبلخانة، وهو يخضع بدوره لكشاف الوجه البحري، وهما بالضرورة يخضعان لنفوذ نائب السلطنة في مصر المعين من قبل السلطان العثماني ونائبه في مصر إلى ولاة الأمور والحكام الشرعيين في الطور والخانكاة السرياقوسية والقليوبية والشرقية مما نستنتج معه أن الدير كان يتبع تلك المناطق أو أنه توجد مصالح مشتركة بين الدير وتلك المقاطعات أو الأيالات خاصة وقد صاحب ذكر اسم ولاة الأمور على تلك البلاد ورود ذكر القضاة والكشاف ومشايخ العربان والحكام والمتكلمين وغيرهم.

ومن الملاحظ أن حكام سيناء المعينين من قبل سلاطين آل عثمان كانوا في الغالب عسكريين وبالأخص من الضباط الأتراك، وقد أطلقت الوثائق على بعضهم لقب (الحاكم الشرعي لبندر الطور) والمقصود به الحاكم المدني ومنهم من رسمته المصادر باسم (الأغا ببندر الطور)[٤٨] وهو مسئول عن حفظ الأمن والنظام في المنطقة، وهؤلاء الحكام كانوا خاضعين مباشرة للسلطان، ويبدو أن لقب (أغات قلعة الطور) أكثر اتساقا من الآخر نظرا لأن حاكم الطور كان عادة من الضباط كما علمنا.

ومع ما تقدم ذكره فلم يكن أمر إقرار الأمن في شبه الجزيرة السينائية موكولا لقوات الجيش بقدر ما كان ملقى على عاتق قبائل العربان التي تسكن حول الدير، فمشايخ العربان كانوا مسئولين أمام الأغا بصورة مباشرة عن كل إخلال بالأمن والنظام في سيناء وخاصة ما يتعلق منها بالدير.

وقد سجل (كتاب الأم) المخطوط بالدير على أنه في زمن العثمانيين كان يوجد في قلعة الطور حامية من العسكر الطوبجية عليها ضابط يرجع للقائد العام في

السويس لأخذ الأوامر منه، ويوجد بالقلعة كذلك مدير مؤن العساكر ومحافظ إداري على العربان، وقاضى على المذهب الحنفي يعينه قاضى السويس، هذا بالإضافة إلى أنه كان يوجد كاتب أيضًا وهناك تعليمات إدارية توجه من قبل وكالة الدير للزائرين تحتوى على كتاب توصية من المطران بطور سيناء أو من يمثلون الدير في القاهرة، تنص هذه التوصية على أن يكون مع الزائر أجرة المبيت والتي تشمل الغذاء أو بدونه، وأيضًا على الزائر دفع رسم الدخول عن الأشخاص الذين لا يبيتون(٤٩)وطبيعي أن القيمة كانت تتغير تبعا لتغير العهد والحكم و العصر.

وبالنسبة للأوراق الرسمية (Deeds) والمحاضر والمتنوعات المحفوظة في مكتبة الدير (٥٠) فأنها توجد عليها توقيعات للقاضي المسلم في المحاكم، وهى تعتبر مصدرا هاما ومستمرا للتاريخ القانوني وتمثل كذلك التطور الإداري للدير، علاوة على ذلك فهي تؤكد ملكية الرهبان للدير، وأخيرا فهذه الوثائق (المحاضر) تعتبر مصدرا موثوقا به لأخبار الدير والأحداث التي مرت به، وصلة الدير بغيره من المجتمعات المعاصرة آنذاك، وبالأخص صلته مع القبائل البدوية المحيطة، فضلا عن معرفة تاريخ هذه القبائل، ويلاحظ أن الأوامر الإدارية والتصاريح كانت في العادة يوقع عليها من السلطات العليا في الحكومة المركزية وتوجه للحكام المحليين، وهكذا فأوراق وعبارات الشئون الجارية من الممكن أن تخدم تاريخ الدير، بينما بعض الخطابات تستطيع أن تخدم مظاهر التاريخ الاجتماعي للدير، كذلك فإن الوثائق الخاصة بالفواتير والإيصالات(٥١) تلقى الضوء على التاريخ الاقتصادي للدير على مر العصور.

أملاك الدير وأوقافه داخل وخارج مصر

بداية يمكن القول أن الدير نفسه والضواحي المحيطة به ملك لرهبان جبل سيناء (٥٢) بالإضافة لأديرة أخري تابعة لدير سانت كاترين في المنطقة مثل:

١- دير الأربعين شهيدا.

٢- دير القديسين.

٣- واحة فيران.

٤- راثيو والطور.

كما توجد بقايا أديرة ومعابد وأماكن للراحة والاستجمام في مواقع الرحمن والخضرة في سيناء ومن الممتلكات الموجودة داخل دير سانت كاترين مجموعة قيمة من الشمعدانات الذهبية أو المذهبة التي أحضرت له من كافة أرجاء العالم كهدايا ونذور، وفي مذبح الكنيسة الكبيرة حيث يوجد القبر الرخامي المحفوظ به رفات كاترينا يحوط هذا المكان بعض الهدايا المرسلة من قبل ملوك وملكات أوروبا من سجاد ومصابيح، وكذا خزانتان من الفضة بهما ذهب وأحجار ثمينة، وخاصة الهدايا المقدمة من القبارصة عام ١٦٩١م، ومن اليونانيين عام ١٨٦٠م والتي توجد على يمين المذبح، وفي الإمكان أن ندرج الزيت الذي كان يجمع من رفات بكاترينا كممتلكات مقدسة (٥٣).

كما يمتلك الدير مجموعة رائعة وفريدة من الأيقونات يندر وجود مثلها على هذا النحو في مكان آخر في العالم، ويوجد على هذه الأيقونات توقيعات الفنانين وتواريخ الانتهاء من عملها بالإضافة لأسماء هؤلاء الفنانين، ويوجد بالدير كذلك مشغولات قديمة وحديثة مرصعة بالذهب والفضة لعمل خليط من صور القديسيين وهى من أندر المجموعات الفنية، وتوجد مجموعة صلبان مرصعة باللؤلؤ متنوعة الأشكال، وهناك صوان ذهبية وفضية وبعضها صنع من الأحجار الكريمة، بالإضافة إلى مشغولات خشبية وتصميماتها الهندسية التي أخذت أشكال حيوانات ونباتات(٥٤).

كما يوجد بداخل الدير ثمان ثريات من الفضة الخالصة مهداة من الملوك في كل منها ست عشرة شمعة، وأربعة شمعدانات كبيرة من النحاس الأصفر مركب عليها، وخارج مكتبة الدير توجد قاعة تزين جدرانها صور للأساقفة الذين تولوا إدارة الدير على مر العصور. وتعتبر تلك القاعة من أملاك الدير الفنية، ومن بين البقايا المقدسة التي يحتفظ بها الدير : بقايا رفات القديس مارى مينا العجايبي، أحد شهداء الكنيسة القبطية المصرية(٥٥).

وهناك هدايا من الأفراد العاديين أوقفت لصالح الدير كشمعدان طوله ١١٧ سنتيمترا داخل الكنيسة الكبرى وعليه كتابة باللغتين اليونانية والأرمنية بتاريخ سنة ١٦٧٥م(٥٦) كما يوجد شمعدان نحاس آخر في نفس المقصورة وعليه كتابة باليونانية، وهناك قنديل من الفضة المشغولة عليها كتابة عربية بخط النسخ مقسمة إلى ثلاثة مقاطع(٥٧).

كما يوجد بالدير وقف عبارة عن شمعدانين من النحاس ارتفاعهما ١٤٥ سنتيمترا صنعهما الصانع موسول (Mossoul) ويرجع تاريخ صنعهما للقرن الثاني أو الثالث عشر وعليهما كتابة بالخط الكوفي(٥٨) ويملك الدير لوحات فنية ذات مستوى عال أهداها للدير لويس الرابع عشر ملك فرنسا، واللوحة الهامة من بينهم عبارة عن رسم للسيدة العذراء وهى تحمل السيد المسيح بين ذراعيها وعليها كتابة باللغة اللاتينية، هذا وقد سجل المستر رابينو قائمة خاصة بأملاك الدير من كؤوس وصلبان وأحجار مزخرفة وغيره من تلك الهدايا التي جاءت من اليونانيين الأرثوذكس(٥٩) بصفة خاصة بواسطة أحد النصارى وابنه – وهو عبارة عن حقل نخيل. مع التشديد من جانب صاحب حقل النخيل الموقوف على أنه لا يؤخذ من ريعه لبناته وأن لا يوهب لأحد سوى الدير بعد وفاته(٦٠)وكان من المتعارف عليه

لدى الرهبان آنذاك أنه إذا كان للراهب المتوفى أملاك أو ميراث فأن ممتلكاته تؤول إلى الدير وتصبح من أملاكه[٦١].

وفى فترة لاحقة نجد أن أحد الخيرين ويدعى روفائيل عبيد يوقف أكثر من ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف جنيه مصري سنة ١٨٦١م من أجل بناء المدرسة العبيدية التابعة لدير سانت كاترين في حارة الجوانية بقسم الجمالية [٦٢]. وعن ممتلكات الدير في منطقة شبه جزيرة سيناء فهناك بستان في وادي طلاح غرب الربه وبستان آخر في (جبل الفريع) غرب الدير، ونخيل وخرائب دير قديم في (فيران) ومركز وكنيسة، ثم في فترة لاحقة مدرسة في الطور وبستان نخيل ومنزل كبير في حمام موسى وخرائب دير في وادي الطور، كما أن الدير يمتلك في منطقة وادي النصب من أودية بلاد الطور التي تصب في خليج السويس حديقة مسورة من النخيل والسدر فأعطوها "بركة " لقبيلة النفيعات، وأيضًا وهبوا بستانا في عين سدرة لقبيلة العليقات [٦٣]، مما يدل على متانة العلاقات بين الطرفين في الفترة العثمانية من تاريخ مصر.

كما كان للدير مركز في ضواحي غزة يمده بالحبوب عن طريق المويلح فالثمر فوادي شعيرة الدبس، ولهم حديقة من النخيل وأشجار الفاكهة في منطقة الكروم الجديدة أو المنشية [٦٤]، ولهم في بندر الطور غيط نخيل فوق العشرة آلاف نخلة يجمعون ثمرة في كل عام ويعملونه خمرا، ويمتلكون أيضًا (أنطوش) وهو حوش فيه طاحون كانول يطحنون فيه للمسلمين بأجرة [٦٥] وكان لهم أيضًا في الطور منزل كبير يؤجرونه للسكنى [٦٦] بالإضافة لأوقافهم من البساتين والغيطان غرست بها أنواع الأشجار من الكروم و النخيل في الطور وكذلك في فاران [٦٧] كما كان للرهبان ثلاثة بساتين نخيل مملوكة لهم في الجبل ووادى فاران وساحل الطور.

أما في مصر والشام وأسيا الصغرى فأملاك الدير كما يلى :

فيوجد بالقاهرة مركز (وكالة) للدير تجاه جامع الظاهر، ويوجد بداخله كنيسة ومنازل مكونة من ثلاث طبقات للمطران والرهبان والزوار وحديقة متسعة وبجانبها منزل كبير ذو ثلاث طبقات للإيجار، وكان مركزهم قبلا في حارة الجوانية بقسم الجمالية حاليا أقاموا فيه زمنا طويلا حتى سنة ١٨٩٠م ثم بدلوه لتقادم عهده وازدحام السكان حوله وعدم ملاءمته للصحة، ويقولون إنه كان لهم قديما قبل الجوانية مركز في مصر العتيقة ثم نقلوه للجوانية لنفس السبب، ويجدر بالذكر أنه في فصل الشتاء يقضي مطران (دير سانت كاترين) معظم موسمه مع بعض الرهبان للنظر في علائق الدير مع حكومة مصر والسياح والزوار لغرض ديني، وكذلك لتدبير المؤن والمعدات اللازمة للدير.

كما أن الدير كان يمتلك منزلين كبيرين في مدينة الإسكندرية لغرض الإيجار وكل منزل يتكون من ثلاث طوابق وبمدينة السويس يوجد مركز للدير هو منزل للرهبان وبجانبه منزل للإيجار ويقيم في مركز السويس راهب دائم لتسهيل السفر للدير، كما كان الرهبان يمتلكون أوقافا زراعية ومنازل في ميناء رشيد ومراع شتوية بالإسكندرية (٦٩).

ومن المعروف أنه كان قد أوقف على (دير سانت كاترين)(٧٠) مائة وثمان وعشرين فدانا من الأطيان الزراعية الجيدة في جهة سرياقوس بمديرية القليوبية كانت تروى من ترعة الإسماعيلية. كما كانوا يملكون بيوتا لغرض الإيجار في نفس المنطقة (سرياقوس)(٧١) وهبهم إياها عباس باشا الأول (١٨٤٨- ١٨٥٤م) بدل عين – وبستان، كانا لهم في الجبل الذي اختاره مصيفا له. وكانوا يمتلكون زوجين من الثيران وجملا بكوم الزيتون بالقليوبية كانوا يحملون عليها الغلال للدير بسيناء (٧٢). وللدير مركز في طرابلس الشام وآخر في دمشق وفي أزمير بتركيا ومركز في جزيرة ساقص أو صاقص، وكنيستان في جزيرة زانتي (Zante) وثلاث كنائس، وأربعة مراكز في

قبرص، وأربع كنائس في كريت، مركز وكنيستان في المورة، ومركز في كلاس من بلاد اليونان، كنيسة في الآستانة، كنيسة في بيتوليا بمقدونيا ومركز في مناستير وكنيسة في يانينا جنوبي ألبانيا كما امتلك الدير خانا كنيسيا في تفليس (بتليس) مع دكان تجارى ومركزا في كيف، وكانت لهم أوقافا متسعة في كيف استولت عليها الحكومة الروسية وهى تعطيهم من ريعها من ٢٥٠٠ إلى ٣٠٠٠ جنيه في السنة، وعموما فدخل تلك الأملاك كانت تأتى لسيناء بشكل غير منتظم على الإطلاق [٧٣] كما امتلك الدير أوقافًا متنوعة بالكرك في الشام[٧٤].

وكانت عائدات الدير في السنة تبلغ حوالي الثمانية آلاف جنيه مصري، كما كانت أملاك الدير في رومانيا محتكرة من جانب السلطات الرومانية والتي كان من بينها (Sineis) القصر الصيفى للملك وأملاكها أيضًا في منطقة (BassaRabil) الرومانية وبالنسبة لممتلكات الدير في صربيا فقد بيعت لصالح الدير. ومن ناتج بيع الممتلكات القريبة من كيف (Kiev) فقد استخدم لصالح بناء مبنى مؤجر في تلك البلدة وكان ثمنه لا يقل عن ٦٠,٠٠٠ جنيه مصري، ولكن هذا المبنى انهار قبل أن يتمكن الدير أخذ أي عائد منه، كما كانت الحكومة التركية تضع يدها على ممتلكات الدير في سمرنه، ولم يتمكن الدير من استرداد تلك الممتلكات [٧٥] أيضًا وجدت ممتلكات للدير في أثينا وبوخارست وجاسي فقد كان للدير إقامات (منازل ودور) صغيرة هناك وزارها في نهاية القرن السابع عشر رئيس الدير الأسقف نكتوريوس (Nectorius) والذي زار أيضًا في طريق عودته لسيناء مركز الدير في كريت [٧٦]. كما أوصى اليونانى ستوماتى الذي قطن كيف في حوالي سنة ١٧٣٨م للدير بقطعة أرض غير كبيرة في كيف لصالح بناء كنيسة القديسة كاترينا، وقد صرفت القيصرة الروسية آنا (Anna) في ١٦ يناير سنة ١٧٤٣م ألف روبل فضي للارشميندريت كيريل لتجديد بناء الدير بعد أن دمر حريق بعض الأجزاء منه[٧٧]، وكما كان من حق رهبان الدير السيناوي الامتلاك العقاري والمالي وخلافه، ولهم

الحق أيضًا في قبول الأراضي الموقوفة أو الموهوبة لهم من المسيحيين (بدون معارضة لهم في التصرف فيها من أي أحد كان وبدون أن تضرب عليهم ضرائب) (٧٨).

وتوضح الوثائق أن رئيس رهبان الدير كان مسئولا عن أوقاف الدير ويتم إقراره في تلك الوظيفة بمقتضى مرسوم من السلطان، ويبدو أن ذلك كان راجعا في المحل الأول إلى كثرة أوقاف الدير التي كانت موزعة بين مصر والشام وثروة الدير الطائلة التي تكونت طبقا لتلك التي أشارت إليها الوثائق.

وبسبب التطورات السياسية التي وقعت في القرنين التاسع عشر والعشرين من حروب طائفية ثم الحربين العظمتين فقد الدير كل ممتلكاته تقريبا في رومانيا وروسيا وتركيا، والآن يعتمد الدير أساسا على ممتلكات ضئيلة في كريت وقبرص والقاهرة وبساتين الدير في جبل سيناء.

(١) وإذا كان الدير فقد معظم ثروته المادية مازال يملك كنزا روحيا عظيما يتمثل في الدير نفسه ومكتبته بما تحتويه من كنوز وبعض الهبات والمساعدات المالية التي تأتيه من جهات عديدة في العالم المسيحي.

(٢) الإعفاءات الجمركية والضريبية الممنوحة للدير :

ومن مظاهر العلاقات الودية من قبل السلطات الحاكمة في مصر تجاه الدير، تلك الإعفاءات الجمركية والمسامحات الضريبية التي منحوها على الدوام للدير ورهبانه . فمنذ أول منشور أصدره الوزير (أبو على أحمد بن الأفضل) في مستهل خلافة الحافظ لدين الله في ذي القعدة ٥٢٤هـ، تتابعت وتوالت المراسيم الدالة على نصره وكف أسباب المضار والمغانم عن الرهبان، مع ضرورة إعفائهم من كل ما يكرهون عليه ويطالبون به من المغارم وسائر الكلف المأخوذة منهم فيما سلف إحسانا من ولى عهد المسلمين. ويجدر بالذكر أن المنشور السابق قد صدر كاستجابة لالتماس تقدم به (عبد المسيح) وكيل الربع المحبس على طور سيناء(٧٩).

وفى فترة لاحقة أصدر الخليفة الفائز بنصر الله منشورا لمتولي الحرب بالحصون الطورية لتخفيف الوطأة عن أسقف الدير و الرهبان وعدم تكليفهم مغرما أو خسارة وإبطال الرسوم التي يحدثها الولاة عليهم وأن يعترضوا كذلك نخل الدير [٨٠]

كما أصدر الخليفة العاضد منشورا آخر بناء على التماس تقدم به مقار أسقف الدير ورهبانه في مارس ١١٦٩م، ينص على : إعفائهم مما أحدثه عليهم الولاة بالحصون الطورية من رسوم وأيضًا بمنع العربان من الدخول عليهم في ديرهم[٨١]. وعلى مدى عهدي الأيوبيين والمماليك توالت المراسيم الخاصة بإعفاء الرهبان جمركيا وضربيا كما تعلمنا المراسيم الصادرة في ذلك الأمر[٨٢].

وعندما غزا السلطان العثماني سليم الأول مصر ١٥١٧م سادت جبل سيناء الطمأنينة والسلام لفترة قرنين ونصف من الزمان، وامتدت ممتلكات الدير لتشمل أراضي في كريت ورومانيا ومولدافيا، وفي ١٥٥١م أعطى السلطان الرهبان ميثاقا منع بموجبه موظفيه من التعرض لهم إلا عند قيامهم ببيع الحيوانات والمؤن والخمر والصابون وزيت الزيتون والسجاد والعدس والفاصوليا والجبن والسلاح إلى أعداء السلطان، ولكن خطر عدم الاستقرار كان قائما دائما في سيناء، وفي ١٧٦٩م ثار المملوك (علي بك) ضد الحكم العثماني، ولم تخمد الفتنة إلا في عام ١٧٧٣م وفي تلك الأثناء ظل الرهبان محافظين على حيادهم[٨٣].كما يوجد بمكتبة الدير عدة فرمانات صادرة من أولى الأمر العثمانيين الذي يقع الدير في دائرة سيطرتهم وتنص صراحة على ضرورة الإعفاء الضريبي والجمركي لصالح الدير[٨٤] على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد فقد أنعم القياصرة الروس والحكام الأوربيين والجمهورية الفرنسية على عهد نابليون الأول بعهود من ذلك النوع[٨٥].وفى مجموع براءات الكرسي الرسولي برومية (كنيسة روما الكاثوليكية) توجد براءة صادرة من البابا أوربانوس الثامن سنة ١٦٣٠م يمنح فيها عدة أنعامات ضريبية لصالح رهبان الدير[٨٦] ويجدر أن ننوه بأن

تلك الإنعامات وغيرها صدرت خلال الفترة التي ظل فيها الدير أجيالا متعاقبة تحت طاعة كرسي رومية الفاتيكان.

وتؤكد الوثائق ما تمتع به الرهبان بالإعفاء من الرسوم الجمركية على كل ما يرد إليهم من صدقات ونذور عينية (بأن يسامحوا بالحقوق والرسوم الديوانية على الأصناف الواصلة إليهم من صدقات من البر من طريق البحر المالح والعذب بالثغور الإسلامية)(٨٧) وفي وثيقة أخري كان المرسوم يصدر لغرض إعفاء الرهبان من الرسوم على مشترياقم من القمح (إن الرهبان بدير طور سيناء أنهوا إلينا أن لهم عادة يشترى قمح برسم مأكولاتهم بالدير للمنقطعين والمترددين من ساحل بولاق والوجه البحري.. وتمكين الرهبان من مشترى القمح... ومنع من يعارضهم في ذلك..) (٨٨).

كما أنهم أعفوا من دفع الضرائب المفروضة على الأراضي الزراعية بمختلف صورها وبأن يجملوا في المسامحات بالحقوق والرسوم والأحكام والمقاسمات والأعشار والمقاطعات على بساتينهم وكرومهم وثمارهم ونخيلهم وزيتونهم وهو لهم بالبلاد المصرية والشامية والطرابلسية فإنهم لا يعارضوا في أوقافهم وبيوتهم وكرومهم في جزيرة اقريطش وجزيرة قبريس(٨٩).

وأعفى الدير من خراج ما يزيد على عشرة آلاف نخلة في نواحي مدينة الطور، ولهم في بندر الطور غيط نخيل فوق العشرة آلاف نخلة يجمعون ثمره في كل عام ويعملونه خمرا وذلك كله من غير خراج عليه(٩٠).

وقد أصدر الوالي خاير بك وثيقتين لقاضى القضاة والمحاكم وولاة الأمور والشادين والمباشرين بالديار المصرية لإعفاء الرهبان عن الحقوق الديوانية والرسوم في أملاكهم وحقولهم بالطور بأن يحملوا على ما بأيديهم من المسامحات بالحقوق والرسوم والأحكام والمقاسمات على كرومهم ونخيلهم وحقولهم بالطور(٩٢).

ويجدر التنويه بأن هذين المرسومين أنما قد صدرا بناء على حضور وفد من الرهبان في حضرة الوالى خاير بك فكان بحوزقم المرسوم العثماني الصادر بحقهم من قبل الملك "المظفر سليم باشا" وفي عهد السلطان سليمان الأول توالت الفرمانات بحق الدير وبخاصة أن الرهبان في حالة انقطاع للعبادة وعليه يحق لهم الإعفاء الضريبي(٩٣).

وفى وثيقة أخري نجد الرهبان ينهون إلى حضرة الوالي العثماني في مصر سليمان باشا(٩٤) أنهم قصدوا التوجه إلى الدير بصحبتهم أقواقم فأنهم يخشون ممن يتعرض لهم في الدرب (الطريق) فيكون الرد الأميري الموجه إلى القبطان بالخدم الشريفة وجماعة العسكر المنصور بحمايتهم والعطف عليهم وبأن لا يضيع لهم عقال بعير ولا قيمته الدرهم الفرد من غير تهاون(٩٥).

وهناك وثيقة فريدة من نوعها موضوعها أن للدير بمينـــاء أبو قير اثنى عشر بتية (برميل) زيت قادمة كهبة للدير وأنهم يطلبون من الوالي إعفائهم من رسومها وبالفعل يمنحهم الوالي الإعفاء المطلوب، (اقتضى الحال لأن يتقدم حال وصول هذا الحكم بتحرير الاثنى عشر بتية المذكورة لبندر بولاق المعمور بالديار المصرية من غير تأخير ولا تقصير ويعتمد ذلك تحريرا في....)(٩٦) ولا تخرج بقية الوثائق من ناحية المضمون عن سابقاقا من التأكيد على إعفاء الرهبان من الحقوق الديوانية والرسوم والأعشار لما يحضر إليهم من البلاد المختلفة (٩٧).

وحينما كانت تحدث مشكلة وقفية من قبل رعايا الدير ولم يحلها (البطرك) بنفسه كانت تعرض على القضاة الذين هم في غالب الأمر مسلمون وكانوا يلجأون إليه لتسجيل الوقف أو لتسجيل أمور الإيجارات لشراء حساب وقف بل حتى في الأمور التي وجدت بها نزاعات على الأوقاف الذمية، وحين النظر في بعض الأوقاف المسيحية اشترط بعض الواقفين عند تعذر الصرف لوقف دير سانت كاترين أن يكون

الصرف للفقراء والمساكين أينما كانوا وحينما وجدوا دون تحديد لدين أو مذهب معين، ولكن مع شرط النظارة – ناظر الوقف – لحاكم المسلمين الحنفي، القاضي بالديار المصرية [٩٨].

ومن الأمثلة التي تظهر حركة إدارة الوقف في المجتمع المصري بعيدا عن التعصب الطائفي، وأن الأولوية دائما تتجه نحو المصالح الاقتصادية أن الوقف الخاص بدير سانت كاترين في شأن عقار له بالطور طلب شهادة بعض المسلمين حول أحقيته في ذلك الوقف فشهد بذلك المسلمون مع ملاحظة أن الطرف الآخر في الادعاء كان مسيحيا [٩٩].

وهذه أمثلة عديدة نجدها مدونة في وثائق مكتبة الدير ونظرا لما تميز به الدير في بعض فترات تاريخية من وجود فائض مالي ناتج عن أموال الوقف فكان المقيمون عليه يستثمرون هذا المال في مصالح عديدة [١٠٠] كان يشتروا حدائق الكروم والنخيل في بندر الطور وشراء عقارات جديدة في الطور أو فيران أو حارة الجوانية بالقاهرة، وهنا نجد الدير يتغلب على ماله الفائض بطريقة تحفظ له هذا المال الأصلي وأيضًا تنميته بطرق شرعية تضمنها السلطات الحاكمة.

وعلينا أن نذكر بأنه في الوقت الذي تعرضت فيه بعض الطوائف الذمية في مصر – الأقباط واليهود– لمضايقات ضريبية أثناء الحكم العثماني تمتع رهبان دير سانت كاترين بإعفاءات كاملة من كل أنواع الضرائب، وقد درج السلاطين في تلك الفترة على إصدار المراسيم لصالح بعض الجماعات الدينية أو لصالح كبار رجال الدين أو إلى عماله على الناحية للمحافظة على أوقاف وأرزاق هؤلاء[١٠١] وهذه كلها كانت أمورا طبيعية، لاسيما أن السلاطين كانوا يعتبرون أنفسهم أولياء أمور المسلمين والرعية عموما.

٣- منتجات الدير :

تعطى حديقة الدير حياة وسحرا لهذا الوادي الصحراوي القفر، وتمتد رائحة الربيع عبر جوانب الجبال، ويوجد في هذه الحديقة كل أنواع الفواكه والخضروات، وباستثناء القمح فإن الدير يعتمد على نفسه إلى حد كبير، تنتج الحديقة أشجار البرتقال ودوالي العنب فأشجار المشمش والجوز والخوخ والاجاص (الكمثرى).

ومن الزيتون يصنع الرهبان زيت الزيتون ويزرعون أيضًا التفاح والليمون والخروب وأشجار السرو التي توجد فيها شجر يزيد عمره عن ألف عام، وقد جيء ببعض هذه الأشجار من جزيرة قبرص وجبل أتوس بجوار سالونيكا ويربو محصول الجوز "عين الجمل" في حدائق الدير على أربعمائة جوال في العام، ويزرع الدير البرتقال الحلو بأوراق ذات رائحة جميلة وذكية • كذلك يقوم الرهبان بزراعة بعض الخضروات كالطماطم والملوخية و البامية والبصل والثوم والفجل والخس والجرجير والبطيخ والعجور والشمام والمشمش والطورة والصبار والتوت الأسود والقرنبيط والسلق والخيار والكوسة والفول والسبانخ والخرشوف والبقدونس [١٠٢] وغيرها.

ويمتد بستان الدير كمثلث طويل في الصحراء وهو واحة حقيقية داخل الجبال الصوانية ويعتقد الرهبان الحاليون انه كان نتيجة عمل المتوحدين الأولين الذين جلبوا ترابه من بعيد بلا كلل ولا ملل وحفروا الآبار ليجمعوا مياه الأمطار والثلوج، وينبت في هذا البستان أشجار للزينة وأخري مشمرة الأزهار كالورد والقرنفل والمنثور والريحان والأسى. وتلك الحديقة (البستان) بالرغم من كونها واسعة بعض الشيء إلا أنها مزروعة بشكل جيد، فكل راهب يعتني بجزء معين ويزرعه فمنهم من يزرع الكرنب واللوبيا، وآخر يزرع البنجر واللفت وهكذا[١٠٣].

وبالنسبة لبستان الدير فله باب سرى من الدير يقع خلف الباب الحديد الثاني الذي يدخل منه للدير. حيث ينزل الزائر من الباب إلى سرداب مستطيل مظلم

ويلتقي بالبستان وعلى باب هذا الدير المقدس بستان كبير فيه كروم وثمر كثير وبقول وعيون مياه وفي قاع هذا البستان يدعى الرهبان أن بني إسرائيل قد صنعوا العجل الذي عبدوه في "حوريب".

وأيضًا على رأس هذا البستان في جانبه الأيمن أمام باب الدير يوجد الكمنير الذي هو مقبرة الدير(١٠٤).

وفى واحة من الزوايا داخل البستان توجد الحظيرة بغرض أن يربى فيها الرهبان أنواعا من الطيور المنزلية من الفراخ والديوك الرومي كما يمتلك الرهبان بعض الماشية والحمير والجمال والبغال(١٠٥) كما شيد الرهبان حدائق صغيرة في كل صدوع جبل موسى وعلى ميسرة نحو ثلاث ساعات غرب الدير توجد كنيسة بجوارها حديقة بها شجر الزيتون والعنب والتين. هذا فضلا عما كان للدير من أملاك زراعية وأراضى واسعة موقوفة عليه في سيناء ومصر والشام وبلاد اليونان يتزود الدير بإنتاجها وأمامنا وثيقتين تبين لنا ما كانت تنتجه أراضى الدير من خبرات في الطور وفي سرياقوس(١٠٦). ويساعد الرهبان بعض أفراد من قبائل الجبالية في العناية بحدائق وبساتين الدير، الذين نادرا ما يلجئون لتقليم الأشجار بشكل دقيق وتطعيمها ولذلك فالفواكه تكون ضئيلة الحجم، وفي أثناء زيارة كوتل للدير علم الرهبان طريقة التطعيم عن طريق شق القشرة للثمرة ومن ثم تكاثرت أشجار الكروم عند ترقيد العقل (١٠٧) وتوجد زهرة تعرف باسم "كف مريم" يقال إنها تتفتح مرة واحدة في العام لأن السيدة العذراء أثناء مرورها في سيناء أمسكت واحدة بكفيها !

كما لاحظ الحاج الموسكوفي بوسينا كوف بئرا في وسط الدير ينمو أعلاه ورد بلدي يقال أن النبي موسى قد زرعه ولا يزال ينمو باخضرار حتى القيام برحلته (١٠٨) وبالرغم من تعرض الحديقة لقلة مياه الأمطار غالبية فترات العام، إلا أنه يخترق الحديقة جدول تسير فيه المياه بعمق يبلغ أكثر من ثلاث بوصات حتى ولو لم تكن قد

سقطت الأمطار منذ عام كامل، وعلى الرغم من أن معظم العيون عندئذ تكون قد نضبت [١٠٩].

ويوجد بالحديقة ثلاث آبار وثلاثة ينابيع وأما الآبار فهي بئر مكاريوس، في أعلى الحديقة وعمقها حوالي الخمسة عشر مترا وماؤها في الصيف بارد كالثلج، قيل أنها أقدم آبار الحديقة والذي حفرها كان مهندس الدير، والبئر الثاني هو بئر اللوزة الذي يقع أسفل شجرة لوزة قديمة العهد، والبئر الثالث مهجور في جبل منخفض عنها وبالنسبة للثلاثة ينابيع، ففي أسفل الحديقة وقد جروا ما أسفلها إلى جنينة صغيرة غربي الحديقة الكبرى بينهما الطريق المؤدية للدير وإلى شرقي الحديقة وشمالي الدير على يسار الداخل في بوابة العرصة يوجد نبع غزير يدعى " بركة الدوار" يجرى ماؤه بقناة تحت الأرض فيسقى الجهة الشرقية من الحديقة[١١٠] وقد تميزت بعض إدارات الأوقاف في مصر العثمانية بالقيام ببعض عمليات الاستثمار لصالح الوقف الواقع تحت وكالتها أو إدارتها، مثل وقف دير سانت كاترين الذي كان يستثمر بعض أمواله لاسيما في شراء حدائق الكروم والنخيل في بندر الطور[١١١] كما تمثل الدير أيضًا أسلوب المزارعة ففي بستان كروم جار في أوقاف (دير سانت كاترين) توجد وثيقة توضح أن مزارعا قدم للوقف القيام بزراعته على أن يكون له نصف الإنتاج مما تنتجه الأرض مع حق الدير في سحب الكروم من تحت يده في أي وقت يشاء[١١٣] كما تم استبدال بستان نخيل موقوف على مسجد ببستان نخيل آخر مملوك لرهبان الدير مما يؤكد مرونة المعاملات الاقتصادية وأنها تمت بعيدا عن التعصب[١١٥].

وأخيرا قد يصعب علينا التصديق بأن تلك الحدائق تقع في قلب الصحراء، لكن وجود أشجار الزيتون والنخيل تبدد كل دهشتنا نحو الإنتاج الجيد والاكتفاء الذاتي في معيشة هؤلاء النساك المتوحدين في البرية. وتدلنا بعض المصادر المعاصرة أن الرهبان كانوا يرسلون البعض من إنتاج الدير كالفواكه لسلطان مصر في العصر

المملوكي والى نائب السلطان في العصر العثماني بصحبة رئيس الدير القادم لوكالة الدير بالقاهرة أو بصحبة الحجاج المتجهين للقاهرة (١١٦).

وهكذا فدير (جبل سيناء) مؤسسة دينية بحتة حرة معفاة من الضرائب، ولا يمكن احتلاله، وهو مستقل ولا سلطة لأي بطريرك أرثوذكسي أو أي مجمع عليه، يسلك الدير حسب قوانين الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية وحسب قرارات المجامع المحلية والبطاركة الأرثوذكس ذات العلاقة، بالإضافة لأوامر السلطات المدنية على مر الأزمان، كذلك سار الدير في إطار الأخوة السينائية منذ قرون مؤلفة بين رجاله من رهبان وكهنة متوحدين وتعتبر هذه الأخوية أعلى سلطة رئاسية للدير يتصدرها رئيس أساقفة (سيناء) المنتخب من قبل الأخوية السينائية، أما علاقته القانونية ببطريرك القدس فإنها كانت تقتصر على أنه يُسام من قبله، وعليه أن يذكر اسم البطريرك حينما يقوم بخدمة القداس ضمن منطقة صلاحيته.

حواشي الفصل الثاني

(١) للمزيد من التفصيلات، انظر : بيرى أندرسون، دولة الشرق الاستبدادية، ت : بديع نظمى (بيروت : مؤسسة الابحاث، ١٩٨٣) ص٩-٤٢، حكمت قفلجملى، التاريخ العثماني، رؤية مادية، جـــ١، ت : فاضل لقمان جنكر (دمشق : دار الجليل، ١٩٨٧) ص١٤٦ – ٣٠٧.

(٢) الدأودار : بمعنى صاحب الدواة : اسم كان يطلق على الكتاب الذين كانوا يعملون في معية السلاطين والوزارة. وقد أطلق هذ الاسم لأول مرة في عهد الفاطميين وأخذه عنهم المماليك ثم أنتقل الاسم بعد ذلك إلى العثمانيين وصار يطلق على الكتاب الذين يصاحبون كبار الموظفين في الدولة : انظر :

Mehmet Zeki Pakalin, Osmanli Tarik Deyimlerive Terimleri, .Cilt 3. S. 491 , Istanbul , 1971

نقلا عن : أحمد فؤاد متولى، قانون نامة مصر الذي اصدره السلطان القانوني لحكم مصر، (القاهرة، ١٩٧٧)، ص٦٤.

(٣) القائمقام : هو الذي يقوم بعمل شخص ما مثل قائمقام الباشا الذي يقوم بعمل الباشا خلال فترة خلو منصب الباشوية لعزل الباشا أو وفاته ومنه قائمقام حكام الأقاليم وقائمقام الملتزم..للمزيد من التفصيلات انظر : ليلى عبد اللطيف، الإدارة في مصر في العصر العثماني (القاهرة : جامعة عين شمس، ١٩٧٨) ص٤٥١.

(٤) انظر المؤلفات التالية، ابراهيم الصوالحى العوفى، تراجم الصواعق في واقعة الصناجق، ت : عصمت محمد حسن (دكتوراه، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٨٨)، أحمد الدمرداش كتخذا عزبان، الدرة المصانة في أخبار الكنانة) ت : دانيال كريسيلوس وعبد الوهاب بكر (القاهرة : دار الزهراء، ١٩٩٢)، عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربى ١٥١٦ – ١٩٢٢ (بيروت : دار النهضة العربية، د.ت) ص١٣٠-١٥٢ ;

P.H. Holt , The Pattern of Egyption Political History from 1517 to 1798, in Political and Social Change in Modern Egypt , .London , 1968, PP. 79 – 90

(٥) انظر : نيقولاى ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦ – ١٥٧٤، ت : يوسف عطا الله، مراجعة : مسعود ظاهر (بيروت : ١٩٨٨) ص١١-٨٢، ٢٩٣-٣٠١، سيرغى بيفزيز، الجذور التاريخية للأفكار الإقليمية في مصر (موسكو : اكاديمية العلوم السوفيتية، ١٩٨٩) ص٤٧-٤٨، أندريه ريمون، القاهرة، تاريخ حاضرة (القاهرة : دار الفكر، ١٩٦٤) ص١٧٥-١٨٢.

(٦) انظر : جب وبوين، المرجع السابق، جـ٤، ص٣٩٦-٣٩٧، ٣٩٩ – ٤٠٠، ٤٠٣ – ٤٠٥، ٤١٩ – ٤٢٠، ٤٣٦، ٤٦٨-٤٦٩.

(٧) يلاحظ أن الأستاذان : أحمد فؤاد متولى وعبد المنعم الراقد لم يشيرا إلى مسألة العهد هذه من خلال اطروحتهما للدكتوراة بالرغم من اعتمادهما – وخاصة متولى – على المصادر العثمانية بالدرجة الأولى، فضلاً على أن غالبية – أن لم تكن كافة المصادر العربية المعاصرة – للفتح لم تشر إلى تلك المسألة أو إلى الدير من أصله، وفيما يتعلق بالمصادر العربية المعاصرة للفتح انظر : عمر عبد العزيز عمر، دراسة لمصادر عربية عن تاريخ مصر العثمانية (بيروت : دار النهضة العربية، ١٩٧٧) ص٣٠-٧١، هذا عن سليم والدير، أما فيما يتعلق بسليم وسيناء عموما فهناك نص باللغة العثمانية منقوش على جدار في قلعة العريش يقول " لما أتى بعون الله السلطان لفتح الحصن أمدته الملائكة كلها في هذا الفتح الآغر قال وزيره الأعظم يوسف ضبا باشا تاريخاً في الحروف الحالية من المصراع الثاني الذي نقش في طاق الحصن الثاني حبذا الفاتح السلطان سليم خان الثالث الغازى فإنه بفتحه العريش قد علق سيفه في العريش الأعلى ١٧٩٩ " انظر : أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص١٥٦.

(٨) جيمس بنتلى، المرجع السابق، ص٧٧، لم يحدد بنتلى المصادر التي اعتمد عليها في عرضه لتلك المعلومات خصوصاً وأن المرجع المعاصرة للغزو العثماني لمصر لم تشر لا من قريب أو من بعيد لدير عثمان كاترين، نعنى بالمصادر تلك كتابات ابن اياس والجبرتى واحمد بن زنبل الرمال المعاصر.

(٩) ابراهيم غالى، المرجع السابق، ص١٩٢.

(١٠) انظر : الوثيقة رقم ١٢١، وهى نص فرمان صادر من عهد السلطان سليمان الأول ١٥٢٠-١٥٦٩ إلى الحاكم الشرعي للخانكاة السرياقوسية في ٢٦ محرم ٩٤٠هـ / ١٨ أغسطس ١٥٣٣م.

(١٢) Nichola S. Coureas , The Orthodox Monastery of Mt. Sinal and Papal Protection of ITS. Cretan and Cypriot Properties , in " Autour Dela Premiee Corisade , Paris , 1996 PP. 475-477.

(١٣) انظر : بنتلى، المرجع السابق، ص ٦٠ – ٦١.

(١٥) انظر : حسن حبشى، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر (القاهرة : دار المعارف، ١٩٦٨) ص٨٢.

(١٦) انظر : نص المنشور في الملاحق.

(١٧) انظر : الوثيقة رقم ١٤٦ في ٢٢ محرم ٩٥٣هـ / ٢٥ مارس ١٥٤٦ م وهى فرمان صادر من عهد السلطان سليمان الأول، افرام الشماس، المصدر السابق، ص٧٩٧

(١٨) انظر : الوثيقة رقم ١٤٦،
F. Fabri, Op. Cit., PP. 623-661 ; Rabino, Le Monasteire Saint.... P. 4 ., والذي يعطى قائمة باسماء مانحى العطايا والصدقات للدير.

(١٩) علمنا ذلك من سيرة الحاج الألمانى Wormbser الذي ذهب من القاهرة إلى الدير عام ١٥٦١ م بصحبة تلك المنحة. للمزيد من التفصيلات حول الإعلأنات الروسية للدير انظر : Lina, Op. Cit., P. 176

(٢٠) انظر : الوثيقة رقم ١٣٦ في ذى الحجة ٩٥٤هـ / ٣١ يناير ١٥٤٨م.

(٢٢) انظر : الوثائق أرقام ١٢، ١٣، ١٤، ١٥ من المخطوط رقم ٦٨٧ سيناء – عربى، الذي يؤرخ للفترة من ١٥٧٥ إلى ١٦٨٢م، ويجدر بالذكر أن المخطوط رقم ٦٨٧ يشتمل هو الآخر على نفس المعلومات الموجودة في المخطوط الأول وأن اختلفا في الزمان والاسماء حيث أنه يؤرخ للقرن السابع عشر ويقع هذا المخطوط في ١١٩ صفحة، انظر :
K. Clark Op. Cit., P. 37 ; Atiya, The Arabic Monuscripts, P. 35.

(٢٣) انظر : الوثيقة رقم ٢٠٢ في جمادى الأول ١٠٨٩هـ / ٢٥ يونيو ١٦٧٨، شقير، المرجع السابق، ص٢٣٠، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٤ ; Lina , Op. Cit., P. 176.

(٢٤) انظر : شقير، المرجع السابق، ص٢٣٢ ; Atiya , Op. Cit., P. XIX

(٢٥) انظر : أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٨ ;
James , Wellard , Desert Pilgrimage, London , 1970, P. 113.

(٢٦) انظر : فايز اسكندر، المرجع السابق، ص ٤٧-٤٨، بنتلى، المرجع السابق، ص٦١، Dobson, Op. Cit., P. 176

(٢٧) J. Wellard, Op. Cit., PP. 12, 172.

(٢٨) انظر على سبيل المثال مجموعة المراسيم أرقام ١، ٥، ٣١، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٣٦، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٥١، ٦٤.

(٣٠) انظر : افالجلوس، المرجع السابق، ص٤٦.

(٣١) انظر : شقير، المرجع السابق، ص٢٣٣، ٤٩١، زينب محفوظ، التطور الدبلوماتى لمراسيم ديوأن الأنشاء بدير عثمان كاترين من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر (ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠) ص٢٥ ;Bassili , Op. Cit., P. 91.

(٣٢) انظر : المراسيم رقم ٥٥ في ٢٧ أغسطس ١٤٦٦م.

(٣٣) Lina , Op. Cit., P. 176.

(٣٤) J. Wellard , Op. Cit., P. 112.

(٣٥) للمزيد من التفصيلات عن حياته انظر : شقير، المرجع السابق، ص٥٢٢ ;
Rabino , LeMonastere de Saint ….. , P. 87.

(٣٦) المطران اثناسيوس فارباسيوس ١٧٠٦ – ١٧١٨ جدد في عهده بلاط كنيسة الدير الكبرى ١٧١٥م. انظر : شقير، المرجع السابق، ص٥٢٣ ; Rabino , Op. Cit., P. 89

(٣٧) المطران إيوانيكيوس الثانى من جزيرة مدلين، يرى شقير أنه سيم مطراناً على الدير في الفترة من ١٧١٨ وحتى ١٧٢٩م. انظر : شقير، المرجع السابق، ص٥٢٣، أما رابينو فيرى أنه حكم الدير في الفترة من ١٧٢١ وحتى ١٧٢٨م انظر : Rabino , Op. Cit., P. 90.

(٣٨) للمزيد من المعلومات حول رؤساء الدير في العصر العثماني انظر : Lina, Op. Cit., P. 179-180

(٣٩) Nicholás Coureas , Op. Cit., PP. 478-480 , 484.

(٤٠) انظر : بنتلي، المرجع السابق، ص٦١.

(٤١) انظر : المرسوم ١٢٩ في ٣٠ رجب ٩٤٠هـ / ١٥ ابريل ١٥٣٤م، فرمان السلطان مصطفى الأول بن محمد إلى المطران غفريل الرابع رئيس الدير وحرر في ١١ صفر ١٠٢٧هـ / ٧ فبراير ١٦١٨م، كذلك الوثيقة التي حررها عبد الله القاضي بمصر المحروسة لنصرة رهبان الدير أمام دعاوى مطران القدس ضده " والحال يا صاحب الدولة الشريفة أن بطرك القدس حالا المسمى دوسيثيوس توجه الأن إلى اسطنبول وحرم على النصارى وغيرهم من أهل الخير المذكور صدقة أو شيئاً ما، وأن هذا الدير ماله صدقة إلا من النصارى وغيرهم من أخل الخير والأن لما تنقطع الذدقة يرحل الرهبان ويتشتتون ويخرب الدير ويخلى فتخلى البلاد "... شهد بذلك علي جوربجى كتخذا بالطور محمد أغا الطور سابقا، صفر آغا بالطور حالا عفى عنه، محمد أغا وحوالي سبعة وعشرين توقيع آخر من موظفى قلعة الطور وآخرون. وكان من نتيجة تلك الوثيقة أن البطريرك دوسينوس من بطاركة أنطاكية. اضطر لأن يتخفى في ملابس النساء لينجو بنفسه من اضطهاد الاتراك له في الآستانة.

(٤٢) انظر : بيرمينوف، المرجع السابق، ص١٨١-١٨٢، رؤوف حبيب، المرجع السابق، ص٨ ويذكر أنه في عام ١٥٨٩م تحول لقب رئيس الكنيسة الروسية من الميتروبوليت الموسكوفى إلى البطريرك الروسى.

(٤٣) انظر : مقدمات المراسيم والفرمانات أرقام ١٢٣ في ١٨ يناير ١٥٢٣، ١٢٥ في ١٨ مايو ١٥٢٥، ١٣٦ في ديسمبر ١٥٨٥م.

(٤٤) تحدث القلقشندى عن الأقسام الإدارية لشبه جزيرة سيناء وما يليها من الأراضى الداخله في بلاد مصر، حيث قال : الحيز الثالث. كور القبلة وفيها خمس كور : كورة الطور وفارأن ويريد بها طور سيناء ويتابع : وهو المراد هنا جبل داخل في بحر القلزم، على رأسه دير عظيم وفي وادية بساتين واشجار وهو على مرحلة من فرضة الطور المتقدمة الذكر في تحديد بحر القلزم وكأنها سميت باسمه لقربها منه. انظر : القلقشندى المصدر السابق، ص٣٩١.

(٤٥) " بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله. مفخر النواب مجرى الحق بالصواب نايب الشرع الشريف بالطور المبارك... " انظر المرسوم رقم ١٢٩ في ١٥ ابريل ١٥٤٣م، الفرمان رقم ١٤٩ في جمادى الأول ٩٨٩هـــ / ٢٧ يونيو ١٥٨١ م.

(٤٨) ".. المرسوم بالأمر الكريم العالى المولوى اعلاه الله تعالى وكرمه وأنفذه وابرمه إلى كل واقف عليه من القضاه والكشاف والولاة ومشايخ العربأن والحكام والمتكلمين وولاة الأمور بالخانكاة السرياقوسية والقليوبية والشرقية.. " انظر الوثيقة رقم ١٣٦ في ٣١ يناير ١٥٤٨م، ونفس المعنى نجده في الوثائق أرقام ١٢٦، ١٢٣، ١٠٢، ١٢٩، ١٣٢، ١٢٢. كما وجدت وثائق موجهة فقط إلى حاكم القليوبية وهى ارقام ١٣٩، ١٤٤، ١٦٧، وبخصوص الفرمان رقم ١٥٣ من عهد السلطان مراد الثالث فقد وجه إلى ولاة أمور الاسلام بالشرقية إلى الصالحية إلى قطيا والكاتب والقضاة والحكام بها واصحاب الدرك.. ".

(٤٩) انظر : رابينو، دير عثمان كاترين، ص٤٤٠، أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٨، Rabino , Op. Cit., P. 9.

(٥٠) انظر : الوثائق أرقام ٢٤٧، ٢٧٧، ٢٨٥، ٣٠٦، ٣٧٨، ٤٨٢، ٤٩٦، ٤٩٧، ٦٩٢، ٨١٨ وهى نوع " الأعمال Deeds، والوثائق من رقم ٨٢٠ في ٧ رجب ١٢٨٢هـــ / ٢٧ نوفمبر ١٨٦٥م وحتى الوثيقة رقم ٨٥٧ بدون تاريخ من نوع المحاضر – المتنوعات Proces Verbaux، انظر الوثائق ارقام ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥ والخاصة بالأوامر الإدارية dministrative – Orders.

(٥١) انظر الوثائق أرقام ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، من نوع الفواتير Bilis، بالوثائق أرقام ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢ من نوع الايصالات **Receipts**.

(٥٢) عندما سأل نعوم شقير الرهبان عن ممتلكاقم في سيناء. أحابوه " لنا الدير ودائرة من الأراضى طول قطرها ثلاثة أيام " انظر شقير : المرجع السابق، ص٢٢٨.

(٥٣) Bassili , Op. Cit., P. 104.

.iya , the Arabic Manuscripts of …., P. XX

(٥٥) انظر : مدارس التربية الكنيسة، الشهيد المصرى مارمينا العجايبى (الإسكندرية : كنيسة مارمينا، ١٩٦٣)، رسالة مارمينا الثالثة عشر، عدد خاص عن الشهيد مارمينا (الإسكندرية، ١٩٩١).

(٥٦) والنص الأرمنى يقول : " يا أيها العابرون السعداء تذكروا في صلاتكم الواهب Giragos " أما النص اليونانى فيقول " الحاضر كان مكرس من المختص بكرس المطران Tokat الأرمنى الشديد الاحرام Mgr. Kyriakos في جبل سيناء ١٦٧٨م " انظر : Rabino , Op. Cit., P. 34

(٥٧) والنص "... لقد أهدى ذلك القنديل ابراهيم بن فرج موسى من دمشق إلى الدير عثمان كاترين المعروف باسم طور سيناء... وهذه الأبدية كانت في ١٧٥٦م "، انظر , Rabino Op. Cit., P. 35.. وهناك وقف آخر أوقفه " الفقير ابراهيم مسعد الحلبى لدير طور سيناء المعمور ١٧١٣م "، وكذلك أوقف قنديل لصالح الدير " أقف هذا القنديل ابراهيم بن المرحوم فرج موسى الدمشقى على دير الست كاترينا المعروف بطور سيناء وفقا مؤبدا ١٧٥٨م. بركة كاملة ونعمة شاملة وسعادة طائلة " للمزيد من التفصيلات انظر : Ibid, PP.34-38,104-106.

(٥٨) " مباركة تامة وعون تام وراحة كاملة وسعادة دائمة ونجاح طويل جداً " انظر : Ibid, P. 35.

(٥٩) انظر تلك القائمة في Ibid, PP. 44-78.

(٦٠) انظر الوثيقة رقم ١٤٠ في ٢٠ ذى الحجة ٩٦١هـ / ١٧ نوفمبر ١٥٥٣م.

(٦١) "... ثم عند حصول وفاة أحدهم لا يجوز لمقسمى المواريث أو نظار بيت الأمانة أو أى موظف آخر التدخل في الممتلكات أو الآمتعة المخلفة عن المتوفى لأن ممتلكات الرهبان المتوفين تصبح ملكاً للرهبان الأحياء... " وثيقة مراسلة من السلطان مصطفى الأول إلى المطران غفريل الرابع " في ٧ فبراير ١٦١٨.

(٦٢) كان رئيس مجلس إدارة المدرسة هو مطران سيناء، وفي فترة لاحقة جعلت قنصلية روسيا بمصر المدرسة تحت حمايتها ١٨٦٣ للمزيد من التفصيلات انظر : الوقائع المصرية، ع١١٩، ٤ يوليو ١٨٦٧ ى، نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢٣٧-٢٤٨، جرجس سلامة، تاريخ التعليم الأجنبى في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرون (القاهرة : المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب، ١٩٦٣) ص٣٢٠.

(٦٣) انظر : شقير، المرجع السابق، ص٤٧، ٢٢٨ - ٢٢٩.

(٦٤) سميت كذلك لكثرة كروم النخيل بها.

(٦٥) انظر : وثيقة من نوع العرضحال مقدمة إلى صاحب الدولة من طرف كل من محمد أغادردار، قلعة الطور وشرف الدين نائب الشرع الشريف أمام بالقلعة وابراهيم مراد طوبجى باشى " بالقلعة " وعلى " جوربجى " بالقلعة وأحمد محمد طوبجى و " بيرم محمد سنجق " وعمر محمد سنجق بالقلعة، الوثيقة مؤرخة في ٢٦ جمادى الآخر ١١٠٣هـ / ٢٥ مارس ١٦٩٢م، الوثيقة رقم ١٢٤ في ٨ ذى القعدة ٩٦٦هـ / ١٢ أغسطس ١٥٥٨م، ونعلم من تلك الوثيقة أن الدير يمتلك غيطأن من النخيل وخلافه، كما يمتلك بداخله مال بندقى وذهب وعسل وسمن.

(٦٦) (أنه في وقف دير طور سيناء (بيتأن) بالطور وأن تم من يمتنع عن القيام بالاجرة عن سكنة في البيتأن المذكورة..) انظر الوثيقة رقم ١٤٣ في ٩ رجب ٩٦٠هـ / ٢١ يونيو ١٥٥٢م، ونفس المعنى نجده في الوثيقة رقم ١٣٤ في ٢١ رمضأن ٩٥٠هـ / ١٨ ديسمبر ١٥٤٣م، (يعلمهم أن رهبان دير طور سيناء أنهوا إلينا أن لهم بيوت (كذا) بالطور..).

(٦٧) انظر الوثيقة رقم ١٢٠ في ١٥ ربيع الثأنى ٩٥٦هـ / ١١ يوليو ١٥٤٩م، الوثيقة رقم ١٦٨ فرمان صادر في ٢٣ رمضأن ١٠٠٠هـ / ٣ يوليو ١٥١٩م.

(٦٩) (ومن أديرة واملاك موقوفة بحى الجوانية بباب النصر بعاصمة القطر المصرى ومن جنائن وأراضى ومراع شتوية بالإسكندرية ورشيد وبسائر الموأنى والأقاليم والمديريات والمدن والبلاد القرى " في : الفرمان التركى الذي عربه " نعوم شقير " من قبل السلطان مصطفى الأول للدير في ٧ فبراير ١٦١٨، ونجد نفس المعنى في وثيقة " صورة مرسوم حكم عال " من أرشيف الشهير العقارى بدمنهور، سجلات محكمة رشيد، السجل رقم ٦، مادة ١٣١، ص٢٨، في ١٥ محرم ٩٨١هـ.

(٧٠) انظر : أحمد شفيق، المرجع السابق، ص٢٠، ولكن شقير يرى بأن الأفدنة مائة وليست ١٢٨، انظر شقير، المرجع السابق، ص٢٢٩.

(٧١) " أن الرهبان بالطور أنهوا الينا أن لهم بيتا بالخأنكاة السرياقوسية " انظر الوثيقة : رقم ١٢١، الوثيقة رقم ١٢٨ في ٢٢ صفر ٩٤٠هـ / ١٢ سبتمبر ١٥٣٣م، " وأن من الجارى في تعليقاتهم بيتا بالخأنكاة وفيه بعض حواصل لتحزين الغلال المتعلق بهم المعدة لأقواتهم التي يجهزونها في كل سنة لدير طور سيناء "، الوثيقة رقم ١٤٤ في ١٥ رمضأن ٩٧٧هـ / ٢١ فبراير ١٥٦٩م حيث نجد نفس المعنى تقريبا.

(٧٢) " أن النصارى الرهبان بدير طور سينا جبل المناجاة أنهوا الينا أن لهم زوجين اثوار يزرعون عليها بناحية كوم الزيتون وثورا وجملا يحملون عليها الغلال إلى دير طور سيناء.. " انظر : الفرمان رقم ١٣٩ صادر من عهد السلطان سليمان الأول للحاكم الشرعي بالقليوبية والحكام والمشايخ العربأن في ١٥ ربيع الأول ٩٦١هـ / ١٨ ابريل ١٥٥٣م.

(٧٣) انظر الوثيقة رقم ٢٢٢ وهي غير مؤرخة " وأن للدير المذكور أوقاف في الولاية السلطانية والوقوف المذكورة في الشام المحروسة وما يليها في ولاية أفريديه في ولاية قبرص وجميع الولايات السلطانية "، الوثيقة رقم ١٤١ في ١٢ ربيع الأول ٩٦٠ هـ / ٢٦ ابريل ١٥٥٩م، الوثيقة السابقة من أرشيف الشهر العقارى بدمنهور، فرمان السلطان مصطفى الأول لمطران الدير ١٦١٨م، المنشور الصادر بواسطة " نابليون " إلى رهبان الدير في ٢٠ ديسمبر ١٧٩٩م

(٧٤) انظر : الوثيقة رقم ٥٣ من عهد السلطان خشقدم في ١٤ شعبأن ولم استطع قراءة السنة لعدم وضوحها، الوثيقة رقم ٦١ من عهد السلطان قايتباى.

(٧٥) Rabine , Le Monestre De Asint. P. 4.

(٧٦) والمطران " نكتاريوس " هو صاحب كتاب التاريخ المقدس باليونانية السابق ذكره في هامش من الفصل الأول، انظر : شقير، المرجع السابق، ص٥٢٢، Lina , Op. Cit., P. 179.

(٧٧) انظر : بيرمينوف، المرجع السابق، ص١٨١-١٨٢.

(٧٨) انظر : نص الفرمان الصادر من السلطان مصطفى الأول إلى رهبان الدير ١٦١٨.

(٧٩) انظر : سلام شافعي محمود، المرجع السابق، ص٢٥٤، يلاحظ أن " سلام " هو الذي أورد ذلك المنشور ولم أجده في فهارس كلارك سوريال أو كامل.

(٨٠) انظر : المنشور رقم ٩٦٣ في ١١ محرم ٥٥٣هـ / ١٢ فبراير ١١٥٨ الصادر عن وزير الخليفة " الفائز " طلائع بن ذريك.

(٨١) انظر : سلام شافعي، المرجع السابق، ص٢٥٩، وكذلك لا يوجد ذلك المنشور الذي اعتمد عليه المؤلف في الفهارس المذكورة سابقاً.

(٨٢) انظر المراسيم ارقام ١١ في ١٦ محرم ٥٩٢هـ / ٢١ ديسمبر ١١٩٥م. ١٢ في ٥ ذى القعدة ٥٩٥هـ / ٦ أغسطس ١١٩٨ م. وهو الصادر عن الملك الأفضل، ١٦ وهو أمان

من مقدم الجيوش في عهد الملك الكامل في جمادى الآخر ٦٢٨هـ، ٧ مكاتبه ترجع لعهد الملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن العهد المملوكي هناك المراسيم ارقام ٤٨، ٤٢، ٧٧... الخ.

(٨٣) انظر : بنتلى، المرجع السابق، ص١٨.

(٨٤) يلاحظ أن محرر القسم العربي في بعثة سنة ١٩٥٠ قد استعمل مصطلح " فرمان " الفارسى الأصل بدلاً من مصطلح " منشور – مرسوم – اعلأن (Decree) عندما وصل في الفهرسة إلى العصر العثماني، وهكذا يصبح عدد الفرمانات الصادرة في هذا العصر ٧٥ فرمانا اخذت الأرقام من ١٢٠-١٨٤ ومن ٩٦٥-٩٧٤

(٨٥) انظر المنشور الذي اصدره نابليون إلى رهبان الدير في ٢٠ ديسمبر ١٧٩٩م، والمنشور الذي اصدره قائد اللواء الفرنسى " داماس " من مركز القيادة العام في الأول من نوفمبر ١٨٠٠م.

(٨٦) خليل صباغ، المصدر السابق، ص١٠١٢.

(٨٧) انظر الوثيقة رقم ١٤١ في ٨ نوفمبر ١٥٦٢م، في عهد السلطان سليمان الأول حيث يستشهد بالفرمان الأول الذي أصدره السلطان سليم خأن المعتمد هو الآخر على العهد النبوى.

(٨٨) انظر : الوثيقة رقم ١٤٧ في ١٤ صفر ٩٧٧هـ / ٢٩ يوليو ١٥٦٩م.

(٨٩) انظر الوثيقة رقم ٢٢٢، ١٤١.

(٩٠) انظر : عرضحال بقلم محمد أغا دردار قلعة الطور والى مصر على باشا قايم مقام في ٢٥ مارس ١٦٩٢.

(٩٢) انظر المرسوم رقم ١٠٦ في ٨ جمادى الأول ٩٢٤هـ / ١٨ مايو ١٥١٨مم، المرسوم رقم ٩١ في ٩ شوال ٩٢٧هـ / ١٢ سبتمبر ١٥٢٠م، ويلاحظ أنه من خلال قراءاتنا في سيرة الأمير خايربك من المصادر المعاصرة. لم نعثر على أى ذكر خاص باصداره تلك المراسيم ويبدو أن هذا من مميزات وثائق دير عثمان كاترين ألا وهو التفرد وحفظ الوثائق وصورها مع عامل الاستمرارية الذي تحظى به تلك الوثائق.

(٩٣) "... وقد أنعمت صداقتنا الشريفة على الرهبان المذكورين باستمرار ذلك لأهم على الأنقطاع... " انظر الوثيقة رقم ١٢٣ في ١١ ربيع الأول ٩٢٩هـ / ١٨ يناير ١٥٢٣م، ١٢٧ في ٣١شوال ٩٢٤هـ / ٣ ابريل ١٥٣٧م.

(٩٤) سليمان باشا : حكم ولاية مصر فترتين الأولى من ٩٣١ / ٩٤١ هـ / ١٥٢٥ / ١٥٣٥م والثاني من ٩٤٣ / ٦٤٥هـ / ١٥٣٦ / ١٥٣٨م، انظر احمد شلبي عبد الغنى، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٨.

(٩٥) انظر الوثيقة رقم ١٣١ في ١٢ ذى القعدة ٩٤٤هـ / ١٢ ابريل ١٥٣٧م.،

(٩٦) انظر الوثيقة رقم ١٤٥ في ١٥ ذى القعدة ٩٧٢ هـ / ١٥ يونيو ١٥٦٤م.

(٩٧) انظر المراسيم التالية : ١٤٦، ١٥٥، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٨، بدون رقم في ١٥ جمادى الثانى ٩٩٤هـ / ٤ يونيو ١٥٨٦م، وتلك الوثائق من نوع الفرمانات، والخمس الآخيرة صدرت على عهد السلطان مراد الثالث.

(٩٨) انظر الوثيقة رقم ٥٥٤ في ٢٣ جمادى الآخر ١٠٢٦هـ / ٢٨ يونيو ١٦١٧م.

(٩٩) انظر الوثيقة رقم ٤٩٦ من محكمة بندر الطور في ٢٥ محرم ١٠٢٨هـ / ١٢ يناير ١٦١٩م، محمد عفيفى، المرجع السابق، ص١٠٨.

(١٠٠) انظر الوثيقة رقم ٤٣٠، ٤٦٥، محمد عفيفى، المرجع السابق، ص١٣٩-١٤٠.

(١٠١) انظر : الفرمانات أرقام ١٢٠، ١٦٥، والمرسوم رقم ٢٢.

(١٠٢) نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢٢٢، وعلى الرغم من أن التربة والمناخ تعتبرا الأسوء في العالم للزراعة في تلك المنطقة فأن الزيتون ينتقى ويعصر لإستخلاص الزيت منه وكذلك يتم تجفيف العنب واستخلاص النبيذ لاستعمالهم اليومي وللزوار أيضًا.

(١٠٣) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٨، ٢٢، Ayiya , The Arabic Treasures ...P. 7

(١٠٤) خليل صباغ، المصدر السابق، ص ص ١٠٠٨-١٠٠٩، الرام الشماس، المصدر السابق، ص٧٤٢، ٧٩٧.

(١٠٥) "... أن النصارى الرهبان بدير طور سيناء جبل المناجاة أنهوا الينا أن لهم زوجين اثوار يزرعون عليها بناحية منسى جعفر وبغالا وبعض جمال... " انظر الوثيقة رقم ١٣٦ في ٢٠

ذى الحجة ٩٥٤هـ / ٣١ يناير ١٥٤٨م، الوثيقة رقم ١٣٩ في ١٥ ربيع أول ٩٦١هـ / ١٨ ابريل ١٥٥٣ م.

(١٠٦) انظر الفرمان رقم ١٢٧، ١٢٨، ١٤١ في ٢٦ ابريل ١٥٥٢م (لهم من الزروع في جزيرة قبرص واقريطش)،١٢٥(كرومهم ومزارعهم في البلاد الطورية وجزيرة برص وجزيرة أقريطش).

(١٠٧) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١٠٨، Bassili; Op. Cit., P. 116

(١٠٨) فايز اسكندر، المرجع السابق، ص٤٩، الهام ذهنى، مصر في كتابات الرحالة والقناصيل الفرنسيين في القرن الثامن عشر (القاهرة : هيئة الكتاب، ١٩٩٢) ص١٢٨.

(١٠٩) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١٠٨، Felix, Fabri, Op. Cit., P. 585

(١١٠) نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢٢٢؛ F. Fabri; Op. Cit., PP. 583, 584

(١١١) انظر الوثائق ارقام ٤٣٠ من نوع الاعمال في ٣ ربيع أول ٩٧٤هـ / ١٦ نوفمبر ١٥٦٦م، الوثيقة رقم ٤٦٥ في ١٠ ذى الحجة ١٠٠٤هـ / ١٦ أغسطس ١٥٩٥م.

(١١٣) انظر الوثيقة رقم ٣٧٨ في الرسوم ٩٤٣هـ / يونيو ١٥٣٦م.

(١١٥) انظر الوثيقة رقم ٢٣٢ غير مؤرخة.

(١١٦) F. Fabri ; Op. Cit., PP. 583 , 626

الفصل الثالث

الأوضاع الاجتماعية لدير سانت كاترين

١- الحياة اليومية داخل الدير:

في الحقيقة أن الصفة الغالبة لحياة رجال الدين المسيحي وخاصة في العصور السالفة هي الزهد والبعد عن مباهج وترف الحياة، ولقد كانت حياة رجال الدين السينائيين شديدة الزهد والتقشف، فرهبان سيناء كانوا يتبعون القواعد التي وضعها القديس بازيل St. Basil وباسيلوس الكبير (٣٢٩- ٣٧٩م) أحد تلامذة الأنبا باخوم (٢٩٠- ٣٤٨م) الذي أقام نظاما خاصا للرهبنة في صعيد مصر، كما أنه يعتبر مؤسس الحياة السينوبتية Conabtie وكإخوانهم الباخوميين القدماء لاحظ رهبان سيناء دور العمل والتعلم جنبا إلى جنب مع مبادئ الصلاة والتقديس[1].

في العادة يستيقظ الرهبان فيما بين الثانية والنصف صباحا شتاء، والواحدة صباحا صيفا وبعد نصف الساعة علي استيقاظهم يقومون بإعداد أنفسهم للذهاب إلى الكنيسة الكبرى لصلاة الصبح والتي غالبا ما تستمر حتى السابعة، وفي بعض الأحيان تمتد إلى نحو الثامنة، خاصة في أيام الأعياد، ويتم إيقاظهم عن طريق الدق بواسطة جرس صغير، ثم يعاد الدق لمدة خمس دقائق أخري، ولكن تلك المرة بالطرق على جرس كبير،وفى الرابعة صباحا يستخدمون نوعا من الأجراس الخشبية للنداء على الرهبان، كي يقيموا شعائر الصلاة في البازيليكا أو في إحدى المقاصير الأخرى المنتشرة في أرجاء الدير[2].

ومن عاداتهم بعد قداس الصباح تناول القهوة التركية، أو العودة إلى غرفهم لتناول طعاما لإفطار، ثم يباشر كل منهم عمله المنوط به حتى العاشرة، وفي أيام الصوم تمتد فترة العمل حتى الحادية عشرة إلى أن يأتي موعد تنـــاول طعـــــام الظهر (الغذاء) ومن ثم يعودون إلى غرفهم لمطالعة كتبهم (مخطوطاتهم) ذات الطابع الديني غالبا.

وإن كان البعض منهم يفضل أن ينام العصر، وبعد ذلك يترلون إلى الكنيسة لصلاة العصر. وفي المساء يعودون إلى الوسط بقرب المائدة فيأخذون عشائهم لتناوله في غرفهم (٣) ويجدر بنا أن نذكر أن حساب الزمن عند رهبان سيناء يبدأ عند غروب الشمس(٤). وطعام هم بسيط للغاية.ففي وقت الصوم الكبير يأكلون الخبز بأدام من بطارخ وعدس وفاصوليا وبصل.

ومن عاداتهم أثناء الطعام أن يقوم أحدهم بالقراءة في الكتاب المقدس لباقي الزملاء كي يبارك الله طعامهم، وعشاءهم غالبا يتكون من رغيف وقليل من الزيتون أو الجبن أو السردين، ويصل تقشف الرهبان إلى درجة أنهم لا يأكلون اللحوم إلا نادرا، كما أنهم لا يتناولونها في غرفة الطعام حتى ولو كان يوم عيد فأنهم يأكلون السمك. وفي المساء يخرجون إلى الحديقة وهنا فقط يستطيعون تناول اللحوم (٥). ويحصل الراهب شهريا على نحو لتر من العرق، ومبلغ ضئيل من المال يعادل حوالي جنيهين مصريين (٦).

وملابسهم بسيطة لا تميل إلى البهرجة أو التجديد، فغالبا ما يرتدون في الشتاء قطعة من القماش الخشن المصنوع من الشعر الرمادى اللون لمواجهة الشتاء القارس، ويرتدون في الصيف جوخا أسودا رفيعا.ولكل راهب مسبحة يجدلها من شعر رأسه.

أما الأعمال المنوط بها رجال الدير فهي بسيطة تقتصر على أعمال بالغة الضآلة، فبعضهم يصنع- الزيت والقليل من النبيذ عن طريق عنب الكروم المزروع

في بساتين الدير، أيضًا يصنعون الخمور من البلح والتين والعنب المجفف والبعض من تلك الخمور لغرض استعمالهم الخاص، و الرهبان فيهم النجار والطحان والخباز والطباخ والبناء والبواب والإسكافي والخياط والبستاني.. الخ[٧] ومنهم من يقوم بمقابلة رواد وزائري الدير، والبعض يعمل في المكتبة في نسخ المخطوطات، وهناك المسئول عن خدمة البدو، وآخر يخصص حوالي الساعتين يوميا في خدمة المرضى في عيادة الدير[٨].

وعموما فإذا ما استثنينا قداس الصباح وبعض الصلوات التي تتلى في المساء، فإن هؤلاء الرهبان الورعين يقضون غالبية وقتهم في إنجاز لا شيء خاصة وأن الدير لا يسمح للنساء بالمعيشة في داخله، و أما عن عادات القراءة الدينية، ففي أيام الصوم الكبير يقرءون في (الاقليمقس) وباقي أيام السنة يقرءون في تاريخ قديس ذلك اليوم من الكتاب الشهير "السنسكار" [٩]، ويوم السبت يقرءون (تفسير الرسائل) ويوم الأحد يخصص لقراءة العهد الجديد " الإنجيل " بالإضافة للقراءة أيضًا طوال العام في: الابركسيس[١٠] الأبصلمودية[١١] الأجبية[١٢] الأسقولية[١٣] الخولاجي المقدس[١٤] القطماروس[١٥]...الخ، وهكذا تتميز الكنيسة الأرثوذكسية بتراثها الفني الثري[١٦].

أما عن صلاة الرهبان ومواعيدها فعديدة وإن كانوا في العادة يصلون مرتين في اليوم الأول في الصباح الباكر، حوالي الرابعة فجرا حيث ينكسر السكون عن طريق صوت الموسيقي المنبعثة من الأجراس تدق بصوت عال مبهج عبر نسيم الصباح بواسطة أحد الرهبان الذي يعتلى الكنيسة يشد أحبال جرسين، وبعد ذلك بنصف ساعة يرن صوت آخر أقل من الأول من طرف نفس الراهب الذي يستخدم في الطوق لوح خشبي، وتلك العادة القديمة مستمرة للآن ويتراوح طول اللوح حوالي عشرة أقدام، وسبع بوصات عمقًا، ويصدر صوت متناسق، وهو يرجع إلى زمن جستنيان، ويتبدئ السكون بوقع أقدام الرهبان مهرولين نحو كنيسة سانت

هيلانة الموجودة أسفل الدير، والجميع يرتدى أجمل الثياب وعباءة سوداء وقبعة هي الأخرى سوداء، وتمتد الصلاة حتى السابعة والنصف وتسمى بصلاة السحر.

وفى حوالي الثانية والنصف بعد الظهر تقرع الأجراس ثانية معلنة بدء صلاة العصر أو النوم، وغالبا ما تمتد تلك الصلاة إلى الرابعة، ويسمح لزوار الدير بحضور الصلاة[١٧] وفي أيام الآحاد والأعياد يحيون التقاليد القديمة بدقهم لثلاثة أنواع مختلفة واحدة إثر الأخرى.كما كانوا يستخدمون في بعض الأحيان النيران مع الأجراس لإعطاء تأثير غير عادي ببرية سيناء[١٨].

وبالنسبة ليوم الأموات وأيام السبت الخاصة بالصيام الكبير، يؤدى أحد القسس القداس في المقبرة الملحقة بالدير، وأيام الأعياد الكبرى كعيد عودة المسيح وعيد القديسة كاترينة وعيد تجلى الرب نجدهم يصلون مجتمعين في البازيليكا، أما الأعياد الصغيرة فيقام القداس في إحدى المقاصير الصغيرة.

وكل أربعاء يحتفل بالقداس في مقصورة العذراء الواقعة أسفل المكتبة[١٩] وكان الحجاج يبتاعون من رهبان الدير الخشب اللازم للطهي في مقابل تقديم الحجاج القرابين والنذور من النقود وخلافه للدير، وإن اعتقد بعض الحجاج الغربيين اللاتين أن رهبان الدير لم يكونوا على هدي مسيحي سليم مثلهم مثل بقية إخوانهم المسيحيين الشرقيين أرثوذكس كانوا أم نساطرة أو سريان، ويبدو أن هؤلاء اللاتين نظرو تلك النظرة للرهبان بسبب أن الآخرين كانوا يمنعونهم عن أداء القداس في كنيسة اليونانيين بالدير، بالإضافة إلى أن الصلاة كانت تتلى عليهم باللغة اليونانية التي غالبا ما كانوا يفهمونها ولكن بعضهم عاد وقال بوجود كنيسة صغيرة في غرفة واحده مستطيلة وضيقة خصصت لأداء الشعائر الكاثوليكية [٢٠] وقد حاولت سلسلة المجامع الكنيسة العديدة التوفيق بين الكنائس الشرقة والغربية ولكن دون جدوى[٢١].

وقد شجعت السلطات العثمانية مبدأ " إجازة الخلو "[٢٢] طالما أنه يحقق منفعة للوقف، والدير كانت له أوقاف كثيرة داخل وخارج مصر، وقد نتج عن ذلك اكتساب الخلو جميع حقوق الملك من بيع وشراء ووراثة ووقف، فمثلا تم شراء منفعة الخلو والسكن في قاعتين مقابل مبلغ ١٥ ألف نصف فضة، وفي العام نفسه بيع ذلك الخلو مقابل ١٨ ألف نصف فضة أي بزيادة تقارب ٢٠% تقريباً[٢٣]. وكان من الظواهر الهامة والجديدة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية المصرية أن الأوقاف الكبيرة ذات الريع الهائل أصبحت حوانيتها تدخل ميدان الخلو كأوقاف الأديرة ومنها دير سانت كاترين.

كما وجدنا في وثائق الدير أن بعض رهبان قد أسهموا في الأنشطة الحياتية أو العلمانية بقدر معين، فعلى مسئولية إحدى الوثائق أن رئيس رهبان الدير المدعو مقاري بن مسلم بن الشيري النصراني الملكي كان طرفا في وثيقة بيع[٢٤]، كما أنه شارك أيضًا في مصادقة شرعية[٢٥]. مفادها أنه له في ذمة أحد النصارى مبلغاً من المال كبقية لدين كان عليه أجل تسديده حتى نهاية عام ٨٠١هـ / ١٣٩٨ م بضمان أحد المسلمين، وهذا العمل يؤكد لنا مدى متانة العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في ذلك الوقت. كما يتضح من الوثائق أيضًا أن بعض مسيحي الدير أو الأفراد التابعين له قد عملوا في النشاط التجاري داخل وخارج سيناء[٢٦].

وعن جنسية هؤلاء الرهبان فغالبيتهم قدمت من الجزر اليونانية. ولا يقيمون في الدير أكثر من أربع أو خمس سنوات ثم يعودون إلى بلادهم، إلا أن بعضهم مكث بالدير مدة تقرب من الأربعين عاماً، ولا يعرف من العربية إلا القليل. بيد أنه لا يوجد بينهم من يستطيع أن يكتب أو يقرأ تلك اللغة، ويصفهم بوركهارت بأنهم في غاية الجهل " وأن قليلا منهم لا يقرأ حتى اليونانية الحديثة فيما عدا ما هو مكتوب في كتب الصلاة، ولم أقابل أحداً منهم لديه أية مبادئ في اليونانية القديمة، ولنا أن نتصور

بسهولة إلى أي حد استفاد أولئك الرهبان من وجود هذا الكنز من المخطوطات والكتب التي بين أيديهم[٢٧].

٢- العلاقات بين الرهبان والقبائل القاطنة بجوار الدير:

يقول أفرام الشماس " كان الآباء الرهبان في ضنك عظيم مع العرب والبربر الذين كانوا دوماً يريدون أن يتركوا الدير ويمضون كل واحد في حال سبيله.. وهكذا كل مرة يتراجعون. والرهبان في جهاد عظيم مع العربان والزوار وغيرهم من المترددين، لأن أهل البادية على الدائم كل يوم يأتون للدير ويأكلون ويطلبون حوائج كثيرة غير الخبز باليد الغالبة، وبعضهم يضربون الرهبان ويهينونهم على الغالب لأن تلك البرية ليس فيها حاكم، وجميع أهلها أناس أشرار وإذا عرض أمر من أمور الدنيا والعياذ بالله بين الآباء الرهبان وبينهم ولم يعطوهم جميع الحوايج التي يطلبونها قطعوا الطريق عليهم وأخذوا جميع ما يحضر لهم من مصر وغزة"[٢٨].

ولا تكاد تختلف غالبية الأدبيات التي تحدثت عن طبيعة العلاقات بين الرهبان والعربان عما أبلغنا به هذا الزائر أعلاه،، ومع ذلك فلم تكن دائما طبيعة تلك العلاقات على هذه الصورة القاتمة. فهناك فترات ومواقف عديدة وضح فيها عمق ومتانة العلاقات بين الطرفين المتجاورين. فالبدايات التاريخية للعلاقات بينهما قديمة قدم الدير، بل قبل بناء الدير. فبالنسبة لحراس الدير الأوائل برزوا كعنصر منفصل حدثنا عنهم بإسهاب بروكوبيوس المؤرخ الخاص للإمبراطور جستنيان، والذي قال كما أشرنا من قبل أن الإمبراطور قد أمر بإقامة هذا الدير والكنيسة ليكون حصناً يلجأ إليه الرهبان إذا هاجمهم البدو، الذين هم غالبا من عنصر الأنباط، حيث تميزوا بالبأس والقوة وكانت عاصمتهم في بطرة جنوب البحر الميت بالأردن، ونحن نعلم مما كتبه الراهب (نليوس) عنهم أن مكان عبادتهم كان فوق قمة أحد الجبال، حيث يعبدون نجمة الصباح وهى الإله المعروف باسم ذي الشرى (Dusara) لدى

الأنباط، وفي آخر القرن السادس الميلادي ذكر الراهب أنطون الشهيد أنهم كانوا يعبدون القمر، وفي العصور الوسطى ذكر بعض الرحالة العرب أنهم كانوا يعبدون صنما فوق قمة جبل حمام فرعون على مقربة من وادي الغرندل عند سفح جبل موسى[٢٩]، وهناك نظرية الأخرى ترجع أصل هؤلاء الحراس الأوائل إلى الصرب أو البوسنة[٣٠]، ويرى الأنبا دميانوس أن هؤلاء البدو البربر – كما يفضل أن يطلق عليهم – يرجع أصلهم إلى جنوب السودان وأثيوبيا، وأنهم قاموا في القرنين الرابع ثم التاسع الميلادي بمجاذر وحشية راح ضحيتها في المرتين حوالي أربعين راهباً في الطور ومثلهم في دير سانت كاترين، وقد دون تلك الحوادث المؤرخ المصري "امونيوس[٣١]. وبنى الرهبان كنيسة الأربعين تكريسا لذكرى استشهاد هؤلاء الرهبان.

وذكر بطريرك الإسكندرية أفتخيموس أن خدام الدير الحاليين هم أحلاف للعائلات التي كان قد أرسلها جستنيان، ويشكلون قبيلة واحدة من القبائل العربية القاطنة أرض سيناء وأنها تعرف باسم "الجبالية"[٣٢] ونحن نميل إلى هذا الرأي. ويلاحظ أن أعداد الرهبان داخل الدير كانت تزيد أو تقل أو تستقر على حسب طبيعة العلاقات مع العربان، والفترة الممتدة من القرن الرابع عشر وحتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي تكاد تكون مبهمة في تاريخ سيناء، فالكتابات عن سيناء ولاسيما من ناحية القبائل وتوزيعها كتابات ضئيلة، ولكننا سنحاول بقدر الأم كان الإلمام ببعض المعلومات حول هذا الموضوع.

فمن أهم القبائل التي وجدت ب جانب الدير قبيلة الجبالية التي كانت وما تزال تقوم بخدمة الدير، ولكنهم منذ أن دخلوا في الإسلام أو منذ أن حل محلهم العربان الآخرون لم يعودوا يترددون على الدير أو خدمة الرهبان بأفضل مما تفعل بقية القبائل الأخرى ويراهم البعض إنهم أكثر هذه القبائل بؤسًا[٣٣] والنظريات حول أصل قبيلة الجبالية عديدة ومتضاربة، فالمستعرب الروسى بيرمينوف يرجع أصلهم إلى

منطقة فرشيا أو الفلاخ في البحر الأسود [٣٤]. بينما يعتقد غالبية المؤرخين بما فيهم الجباليين الحاليين أنفسهم بأنهم هم السلالة المباشرة لهؤلاء الحراس القدماء، ويوجد بمكتبة الدير معلومات معروفة عنهم توضح ما كان يلاقيه الرهبان من عنت هؤلاء الجبالية. أما المؤرخ المقريزي فكان يرى أن الجبالية هم فرع من العقاقرة الذين هم بدورهم بطن من بطون قبيلة السود أي التي هي فرع رئيسي من بني سليم [٣٥].

وانقسمت الجبالية إلى بطون منها السلايمة والحمايدة والوهيبات وأولاد جندى وأولاد رزين. ويغلب أحيانا أن تكون تسميتهم مستمدة من المنطقة الجبلية المرتفعة التي سكنوها وهم يختلفون اختلافاً ملموساً عن سائر البدو في الجنوب، في تقاطيعهم وطبائعهم مما جدا بغالبية الكتاب أن يعتبروهم من غير البدو وأن ينعتهم بأنهم من سلالة أولئك الفلاحين الذين أتى بهم جستنيان. وقد ساعد على ذيوع هذا الاعتقاد أن بدو سيناء الجنوبيين ينظرون للجبالية على أنهم أقل منهم مكانة فلا يتصاهرون معهم ولا يحترموهم، وأن الجبالية يختلفون مع البدو الآخرين في قيامهم بزراعة حدائق الدير وخدمة الرهبان، الذين يتعهدون بدورهم بمأكلهم ومشربهم. ويزودنا ج. كوتل ببعض الأوصاف الخاصة لهؤلاء البدو المحيطين بالدير فيقول أنهم ذو قامة يبلغ طولها في المتوسط من متر ونصف المتر إلى المتر الواحد ولون بشرتهم مائل إلى السمرة الشديدة وعيونهم حادة سوداء، وأجسادهم نحيفة في العادة وتقاطيعهم جادة دون أن توحي بالكآبة ويدينون ب الإسلام.

وتذكر المصادر أن آخر امرأة مسيحية منهم ماتت في عام ١٧٥٠ م لكنهم لا يعرفون عن الإسلام سوى اسمه ولا عن القرآن سوى الشهادة [٣٦]، ويحج هؤلاء البدو إلى مقام النبي هارون بقرب كنيسة الدير، وقد خصصت لكل قبيلة يوم تقوم فيه بزيارة الدير والصلاة في جامعه والصعود إلى جبل المناداة، ثم يعودون إلى الدير ثانية ليتذودوا بالخبز والماء، وفي المساء يتوجهون إلى مساحة فسيحة بجوار هارون حيث

ينحرون الإبل ويقضون ليلتهم في التعبد والصلاة، ويعتبر هذا اليوم بالنسبة لهم بمثابة فرصة عزيزة للاجتماع وتبادل الأخبار والآراء(٣٧).

ومع ذلك فالجبالية يعتبرون أنفسهم رومانيين منتمين إلى جنسية رهبان الدير ويفتخرون بهذه التسمية معتزين بأروميتهم وعليهم واجبات خاصة في الدير كما أن لهم حقوق، وبالرغم من إسلامهم فقد حافظوا إلى حد ما على بقايا إيمانهم المسيحي القديم، واعتبروا الدير ورئيسه أعلى سلطة إدارية وقضائية لقبيلتهم، وقد خص الكتاب الأوروبيون قبيلة الجبالية بالذكر، زعموا بأنهم سلالة الحرس الصقالبة الأولين الذين أتى بهم جستنيان، ولكن ألا يمكن النظر إلى الجبالية نظرة الأخرى واعتبارهم بدواً قربهم الرهبان إليهم في أول الأمر ثم خصوهم بحماية الدير واشركوهم معهم في العناية بحدائق الدير ومزارعه، وهكذا أصبحوا في شبه عزلة عن باقي القبائل الأخرى ونظر إليهم بقية البدو على أنهم خدام للنصارى، ومن ناحية الأخرى قد يفترض البعض أن شيئا من الاختلاط قد حدث بين الرهبان الذين كان عددهم كبيراً، وبين هؤلاء الجبالية. وعلى ذلك يكون هذا الاختلاط من الأسباب التي أدت إلى هذا الاختلاف الذي يظهر في تقاطيع الجبالية إذا ما قورنوا بتقاطيع غيرهم من البدو الآخرين وهكذا قبض لقاطني الدير أن يجدوا أسلوباً للعيش الآمن حتى مع المسلمين المحيطين بهم(٣٨).

وبجانب الجبالية وجدت قبائل أخري، بعضها ما يزال باقياً، مثل قبائل أولاد سعيد، وأولاد واصل والصواحلة والقلقاه الذين كانوا يوردون الملح للدير بعض الوقت، كما كان خفراء الدير في بعض الأوقات ينتمون إلى قبائل العوارمة والزهيرات والعليقات، بالإضافة لأولاد على، والعايد (٣٩)، والبراغثة.

هذا وقد أطلق على سكان القسم الجنوبي من سيناء اسم الطورة نسبة للطور، وكان من أهم قبائله أولاد سعيد والعوارمة والفراشة ومزينة والجبالية. والطورة

ليسوا سكان سيناء الأصليين فقد وفدوا على البلاد إبان موجة الفتح العربي الكبرى عقب وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأغرهم سيناء باختيارها مكان للاستقرار خاصة في السنوات التي تلت الفتح الإسلامي لمصر، وذلك بسبب نقل التجارة بين آسيا وأوروبا وأفريقيا وخفارة دير طور سيناء، وحيث كان يسيطر على قلب سيناء وقتها عرب بني سليمان، وبني واصل ولكن العليقات والصوالحة أنتزعتا البلاد منهم(٤٠).

و كانت هناك أيضًا قبائل الأخرى على علاقات مباشرة أو غير مباشرة مع الدير وأهله، مثل قبيلتي التبنة والمواطرة اللتين يرجع تاريخ علاقاقما مع الدير إلى أواخر القرن السادس عشر، ولعلها من القبائل التي استعان هم الرهبان في البداية كحماة لهم ضد غارات القبائل الأخري، ويشار في الكتابات المحفوظة بالدير منذ أواخر القرن السادس عشر إلى قبيلة بني واصل وفي الغالب أها من بطون بنى عقبة التي جاءت من شمال الحجاز ومن شرق مصر، ومن المعروف أهم كانوا يسكنون في القرن الرابع عشر في جبلي طي: أجا وسلمى، كما سكنوا جزام في شرقي الديار المصرية، واقتسموا البلاد مع قبيلة الحماضة إلا أهم ضعفوا بسبب كثرة الخلافات مع القبائل الأخرى على أسبقية نقل الحجاج إلى الدير، مما أدى إلى استيلاء الصوالحة، والعليقات على أرضهم(٤١)، ولم يكن قد بقى منهم في أوائل القرن العشرين سوى عشرون مترلا دخل أهلها في حمى الصوالحة، و كانوا من قبل يتمتعون بحق نقل البضائع إلى دير القديس أنطونيوس في البحر الأحمر(٤٢).

ويرى المقريزى أن بني واصل هم فرع من عقبة يعيشون في جنوب سيناء، وأطلق اسمهم على عزبة تقع بمواجهة بني سويف، حيث كانوا إلى عهد ليس ببعيد يتمتعون بحق نقل البضائع إلى دير أنطونيوس،كما أسلفنا، وورد أقدم ذكر لهم في سيناء في كتابات دير سانت كاترين (٤٣).

وينفرد بوركهارت بالإشارة إلى قبيلتي الربابيين والصبايحة،حيث استطاع أن يحصل من المخطوطات العربية المحفوظة بالدير والمدونة في أوائل القرن الثامن عشر على خبر مضمونة أن هاتين القبيلتين كانتا ضمن حرس الدير، والربابيون هم من أفخاذ جهينة بالحجاز ومنهم من سكن قرب المويلح، كما سكن بعضهم حول الطور كحراس لأملاك الدير، أما عملهم الأساسي فكان إرشاد السفن في مرفئي الطور ولا يوجد الآن أثر يذكر للقبيلة الأولى(٤٤).

ومن العادات التي ظلت ثابتة رغم تغير الظروف والأحداث، ظاهرة العطف من قبل الدير نحو العربان، والتي اتخذت صوراً متعددة أهمها إعطاء العربان الطعام يومياً. ففي حدود العاشرة صباحاً وحتى الواحدة ظهراً يندفع البدو ناظرين بتلهف نحو الحظيرة Pent House ينتظرون حصتهم التقليدية من الخبز، فيحصل الرجل على خمسة أرغفة، والمرأة والطفل حتى ولو كان رضيعاً على ثلاثة أو أربعة، ويوزع أيضًا بعضا من السمن والأرز والزيت والبن والخل والسبرتو بمقادير قليلة، أو يوزع عليهم يوماً بعد يوم ما يعادل ثلاثة وثلاثون كيلة(٤٥) مصرية في كل مرة، وفي بعض الأحيان كان الدير يقيم الولائم للعربان على شرف الزائرين ويطبخ فيها العدس والأرز.

كان الرهبان يوزعون على المرضى أيضًا من العربان الكينا وأنواع المشروبات والأدوية الموصوفة لهم من قبل طبيب الرهبان وطبقا لأقوال العربان كان يتم توزيع حوالي ٣٢٠ أوقية(٤٦) من الخبز يومياً، ويذكر الرهبان أن الكمية الموزعة على البدو من القمح كانت في حدود ٣٠٠ أردب(٤٧) وحوالي ٤٥ أقة من الزيت من نتاج محصول بساتين الدير وما يقرب من ١٣٠ أردباً من الأرز، و٥٠ من الذرة، و ٨٠ من الشعير. وبالنسبة لتوزيع الأطعمة فكان يتم بواسطة شبه مشربية في أعلى سور بالضلع الشرقي للدير، و أما عن خدام الدير من العربان، فقد كانوا يتقاضون أجرة

شهرية عبارة عن أربع كيلات من القمح، أما خفراء الكروم فكان لكل منهم ثلاثة أرغفة صبيحة.

وقد ذكر الرحالة الروسي باسيل جوجارا عام ١٦٣٤م أن رهبان الدير كانوا يقومون بإطعام حوالي خمسمائة من العربان، خوفا على حياتهم، وكان يضعون الطعام في أجولة مصنوعة من الجلد ثم يترلونهم خلف أسوار الدير عن طريق حبال سميكة. وإذا جاء الصباح ولم يستطع الرهبان لسبب أو لآخر أن يعطوهم المعلوم من المؤونة، يقوم العربان برجمهم بالحجارة من خارج أسوار الدير، وذلك طبقاً لرواية بوسيناكوف الذي ذكر أنه شاهد ذلك بنفسه(٤٨).

وفي حالة وفاة أحد العربان كان الرهبان يمدون العائلة المعلومة بالكفن والقطن، ولوح صابون للمتوفى، وقد حين من القمح ومثلهما من العدس والبن وثلاث أوقيات من التمر لكي توزع صدقة على روح المتوفى، كما تكفل الدير بالصرف على تكاليف الدفن. وإذا استضاف الرهبان شيخ من العرب بالدير أو في مركز الطور أو بالمركز الرئيسي في الجوانية بالقاهرة ذبحوا له وأكرموا وفادته، وقدموا العلف إلى بهائمة(٤٩).

أما أسباب تلك المعاملة الحسنة التي نالها العربان من قبل الدير فكانت ترجع أساساً إلى الخوف من بطش هؤلاء العربان، ومن اعتدائهم المتكرر على الدير، وبخاصة إذا لم يعطهم الرهبان المؤونة المتفق عليها مقابل الخدمات الجليلة التي كان يبذلها العربان للدير وزواره مثل:

١-المحافظة على الدير وحماية أرواح الرهبان من أي اعتداء، كما امتدت الحماية إلى الزائرين والمترددين على الدير، وعمل العربان كغفر لقوافل الدير من وإلى الطور، مقابل اجر يتفق عليها مع كل رحلة، وإن كان أجر الحراسة في الغالب يمنح سنويا وتختلف القيمة من سنة لأخرى تبعاً للاتفاقيات المعقودة

بين الطرفين، وأحيانا كان الأجر يعطى كل ثلاث سنوات وتسليم الأجر والكسوة كان يتم بشهادة الشهود مع إثباته ذلك في سجلات الدير، وكتاب الأم بطرف العربان، وفي حالات كثيرة كان العربان يتعهدون بضمان بعضهم البعض(٥٠).

٢ – استخدام خفراء من العربان لحراسة بساتين العنب، في مقابل ما يمنحوهم من دقيق وثمار وزيتون بعضها يوزع يوميا والبعض الآخر سنوياً(٥١).

٣ – اختصاص كل قبيلة بعمل معين كتزويد الدير بنوع ما من المؤن أو حملها إليه، فقبيلة أولاد صالح كانت تزود الدير بالملح،واختصت قبيلتا العليقات والصوالحة بنقل الرهبان وأمتعتهم ونقل حجاج وزوار الدير خاصة القادمين من المسكوب (أي الروس) وغيرهم من السويس أو الطور. وفي وقت سابق شاركت قبيلة مزينة القبيلتين الأخرتين في عمليات النقل(٥٢).

٤ – اختصت قبيلة الجبالية بسدانة المسجد داخل الدير، هذا بالإضافة إلى عدة أعمال الأخرى مثل مساعدة الرهبان في عمل الخبز، وزراعة بساتين الدير الخارجية.

٥ – وهكذا قامت العلاقات بين الطرفين على أساس من المصالح المشتركة، ولم يمتنع البدو في أحيان كثيرة، عن الاعتداء على الدير وممتلكاته عندما تسنح الفرصة لذلك، فهناك سجل كامل يرجع للقرن السابع عشر أفرد معظمه لإثبات الاعتداءات التي حدثت في فترات متفاوتة من ذلك القرن.وكان الاعتداء يتم بأشكال مختلفة،كان يعتدي أشقياء من البدو على الرهبان بالضرب والسب، أو هدم جزء من سور الدير(٥٣)، أو دخول" الكرم بالغصب... وهز المشمش وخطف اللوز أو قطف التين والعنب، أو طلب الطعام والحصول عليه بالقوة "(٥٤).

وقد لعبت الظروف الطبيعية والجغرافية دوراً كبيراً في إثارة بعض النزاعات والعلاقات غير الودية بين الطرفين، فالدير يمتلك بعض الوديان الخصيبة كوادي الأربعين ووادي فيران، في نفس الوقت الذي كان العربان يعيشون حول تلك الأودية، وكلما نضبت المياه في مكان ينتقلون إلى مكان آخر سعياً وراء الحياة والرزق، وبالتالي وقعت مشاحنات بين الطرفين، وبالإضافة إلى ذلك كان العربان يسكنون المناور والجبال المجاورة للدير حيث ضايقوا الرهبان وتربصوا بالحجاج والزائرين. ولهذا كان لجغرافية المنطقة الجدباء أثرها الهام في تشكيل الحياة في تلك المنطقة الصحراوية القاحلة بمحاصيلها القليلة التي اعتمدت على مياه الأمطار والآبار، والتي كثيراً ما تثير العديد من الخلافات والمشاكل بين الطرفين(٥٥).

وفي بعض الأحيان حاول العربان بالقوة أن يخزنوا الغلال الخاصة بهم داخل مخازن الدير(٥٦)، وقوبل ذلك بالرفض الدائم من قبل رجال الدير على تلك المحاولات. وفى أحيان الأخرى كان العربان يغيرون على الدير بغرض سلب حديقته الخارجية، أما بالنسبة للعربان المنوط بهم البساتين ف كانوا لا يظهرون الجدية في زراعتها أو تقليم أشجارها بشكل دقيق أو تطعيمها(٥٧).

أما العربان الذين كانوا لا يمتلكون مأوى فقد حاولوا السكن مع الرهبان مما تسبب في إيذائهم، وإقلاق راحتهم عن طريق الشوشرة التي عبرو عنها بعبارة "التشويش عليهم "(٥٨).

كما تعددت مضايقات واعتداءات بعض الأشخاص المنتمين لتلك القبائل فهناك الغارات من أحد أفراد قبيلة أولاد سعيد الذي تسلط على الرهبان " الأذية والضرر " أما بعمالي بن العجمي من قبيلة العوارية فقد تكرر منه نفس الشيء، بل أنهم تمادوا أكثر من ذلك وكسروا باب الدير ونهبوا بعض أمتعته وحوالي عشرين

أردباً من القمح، الأمر الذي استدعى أرسل فرمان إلى أمير قبيلة العايد بالشرقية وإلى الحاكم الشرعي بالطور لمطالبتهم بمعالجة تلك الأمور وإعادتها إلى نصابها مجدداً[٥٩].

كما تعدى المدعو موسى بن خالد وبعض أقرانه من بني سليمان على غيط(حقل) ببندر الطور تابع للدير، وقاموا بقطع المياه الجارية نحو حقول الدير بهدف إهلاك المحصول، فما كان من الرهبان إلا أن أظهروا ما بأيديهم من فرمانات حررها الوزير علي باشا لصالحهم، وطلب فيها من نائب الشرع بالطور والدزدار بمنع هؤلاء العربان الخارجين من الاعتداء على الرهبان وعلى أملاكهم[٦٠].

وقام بعض أفراد من قبيلة تدعى الصراط بالاعتداء على الرهبان، وبالرغم من أن الرهبان قد شكوهم من قبل عند الديوان الأميري، إلا أنهم استمروا في مضايقتهم مما جعل الرهبان يلجأون هذه المرة إلى شيخي قبائل العايد موسى وعبد الكريم يطلبون منهما إحضار العربان لحراستهم بموجب التعاقدات التي وضعت معهم. وعندما تقاعس الشيخان عن تلبية طلب الرهبان توجهوا بشكواهم إلى السلطان سليمان الأول الذي أرسل بدوره فرمانا إلى الحاكم الشرعي والكاشف بالشرقية لكي يقوموا بمنع العربان من التعدي على الرهبان[٦١].

وتشير إحدى الوثائق الأخرى أن حاكم الشرقية والكاشف طلب منهم وإلي مصر العمل على استتباب الأمن في منطقة الدير، خاصة بعد شكوى الرهبان، للسلطان مراد الثالث (١٥٧٤ ـ ١٥٩٤ م) من قيام عربان الصوالحة بنهبهم وإيذائهم رغم أن العادة أن لا يدخل عليهم أحد دون إذنهم، بالإضافة لما بأيديهم من حكم يمنحهم مبلغا من المال منذ فترة حكم الوزير إبراهيم باشا[٦٢].

وتذكر وثيقة الأخرى لأول مرة قبيلة أولاد علي رغم أننا لا نعلم مدى الصلة بينها وبين قبائل أولاد علي القاطنين صحراء مصر الغربية.

أما أولاد علي السينائيين فقد كانوا حراسا للدرك. ولما لم يقوموا بأعمالهم على أكمل وجه، صدر فرمان إلى شيوخ قبيلة العايد بإحضار أصحاب الدرك هؤلاء سالم بن شيل وأحمد عبد القادر ورباح وأحمد بن جبل ومحمد بن رزيق وأخوه جماد وسلمان بن رزق الله وبني سالم ومحمد بن واصل بالإضافة إلى مجموعة الأخرى من قبيلة الصوالحة ومن أولاد على ووقع الإشهاد عليهم مع القسم بالله العظيم أنهم سيحافظون على الدير ورهبانه وكذلك المترددين عليه من زوار وحجاج(٦٣).

ولم يتوقف اعتداء العربان على الدير فقط بل كان عربان جبل الطور يسلبون القوافل الذاهبة إلى القاهرة والمحملة بالبن والمنسوجات فقد قدم تجار ينبع والحجاز المقيمين في مصر العديد من العرائض ذكروا فيها أنهم بينما كانوا في طريقهم إلى مصر سطا عربان الطور على القافلة ونهبوا بضائعهم وكان حاكم السويس في فترة لاحقة يشدد عليهم بعدم الاعتداء على القوافل تلك أو على الدير أو التعرض لخدامه بالأذى(٦٤).

ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل نجد أشخاصاً بذاتهم قد قاموا بالتعدي على الدير مثل بيبرس بن بعشر وبصحبته بعض الخارجين الذين حاولوا الحصول على الطعام وغيره من الرهبان بالقوة غير أن السلطات تداركت الأمر وأصدرت القرارات اللازمة لوضع حد لهؤلاء المعتدين العصاة(٦٥).

وهناك فرمانات كثيرة تلزم حاكم الطور بمنع العربان من التعدي على رهبان الدير(٦٦) وحمايتهم ورفع الأذى عنهم(٦٧). وكان بعضهم يتوجه إلى القاهرة لمقابلة الباشا ورفع مظلمتهم إليه، مثلما حدث في عام ١٥١٨ م عندما توجه بعض الرهبان لمقابلة خاير بك لهذا الغرض(٦٨).

ومن الأعمال التي أثارت تخوف الرهبان قيام العربان بالاعتداء على ما يمتلكه الدير من حيوانات كالبغال التي كانوا يؤجرونها لزوار الدير لركوبها ونقل

حوائجهم(٦٩). وعندما تأزمت الأمور بين الطرفين وعجزت المحاولات السلمية عن حلها، هدد الرهبان بإغلاق الدير والتوجه إلى القاهرة والطور أو العودة إلى بلادهم مما أدى إلى انزعاج البدو، وتعهدهم بالعمل على راحتهم، وتكرر تهديد الرهبان بترك الدير، مثلما حدث في أواخر القرن السابع عشر، غير أنهم عدلوا عن تهديدهم بعدما بذلت مساع كثيرة للصلح وتهدئة الخواطر(٧٠). وتمتلئ مكتبة الدير بالمعاهدات والاتفاقيات بين الطرفين، وهو ما عبرت عنه محفوظـــــات الدير بلفظ "شورة" أو "شورى" هذا بالإضافة إلى كتاب الأم الذي يحتوى على كثير من المعاهدات والمجالس التي عقدوها مع مشايخ العربان، ووجدت شروط نظمت العلاقة بين الطرفين في تلك البرية الشاسعة، ووضعت ضمانات تكفل سبل الحياة بين الرهبان والعربان بالشكل الذي يحقق السلام والطمأنينة والسكينة لقاطني الدير، ومتطلبات ومصالح العربان، وغالباً ما كانت الإدارة العثمانية هي الطرف الثالث، وفي أحيان الأخرى حل زعماء القبائل ومشايخها محل الإدارة العثمانية كشهود على ضمان تنفيذ تلك المعاهدات(٧١).

ونتيجة لتلك المعاهدة وقعت الجزاءات على البدو الذين كانوا يسيئون إلى الدير وقاطنية بالقول أو الفعل(٧٢). ومن واقع الإطلاع على تلك المعاهدات يمكن استخلاص بعض الأحكام والجزاءات والعقوبات التي كانت عينية، كما نصت على ذلك الفرمانات الصادرة في هذا الخصوص(٧٣) والجزاءات التعويضية غالباً ما كانت من الإبل وتتفق مع جسامة الجرم وكانت تتراوح بين جمل وخمسة جمال. وإذا قتل أحد الرهبان عمداً كان على القاتل أن يقدم لشيخ القبيلة فدية قدرها ألف دينار من الذهب كما شددت العقوبة على من يقتل أحد زوار الدير من المسلمين أو المسيحيين، وإذا ما حدث ذلك وجب على شيخ العرب إحضار الجاني وتقديم ألف دينار من الذهب ل ديوان الذخيرة (٧٤).

وقد توالت الشروط والتعليمات التي كان يمكن الاستدلال عليها من وثيقة ترجع إلى عهد السلطان سليمان الأول (١٥٢٠ – ١٥٦٦ م) ونصت على ما يلي:

أن يحفظ قبائل أولاد علي والصوالحة وأولاد سالم وأولاد سعيد وغيرهم الدير ورهبانه وزواره وممتلكاته من الكنائس والبساتين والنخيل بالجبل(جبل الطور) والجبال المحيطة بالدير، وبوادي فيران وساحل الطور بأنفسهم أو بمن يستعينون به من الحراس.

إذا حضر أحد من المسلمين أو المسيحيين كزوار فلا يدخل أحد من العربان معهم إلى الدير بخيولهم، وألا يتعرضوا لمؤونة الدير القادمة له من مصر (القاهرة) وعليهم حفظ القوافل.

إذا اعتدى أحد الرهبان بالقول أو الفعل كان على شيخ قبيلة العايد أن يستوقفه.

إذا استولى أحد من العربان على كرم من الكروم الخاص بالدير، أو كسر باب الكرم، أو هدم سوراً، أو قطع حبل الدوار، أو حرق باب الدير، كان عليه أن يدفع جملاً لشيخ العايد(٧٥).

إذا تعرض الدير للهجوم من قبل البدو بقصد هدمه أو تخريبه أحل للرهبان دم هؤلاء المهاجمين دون لوم أو مساءلة.

وزيادة في الحرص على حماية أرواح الرهبان، ونظراً لأن تعاليم دينهم تأبى عليهم حمل السلاح، فقد أبيح لهم استخدام أفراد مسلحين للدفاع عنهم ضد المعتدين، ومنحهم حق إطلاق النار عليهم وقتلهم إذا دعت الضرورة إلى ذلك (٧٦) وكان شيخ قبيلة العايد مناطاً به تعقب الخارجين من العربان ومحاسبتهم، وأخذ حقوق الدير منهم لصالح الرهبان(٧٧).

ولكن بعد مرور نحو أربعة وخمسين عاما تخلى عربان من الصوالحة وأولاد سعيد عن التزام الهم تجاه الدير، وقصروا فيما هو مشهود عليهم، ونتج عن ذلك تخلخل في نظام الدير ورهبانه من جراء تلك المخالفات، غير أن الإدارة العثمانية

أكدت عليهم بضرورة العودة إلى سابق عهدهم، وأن لم يفعلوا ويرضخوا فسوف تنزل عليهم العقوبات المناسبة [٧٨].

ويتبين لنا أن شروط وبنود تلك المعاهدات لم يتغير مضمونها كثيراً اللهم إذا جد جديد في الأمر،كان تتبدل أسماء القبائل القاطنة أو أسماء الأفراد الموقعين من العربان أو الشهود من كلا الطرفين تبعاً لمرور الزمن وتبدل الظروف، فالوثيقة الأولى الخاصة بالمعاهدات والشروط كانت زمن حكم " مرقص " رئيس الدير[٧٩] حيث تدلنا تلك الوثيقة على أن جماعة من الرهبان ذهبوا للقاء بعض العربان والذين منهم " العارمي والسعيدي" والعليقات،كما تدلنا على أن الدير في ذلك الوقت كان مغلقاً، وأن قبيلة بني واصل المنوط بها توصيل الملح والسمك إلى الدير لم تعمل ذلك منذ فترة، فما كان من الرهبان إلا أن أرسلوا لزملائهم في وكالة الدير بالقاهرة يبلغونهم بشح الملح، الأمر الذي أدى بالأخيرين[٨٠] أن يشدوا الرحال نحو العربان في الريف والذين كانوا يقومون بأعمال الحراسة لصالح الدير، وأخبروهم بما حدث من جانب قبيلة بني واصل، فطمأنوهم وأبلغوهم بأنهم سيكتبون إلى بني واصل لإيجاد حل مناسب لذلك الأمر، كما أنهم سيكتبون إلى غفران – مطران – الدير في بندر الطور، وفي وادي فيران بخصوص نفس المسألة[٨١] كما تبين الوثيقة أن عربان الصوالحة وأولاد سعيد والعليقات وعرب حضرة وعرب النفيعات وعرب الترابين وعرب تميم وآخرون،كان عليهم القيام بخدمات متعددة نحو الدير مقابل جعل معلوم[٨٢] بل أن عرب السواركة ظلوا يطالبون الدير بمرتب الخفر حتى عام ١٨٧٠[٨٣].

وتتوالى الوثائق العديدة التي نظمت كيفية قيام العربان بحماية رهبان الدير والشروط الكفيلة بذلك.ففي عام ١٦٧٢ وقعت معاهدة بين الطرفين نظمت العلاقات بين الرهبان وممثلي مشايخ العربان من قبائل العايد والصوالحة وأولاد سعيد والعليقات وأكدت تلك المعاهدات على ما جاء ببنود المعاهدات والشورات السابقة مثل:

"أن يعمر ويفتح الرهبان ديرهم كسابق عهدهم" (٨٤) وظلت تلك الشروط على مدار تاريخ الدير الحديث تتغير وتتبدل، أو تزيد أو تنقص، حسب الظروف حتى وصلت إلى الصورة التي هي عليها الآن، وفي وقت متأخر أصبح على وزارة الدفاع المصرية أن تكون ضامنة للشروط. وأن تقر الأمن في المنطقة (٨٥).

٣- طبيعة العلاقات بين الرهبان والسلطة المركزية:

في مقدورنا التأكيد على أن العلاقة ما بين السلطات الإسلامية الحاكمة في مصر وبين الدير كانت جيدة في أغلب الأوقات، مع وجود فترات محدودة شهدت صوراً متنوعة من اضطهاد الحكام التنفيذيين في المنطقة وهم الحكام الإقليميين المنوط بهم حفظ وحماية الدير ورهبانه، بالإضافة إلى تعديات اليهود ومضايقات الأفراد العادين للرهبان.

وفي الحقيقة فقد كان الرهبان يتذمرون ويضجرون لأتفه الأسباب وأقلها ويبعثون بالشكايا لأولي الأمر في عاصمة الإمبراطورية أو نواهم وممثليهم في القاهرة، فها هم مثلا يبعثون بالشكاوى مسجلين فيها معاناتهم من مجرد " التشويش " فقط الذي يلاقونه من عربان الطور(٨٦) وفي زمن آخر بعثوا بشكوى الأخرى إلى "محمد على باشا" حاكم مصر يعلمونه أن جيوشه المتجهة صوب جزيرة العرب لملاقاة أتباع حركة الوهابيين " قد شوشروا عليهم وهذا ما يسبب لهم الآلام والضيق"(٨٧).

وإذا ما عدنا لقراءة الوثائق لوجدنا الكثير من أنواع الشكايات الأخرى المعبرة عن الممارسات الدينية بكل حرية (٨٨).

وكانت جميع الفرمانات التي صدرت خلال الحكم العثماني تستمد شرعيتها من سابقاتها التي صدرت في عهدي الفاطميين والمماليك، فالفرمان الصادر في عهد السلطان سليم الأول يستشهد بالوثائق التي صدرت في عهد السلطان "سليم خان " والتي اعتمدت بدورها على روح ومفهوم العهد النبوي(٨٩).

وبالقراءة المتأنية لوثائق العصر العثماني نرى أن مناطق الخلافات بين الطرفين كانت متفاوتة ومتعددة.. فهناك: التشويش عليهم ومضايقتهم والإضرار بديرهم والاعتداء عليهم بالضرب وأحياناً بالقتل، والهجوم على الدير ومحاولة فتح أو حرق أحد أبوابه المسدودة وهدم جزء من أسواره الحصينة، والإغارة في مزارعهم وبساتينهم، وعدم دفع أجرة وبيوقم وأوقافهم، وكذلك مطالبة الرهبان للدولة برعايتهم وحمايتهم من مضايقات العربان كما طلبوا من الدولة النظر في المغارم والرسوم والأحكام والمقاسمات على كرومهم وحقولهم بالطور وفاران، والخانكة السرياقوسية والشرقية... والحقوق الديوانية والرسوم الجمركية، وحماية قصادهم وزوارهم من السلب والنهب.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاعتداءات لم تكن من قبل جماعات القبائل وأفرادها وحدهما بل أن الأمر تعدى ذلك إلى اعتداءات من جانب فئة كان المفترض فيها أنها تمثل السلطة المنوط بها حماية وأما ن الدير ومنطقة سيناء جميعها، إلا وهم فئة العزب الطوبجية(٩٠)العسكرية القاطنة ببندر الطور، فهناك وثيقة فريدة تعلمنا بتعرض هذه الطائفة أو بعضها بالتعدي على الأملاك الزراعية للدير بالقوة والعنف، وشاركهم في ذلك الفعل أفراد من قبيلة " بني سليمان " لكن السلطات الحاكمة سرعان ما تداركت الأمر وبعثت برسائل الوعيد للمعتدين عن طريق قاضي البندر والحاكم الشرعي بالطور، وبالفعل كف المعتدون عن فعلتهم(٩١).

ومن الصعاب التي واجهت الدير، مشكلة قاطعي الطريق، نظراً لبعد الطريق وصعوبته من وإلى الدير فقد كثرت به مجموعات النهب والسلب لكن السلطات كانت تتدارك الأمر بإصدار الأوامر بعدم التعرض لمن يقوم بزيارة الدير مع تأمين الدولة الطرق المؤدية إلى الدير(٩٢).

أيضًا واجه الدير مشكلة الرسوم والغرامات التي كان النواب والولاة بالحصون الطورية يحصلونها من رهبان الدير بدون وجه حق أو سند قانوني، فما كان من رهبان الدير سوى اللجوء للسلطات في مصر(القاهرة) لرفع مطالبهم وشكاياهم ويجئ الرد كالعادة في صالح الرهبان، وهذا يدل بصورة واضحة على مدى التسامح الذي لاقاه الدير من قبل العثمانيين(٩٣).

وفي حالات قليلة وقف بعض حكام الولايات ضد أملاك الدير، مثل محاولة والى مدينة الخانكة السرياقوسية استلاب أموال الدير، وبناء على طلب من الرهبان أمر السلطان سليم الثاني الحاكم الشرعي للخانكاة وحاكم القليوبية القيام بمنع هذا الوالي والآخرين من التعدي على هؤلاء الرهبان وأملاكهم (٩٤).كما حـــــاول "الدزدار" التعرض للرهبان في زمن السلطان " مراد الثالث "، ولكن السلطان وأولاده الأمور وقفوا أمامه ومنعوه من التعدي على أملاك الدير(٩٥).

وفي أواخر القرن الثامن عشر واجه الدير مشكلة مادية – وكثيرا ما كان الدير يواجهها – حينما سافر بطريرك القدس المدعو " دوسيثيوس " لإستنبول عاصمة الخلافة ومن هناك أوعز للمسيحيين فيها وفي أوروبا بعامة على منع إعطاء صداقات أو شيئا ما لدير سانت كاترين، فما كان من الرهبان إلا أن استنجدوا بحكام مصر وأخبروهم بتلك الواقعة، كما أنهوا في خطابهم أن ديرهم ليس له صدقة سوى من المسيحيين وغيرهم من أهل الخير، وكعادتهم هددوا بترك الدير مع ما سيترتب على ذلك من اضطراب عظيم في أحوال العربان القاطنين حولهم، بالإضافة إلى العديد من نواحي التهويل المبالغ فيها والتي احتواها خطاب الدير إلى حكام مصر(٩٦).

ويهمنا في هذه الوثيقة أن كاتبها وشهودها كانوا من المسلمين، وصفتهم الوثيقة بأنهم حكام لمدينة الطور، ونتيجة لتلك المناشدات غادر "دوسيثيوس" استانبول وهو متخفٍ في ثياب النساء لكي ينجو بنفسه من اضطهاد الأتراك.

وتبعنا إحدى الوثائق الفريدة أنه كان للدير دخل سنوي من شخص تنعته الوثيقة " بالحاج " وكان يعطي للدير سنويا نظير وقف لطور سيناء مبلغ مائتين وخمسين ديناراً، ولكنه لم يفعل في تلك السنة. فكان أمر السلطان "سليمان الأول" للحاكم الشرعي بالطور والشادية لاستخـــــلاص حقوق الرهبان من ذلك "الحاج" ناظر الوقف السابق(٩٧).

وفي عام ١٥٣٣م استولى والى مصر المعين من قبل اسطنبول على أحد بيوتات الدير بالخانكاة السرياقوسية دونما سابق إنذار أو تعليل لفعله، فكان أن أصدر السلطان سليمان الأول فرمانا للحاكم الشرعي بالخانكاه للتحقيق في هذا الأمر. مع خروج هذا الوالي من البيت وأن يعاد للرهبان(٩٨).

ويلاحظ أن الوثيقة لم توضح لنا كنية هذا الوالي وهل هو والى مصر بالفعل أم أنه مجرد والِ المنطقة – القليوبية – كما أننا لا نعلم هل كان من سلطة الحاكم الشرعي بالخانكاة أن يقف أمام الوالي أو العكس، وأن كنا نميل إلى كونه حاكم المنطقة وليس والى مصر الذي استولى على البيت الواقع في دائرة سلطته. كما يبدو أن الأمر كذلك فعلا طالما أنه لا يوجد مصدر آخر قد أشار لتلك الواقعة، وفي الإمكان أن تكون للحاكم الشرعي تلك السلطة طالما أنه استمدها من الفرمان الصادر من عاصمة الخلافة ومن قبل الخليفة نفسه.

وقد حدثت تلك المشكلة مرة أخري، ولكن في دائرة دير طور سيناء. حيث قام البعض بالتعدي على مساكن الرهبان وأخرجوهم من منازلهم عنوة، وتم تسكينها بدون أجرة وبدون رضاء الرهبان، بل وصل الأمر بالبعض أن استولوا بالقوة على

بعض أحجار المنازل التابعة للدير لغرض بناء مساكن خاصة بهم. وحينما علم السلطان بالأمر، أمر الحاكم الشرعي بالطور بمنع تلك التعديات على " أن لا تؤخذ الأحجار إلا من الأماكن الخربة التي لا يسكنها أحد ولا تصلح للسكنى بداخلها"(٩٩).

وزودتنا وثائق الدير العثمانية بعدة حالات من نوعية المشاكل الخاصة التي كانت منصبة على أفراد بذواتهم فهناك حادثة اعتداء بالضرب حدثت لأحد الرهبان من قبل أحد العربان، ولكن سرعان ما يأمر "خاير بك" حاكم الطور والشادين بالتحقيق في واقعة الاعتداء الذي كان سببه على ما يبدو مشاجرة عادية بين الطرفين ثم تطورت، كما أمرهم "خاير بك" بكتابة محضر بالواقعة والتحقيق وإرساله للديوان بالقاهرة على الفور(١٠٠).

وهناك واقعة نهب "أولاد علي" لمبلغ خمسة آلاف دينار من داخل الدير، ويلاحظ أن الوالي "خاير بك" قد وقف إلى جانب الرهبان دائما و أمر أولاد علي أكثر من مرة برد المبلغ المذكور، فلم يرضخوا لأوامره برد المبلغ، فما كان منه إلا أن أصدر فرماناً إلى مجلس الأمير طالبهم فيها بسرعة البت في ذلك الموضوع ورد المبلغ للدير(١٠١).

وفي العام التالي مباشرة تعرض المدعو "بيبرس بن بعشر" وبعض العصاة بالتعدي على الدير وزواره، وحينما علم "خاير بك" بذلك أرسل فرماناً إلى شيوخ قبائل "أولاد علي" بالتنبية عليهم بألا يتعرض أحد من العصاة للدير وزواره (١٠٢) ثم تتوالى الفرمانات تعرض لمشاكل من هذا النوع، وهكذا نجد الصورة أمامنا. شكوى من قبل الدير وآذان صاغية من السلطات العثمانية، حيث إنهم سجلوا ذلك الامتنان في رسائلهم إلى السلطان العثماني، وفي الأدبيات الكلاسيكية الأخرى التي تحدثت عن تاريخ الدير(١٠٣).

وبالنسبة لموقف الدير أمام اليهود فقد وقفت الدولة ممثلة في واليها ومنفذي سياسته في منطقة سيناء إلى جانب الدير في قضيته أمام اليهود فكثيرا ما كان اليهود يثيرون المشاكل مع الرهبان، خاصة أثناء حلول موسم الحج، لأنهم كان ويقومون وأسرهم في سيناء مخالفين بذلك الأوامر السلطانية التي تحرم عليهم سكنى المنطقة بأية حال من الأحوال.وقد اشتملت مكتبة الدير على ثلاث وثائق فريدة تتحدث صراحة على وجوب تحريم سكن اليهود ببندر الطور بناء على ما طلب من الرهبان أنفسهم، وكذا طلب المسيحيين الموجودين في المنطقة.وهكذا وجدنا السلطات العثمانية ممثلة في السلطان مراد الثالث بن سليم ٧٤ – ١٥٩٥ م توافق وتؤيد مطالبهم، ويخرج من مدينة مصر (القاهرة) تلك الفرمانات، ويلاحظ أن الفرمان الأول صدر في زمن الوالي حسن باشا الخادم [(١٠٤)] في جمادى الأولي ٩٨٨هـ / ٢٣ ربيع الأول ٩٩١هـ.

وصدرت الوثيقة الثالثة على عهد الوالي الدفتردار – المشرف العام على ماليه مصر "سنان باشا"[(١٠٥)] متولي مصر في الفترة من شوال ٩٩٣هـ حتى ٢٢ جمادى الآخرة ٩٩٥هـ. وكانت أوامر السلطان المشددة إلى حاكم الطور واضحة وقاطعة في أن ".. يمنع اليهود من ذلك كل المنع.. ومنع اليهود من التعدي... بما يخالف الشرع والقانون وألا يعودوا للطور ولا يخالفوا العادة...)[(١٠٦)]. ومن قراءة تلك الفرمانات يلاحظ أنها كانت توجه إلى عدة جهات عاملة في المنطقة مثل " نواب الشرع الشريف " القضاة، الشادية، الدزدارية، الحكام، أصحاب الأدراك أو ولاة الأمور بالطور عامة. كما أنها صدرت عن الديوان العالي للباشا العثماني بقلعة الجبل[(١٠٧)] في القاهرة المحروسة، وتحمل كل منها علامات الصحة والإثبات. الختم والطغراء في أعلى الهامش الأيمن من الفرمانات، فضلاً عن تاريخها والمكان الذي صدرت منه في نهاية كل فرمان.

ويجدر بنا التنوبه أن غالبية — أن لم تكن كل الوثائق — هي صورة متكررة في مضمونها العام فقط الاختلاف يكمن في تاريخ الإصدار واسم الحاكم الذي صدرت في عهده الوثيقة وكل وثيقة منها تتضمن عرض للموضوع المثار من قبل الرهبان الذين غالباً يحضرون ويتمثلوا بالديوان وينهوا للمسئولين بشكواهم مشافهة عن ما يؤلمهم سواء كان تعنت العربان أم اليهود.

وبخصوص الأسباب التي جعلتهم ينفرون من مجاورة اليهود لديرهم فيه:

١– أن جبلهم جبل مبارك.

٢– ليس لليهود كما جرت العادة أن يسكنوا في بندر الطور مطلقا.

٣– أن تحت أيديهم أمراً شريفا سلطانيا وأحكاما احتكارية سابقة تؤكد منع اليهود من ذلك.

٤– أن اليهود صاروا يسكنون أو يستوطنون في بندر الطور ويقيمون بنسائهم وعيالهم ويحصل منهم الضرر.

٥– أن اليهود يتوجهون لتلك المناطق في جماعات كبيرة بقصد إيقاع الفتن.

٦– دأب اليهود على مخالفة العادة والقانون والقواعد القديمة المتبعة.

وكان رئيس أساقفة الدير وخاصة المقيم في وكالته بالقاهرة واسطة العلاقة بين الدولة العثمانية ورعاياها "الروم الأرثوذكس" وقد اعتبرتهم الدولة موظفين رسميين، بدليل أن توقيعات تعيينهم كانت تصدر عن ديوان الإنشاء، كما كانت الوصايا التي تصدر بعد التعيين تصدر عن ديوان الإنشاء أيضًا، ومن خلال الألقاب التي أسبغتها الدولة على رئيس الطائفة نلمح الموقف الرسمي للعثمانيين تجاه هؤلاء، والألقاب كانت " الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المبجل، عماد ابن المعمورية، كنز الطائفة الطليبية"(١٠٨).

وكانت الفرمانات تخرج من القاهرة إلى ممثلي الدولة العثمانية في المنطقة وهم الحاكم الشرعي، والكاشف لولاية الشرقية الذي كان الدير يخضع لهم من الناحية الإدارية[١٠٩] وفي العادة ما كانت الوثيقة توجه باسم " نائب الشرع بالطور"[١١٠] أو" الحاكم الشرعي بالطور"[١١١] وفي بعض الأحيان وجهت إلى حاكم الولاية التي وقعت في محيطها مظلمة الرهبان مثل الوثيقة التي وجهت إلى حاكم إقليم القليوبية الشرعي لكي يساعد الرهبان من تعرض العربان لهم بوصفه حاكم المنطقة التي وقع فيها التراع بين الطرفين[١١٢] وفي أحيان قليلة، خاصة مع بداية الحكم العثماني لمصر وجهت الفرمانات إلى ما يسمى بـــ " مجلس الأمير "[١١٣] ولا نعلم كنية هذا المجلس.

ويردف السلطان بالأمر لهذا المجلس أن يطلب هو الآخر من شيخ " قبلة العايد " أن يعين من طرفه شخصا لحماية الرهبان وديرهم كحارس، وأن يجهز بما يكفل له أمر الحماية، وتختتم الوثيقة بالقول السلطاني " فلا يتأخر مجلس الأمير عن ذلك طرفة عين "، وبإعادة قراءتنا لهذا السطر الأخير من الوثيقة نلاحظ مدى تأكيد السلطان على رعاية هؤلاء الرهبان، وبالرغم من ذلك فقد وجدت أوقات قصيرة وعصيبة اضطهدت فيها الدولة الدير ورهبانه.

وفيما يتعلق بالضمانات التي وفرقما الدولة للدير ورهبانه فهناك الرعاية التي وجدت منذ أول يوم حط فيه العثمانيون أرض مصر، فعندما ذهب وفد قبيلة الجبالية إلى " سليم خان " عارضين عليه الدخول في الإسلام وتركهم خدمة الدير نجده يوافقهم على الدخول في الإسلام ويرفض الثانية مع التأكيد على أن يظلوا خدام وحراس للدير تنفيذاً لعهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم للرهبان، ومن ثم توالت الفرمانات الصادرة من جانب العثمانيين على تلك المعاني وبمرور الوقت أخذت هذه الضمانات شرعية القوانين لأنها نظمت العلاقة بينهم وبين رهبان الدير، وتلك الضمانات وردت تباعا في الفرمانات المتعاقبة التي أصدرها السلاطين العثمانيون منذ سليم الأول الغازى[١١٤]. فالفرمان الصادر من عهد السلطان سليمان المشرع

١٥٢٠ – ١٥٦٦ م يشير فيه إلى الفرمان السلطاني الأول الصادر من عهد والده سليم الأول وإلى غيره من الفرمانات والأوامر الشريفة المرسلة إلى الرهبان منذ عهود الخلفاء والسلاطين السابقين.

ومن دراستنا لتلك الوثائق استخلصنا الضمانات والنتائج التالية:

١– أن هذا الفرمان لا يجب ما قبله من الفرمانات السابقة، وإنما يؤكد ويدعمها وينص صراحة على وجود رعايتها وتطبيق ما ورد بها بالإضافة إلى تعهد السلاطين العثمانيين بحماية هؤلاء الرهبان والزود عنهم عملاً بتعالم الدين الإسلامي فاعتمد السلطات "سليمان على ما بأيديهم من المرسوم الشريف الصادر لهم... من لندن والد السلطان سليم خان... ".

٢– أعفى الفرمان أملاك الدير الزراعية داخل وخارج مصر من دفع الضرائب المفروضة عليهم بمختلف صورها " أم يحملوا في المسامحات بالحقوق والرسوم والأحكام والمقاسمات والأعشار والمقاطعات على بساتينهم وكرومهم وثمارهم ونخيلهم وزيتونهم وحقولهم بالبلاد المصرية والشامية والطرابلسية والطورية وبأنهم لا يعارضون ". كما شمل الإعفاء الرسوم الجمركية على ما يرد إلى الدير من أموال الصدقات ومن نذور عينية فنص على " أن يسامحوا بالحقوق والرسوم الديوانية على الأصناف الواصلة إليهم من النذور والصداقات"[١١٥].

٣– أيضا أمنت الدولة للرهبان التوجه إلى القدس لإتمام مراسم الحج والزيارات الدينية[١١٦].

٤– بالإضافة إلى تمكين الرهبان من دفن موتاهم، مع عدم التعرض لميراثهم[١١٧].

٥- كذلك ضمنت الدولة للدير الحق في شراء ما يحتاجونه من قمح من غير غلال السلطنة، وصدرت الفرمانات المؤكدة لذلك الأمر إلى حكام الشرع بأقاليم البهنساوية والكاشف وأمير الغلال - ولا نعلم ما هو المقصود بأمير الغلال ؟ وبقية الحكام في تلك المناطق لتسهيل شراء القمح للرهبان(١١٨).

٦- واعتبر المسجد الكائن داخل الدير من أملاك الرهبان لأنه يقع في دائرة أملاكهم، وبالتالي فقد نال الرعاية الواجبة من الحكام المسلمين، حيث حافظت الدولة العثمانية ورعت سدنته وخدامه من القبائل العربية، ووقفت أمام الذين تعرضوا للدير بالمضايقات وكانوا لا يمتون إلى الدير بصلة ما حسب ما تخبرنا بذلك الوثائق(١١٩).

وفيما يخص بقية أنواع الوثائق الأخرى المحفوظة بمكتبة الدير، وجدنا أن "الفتاوى Fatwas والآراء القانونية والإدارية Administratione Orders تركز على حقيقة أن الحقوق الخاصة بالرهبان كانت حاضرة في مذاهب المسلمين الأربعة الرئيسية كما أن موضوع كل فتوى قدم في مقدمة الوثيقة، وتوقع في نهايتها بواسطة الأئمة الأربعة، وتلك الفتاوى غير مؤرخة. أما " الأوراق الرسمية " أو " الأعمال Progas – Perpan فعادة كانت توقع عن طريق السلطات العليا في الحكومة المركزية وترسل إلى الحكام المحليين وتوضع تحت تصرف الدير، وفي بعض الأوقات كانت تعطى عن طريق السلطات المحلية لوقف العدوان البدوي تجاه الرهبان، وتلك النوعية من الوثائق تمثل مصدر مستمر للتاريخ السيناوي، بالإضافة إلى أنها تمثل ملكية الدير وتطورها بالنسبة إلى الرهبان.

وبعامة، فقد كانت وما زالت العلاقة في جوهرها بين الطرفين قائمة على الود والاحترام المتبادل(١٢٠).

حواشي الفصل الثالث

(١) يوحنا الدرجى: رئيس دير سانت كاترين ٦٤٩ جاء إلى مصر من إحدى الجـــزر اليونانيـــة وعاش بين الرهبان الأقباط في دير الباخومين شمال شرق الإسكندرية ويعرف بدير كـــانوب، وقد اثنى كثيراً على نظام هذا الدير ورهبانه، ويعتقد بعض اللاهوتين الأقباط انه نقل طريقـــة حياتهم واسلوب معاشهم لدير سانت كاترين من خلال ما يسمى بالتأثير القبطى على رهبنة الدير. للمزيد من التفصيلات. انظر: متى المسكين، لمحة سريعة عن دير انبا مقـــــار والرهبنة في مصر (وادى النطرون، ١٩٨٥) ص١٧.وفيما يتعلق بقواعد الرهبنـــة القبطيـــة والانبـــا باخوميوس. انظر: مراد كامل " من دقلديانوس إلى دخول العـــرب " في تـــاريخ الحـــضارة المصريـــــــــة، م٢، (القاهرة: وزارة الثقافة، د.ت) ص٣٠٥-٣١١.

(٢) يلاحظ أن عدد الدقات كانت ثلاثة وثلاثون دقة تيمنـــاً بعمـــر الـــسيد المـــسيح. انظـــر:
Rabino, Op. Cit., P.4

(٣) نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٤) جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص١٣٦ ; F. Fabri ; Op. Cit., P. 616
وهذا الحساب وفق التوقيت اليهودى الذي يبدأ يومه من غروب الشمس حتى الغـــروب التـــالى، وساعات الفجر تسمى الأولى، الساعة الثامنة صباحاً تسمى الثالثة، الساعة الثانيـــة عـــشرة ظهراً تسمى السادسة، الثالثة بعد الظهر تسمى التاسعة، والغروب يكون في الحادية عـــشرة، أما منتصف الليل يكون الثانية عشر، وهذا ما يعرف بالأجنبية أو صلوات الساعات وفـــق نظام الكنيسة الأرثوذكسية. انظر: سليمان نسيم، التربية في العصر القبطى، (القـــاهرة، دار الثقافة، ١٩٨٩م)، ص١٥٣.

(٥) جوزيف نسيم، المرجع السابق، ص١٧٥.

Rabino, Op, Cit., P. 4 .

(٦) ما يعادل نحو عشرون جنيها في بدايات القرن العشرين.

(٧) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١٠٨؛ سلام شافعى، المرجع السابق، ص٣٧٠.

(٨) حديث رئيس الدير في التليفزيون المصري مساء ١٩ مايو ١٩٩١.

(٩) السنسكار: كتاب يحتوى على سير القديسيين حسب كل يوم من أيام السنة القبطية. للمزيد من التفصيلات انظر: الفريد ج بتلر، الكنائس القبطية القديمة في مصر جـ٢، ت: إبراهيم سلامة إبراهيم، (القاهرة، هيئة الكتاب، ١٩٩٣) ص٣٠٦.

(١٠) الابركسيس: فصل من سفر أعمال الرسل يقرأ ضمن القراءات الكنيسة.

(١١) الأبصلمودية: كتاب التسبحة اليومية في الكنائس المصرية.

(١٢) الأجبية: كتاب السبع صلوات اليومية مرتبة حسب الساعات.

(١٣) الدسقولية: كتاب ديني يتضمن تعاليم الرسل.

(١٤) الخولاجي المقدس: الكتاب الذي يحوى صلوات القداس.

(١٥) القطماروس: كتاب يتضمن القراءات الكنيسية لكل يوم من أيام السنة.

للمزيد من التفصيلات انظر: بتلر، المرجع السابق، ص٣٠١ – ٣١١.

(١٦) انظر: المخطوط رقم ٦٨٥ وعنواه " بنديكستاري " وزمنه في القرن السادس عشر.

(١٧) Bassili ; Op. Cit., P. 94; Forsyth, Op. Cit., PP. 85-87.

(١٨) في مرحلة لاحقة استخدم الرهبان جرس معدني يعلنون بواسطته بداية العمل وفي أيام الأعياد بالدق على ثمانية أجراس صغيرة، والجرس صناعة روسية وصل إلى الدير كإهداء من روسيا القيصرية. انظر: أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٨، Dobson Op. Cit., PP. 57 – 58 ;

(١٩) تذكر المراسيم الرسولية الخاصة بالمسيحيين الشرقيين أنه هناك ستة أوقات يومية للصلاة باكر والساعات الثالثة والسادسة والتاسعة والمساء وعند صياح الديك، ويشير المؤرخ الكنسى كاسيان إلى وجود هذا النظام في أديرة وكنائس الشرق، وهذا كان بسبب اندماج صلاتى الغروب والنوم معاً (المساء) وكذلك صلاتى السحر ونصف الليل (صياح الديك) ولكن بمرور الوقت إنفصلت صلاة الغروب عن النوم (الثانية عشرة من النهار) واعتبرت صلاة التسبحة التي تقام بعد صلاة نصف الليل. انظر: المذكرات السياحية للحاجة إيثيريا، مجلة مرقص، ع ٣٢١، ١٩٩١، ص ٢٩.

(٢٠) للمزيد من التفصيلات انظر:

F. Fabri ; Op. Cit., P. 547, 562, 600, 602, 618-619, 622

(٢١) عن الجامع المسكونية انظر: ابن كبر، المصدر الـــسابق، جـــ١، ص٩٦-١٤٣، الأنبـــا ايسذورس، المصدر السابق، جـــ١، ص٢٨٦-٤٠٠، ٤٨٧-٥٣٣، أسد رستم، المرجـــع السابق، ص٤٦ - ٥١، ٩١-٩٤، ١٤٥ - ١٥١.

(٢٢) يرجع البعض نشأة نظام الخلو إلى السلطان الغورى الذي اسكن التجار في حوانيته بالغورية بالخلو، وقد تم اجازة أمر الخلو بيعة وشرائه وتوريثه طالما أنه يحقق منفعة للوقـــف ســـواء في صورة عمارة أو مال يقدم للوقف بحيث يستغل في صالح الوقف، والممارسة الفعلية تؤكـــد دور الخلو في المحافظة على عمارة الأوقاف انظر: الوثيقة رقم ٢٢٨ فتوى لصالح وقف ديـــر سانت كاترين، وللمزيد من التفصيلات انظر: محمد عفيفى، " الاقتصاد والفقـــة والمجتمـــع. دراسة في الخلو في الأوقاف بمصر في العـــصر العثمـــانى " في الاجتـــهاد، ع٣٣، ١٩٩٦م، ص١٧٩-١٨٦.

(٢٣) انظر: حجة رقم ٤٩٧ في ٨ جمادى أول ١٠٢٨هـــ / ٢١ ابريل ١٦١٩م، وثيقة رقـــم ٢٢٨ في: محمد عفيفى، المرجع السابق، ص ١٨٣ - ١٨٥.

(٢٤) انظر الوثائق ارقام ٢٨٠ في ٨٧٩هـــ / ١٤٧٤م، ٣٥ في ١٥ رجب ٨٦٠هـــــ / ١٩ يونيو ١٤٥٥م وهى بالحجج وخاصة ببيع على أربع مراحل.

(٢٥) انظر الوثيقة رقم ٢٨٣ من نوع الحجج.

(٢٦) انظر الوثائق ارقام ١٥٦، ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٩٥.

(٢٧) إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص٢١٤.

(٢٨) افرام الشماس، المصدر السابق، ص٧٤٣.

(٢٩) أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٤.

(٣٠) إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص٤٧.

(٣١) نعوم شقير، المرجع السابق، ص ٤٧٩ - ٤٩٠.

(٣٢) افانجلوس، المرجع السابق، ص٤٤، محمد محمود السروجى، " الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين " دراسة تاريخية، في الدارة، ع٢، سنة ٨، ١٩٨٢، ص ١٠٧.

(٣٣) ج. كوتل، المرجع السابق، ص١٣١، إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص٤٨.

(٣٤) بيرمينوف، المرجع السابق، ص١٧٩، الهلال، جـــ٥، ١٩١٥، ص ٤٤ - ٤٥.

(٣٥) المقريزى، المصدر السابق، ص١٦٧.

(٣٦) ج. كوتل، المصدر السابق، ص ١١٩-١٢٠، افانجلوس، المرجع السابق، ص٤٤.
ويذكر ان شيخ القبيلة الحالى يدعى محمد راضي أبو الهيم وقد أعدت الباحثة ايمان البسطويسى الدراسة في الأنثربولوجيا أطروحة عن قبيلة الجبالية في الجامعة الأمريكية.

(٣٧) محمد السيد غلاب، موسوعة سيناء...و، ص٤٦، سامي شنودة، الصور المقدسة...، ص١٩٣، أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٩، شقير، المرجع السابق، ص١٣٢.

(٣٨) عثر د / سوريال في مكتبة الدير على وثيقة هامة من نوع متفرقات Miscelleneous تتحدث عن حالة طلاق أو انفصال وقعت عند اناس من البدو المحيطين بالدير وفيما يبدو أنهم أودعوا تلك الوثائق عند الرهبان انظر:
Atiya, the Arabic tresuress ...., P. 20; Arabic monuseripts.., PP. 24 – 25.
انظر: المصحف رقم ٦٨٨ سيناء – عربي من نوع المعاهدات بين قبيلة الجبالية ورهبان الدير. في الملاحق وقد حرر ذلك المصحف في الفترة من ١٥٧٥ – ١٦٨٢.

(٣٩) العايد: قبيلة أصلها من سيناء الا أن أناسها تحضروا وتركوا شبه الجزيرة واستقروا في محافظة الشرقية، وقد عهدت الحكومة المصرية اليهم مهمة خفر المحمل الشريف من مصر إلى العقبة ولهم الاشراف على قبائل كثيرة منها الطورة، وفي بيت شيخهم كانت تحرر العقود والمعاهدات بين عرب الطور ورهبان الدير بشأن تأمين الطريق من وإلى الدير. انظر: أحمد لطفي السيد، قبائل العرب في مصر (القاهرة، ١٩٣٥) ص٨٢، ايمان عبد الفتاح، العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٧) ص٦٣.

(٤٠) محمود زايد " قبائل سيناء العربية " الهلال، يونيو، ١٩٧١، ص٢٤ – ٢٥، وللمزيد من التفصيلات عن تلك القبائل انظر: المقريزى. البيان والإعراب...، ص٤٦، ١٦٠، ليلى عبد اللطيف، سياسة محمد على إزاء العربان (القاهرة، ١٩٨٦) ص٣٨ – ٣٩، سميرة فهمى، دور عربان الوجه البحرى في تاريخ مصر العثمانية ١٥١٧ – ١٧٩٨ (دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩)، ص٦١ – ٦٦ – ٦٧.

(٤١) The conparative Geagrophy of Palestine and the ،Ritiei .Sinaitie Peninsule
PP. ، 1927، The Wilderness of Sinai،1866 V. I. P. 932; Beadnell .11 – 12
نقلاً عن عباس عمار، المرجع السابق، ص١٢٠ – ١٢٢، ايمان عبد الفتـــاح، المرجـــع الـــسابق، ص٦٢.

(٤٢) محمود زايد، المرجع السابق، ص٢٥، للمزيد من المعلومات عن دير القـــديس انطونيـــوس انظر: الفريد بتلر، المرجع السابق، جـ١، ص ٢٨٠-٢٨٣.

(٤٣) المقريزى، المصدر السابق، ص١٨، ١٤٩، عباس عمار، المرجع السابق، ص١٢١.

(٤٤) عباس عمار، نفس المرجع، ص١٢٥.

(٤٥) تختلف قيمة وزن الكيلة من نوع لآخر فمثلاً كيلة الارز والشعير تعادل ١٢ ك، كيل الارز الأبيض تعادل ١٠ك، كيلة الذرة تعادل ١٣ك، كيلة الفول ١٣ك... وهكذا.

(٤٦) الأوقية تساوى كيلو وربع الكيلو.

(٤٧) الأردب يساوى ١٥٠ كيلو جرام.

(٤٨) فايز اسكندر، المرجع السابق، ص ٤٦ – ٤٧.

(٤٩) وإذا حضر العربان عيد موسى في ٣ ستمبر، ودائما ما كانوا يحضرونه، يـــوزع الرهبـــان عليهم الطعام ". انظر: الوثيقة رقم ٢٠٢ من نوع المعاهدات في ٥ جماد الأولى ١٠٨٩هـــ/ ٢٥ يونيو ١٦٧٨م، السروجي، المرجع السابق، ص١٣; Bassili; Op. Cit., P. 84

(٥٠) انظر: امر سلطاني رقم ١٢٦ في ١٤ فبراير ١٥٢٨م، وثيقة رقم ١٧١ صادرة من ديـــوان مصر المحروسة سنة ١٧٧٣م، مخطوط رقـــم ٢٣١٨ ســـيناء – يونـــانى، ص٦٥ حـــرر في ١٦١٨م، مخطوط رقم ٢٢٥٨، الفرمان رقم ١٢٧ في ١٥ سبتمبر ١٥٣٣، الفرمان رقـــم ٢٠٠ في ٣ سبتمبر ١٦٧٢م، حسن صبحى، " من محفوظات دير طور سيناء العلاقات بين العراب ورهبان الدير في القرن التاسع عشر " في مجلة كلية الآداب، جامعـــة الإســـكندرية، م١٨، ١٩٦٤م، ص ٥٨ – ٦٠.

(٥١) انظر الوثيقة رقم ٢٠٢ في ٢٥ يونيو ١٦٧٨م، محمد محمود السروجي، " دير سانت كاترين. دراسة في تاريخه الحديث " في مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، م١٨، ١٩٦٤، ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٥٢) نعوم شقير، المرجع السابق، ص ٣١٣-٣١٤.

(٥٣) انظر: المخطوط رقم ٢٣١٨٨ سيناء - يوناني، صحائف ارقام ١٢٣، ١٣٨، ١٤٦، ١٥١، كتب في اعوام ١٦١٩، ١٦٢٧، ١٦٤٩، حسن صبحي، المرجع السابق، ص٥١.

(٥٤) انظر الوثيقة رقم ١٣٣ سيناء - عربي في ١٦ جمادى الأولى ٩٤٣هـ / ٣١ أكتوبر ١٥٣٦ م.

(٥٥) انظر الوثيقة رقم ٨ في ٣ رجب ٥٢٩هـ / ١٩ ابريل ١١٣٥، الوثيقة رقم ٤ في ٢١ ديسمبر ١١٩٥م، وهما منشوران صادران من ديوان الانشاء في مصر المحروسة، الوثيقة رقم ١٢٧ في ٢١ شوال ٩٤٤هـ / ٢٣ مارس ١٥٣٧، وهي تتحدث عن تعرض قبيلة بني سليمان لنخيل وغيطان مملوكة للرهبان، الوثيقة رقم ١٢٠ في ١٣ مايو ١٥٤٩م، ١٤٢ في ١٥ يناير ١٥٦٣م، وتتحدث عن اعتداءات بعض أفراد قبيلة أولاد سعيد وعربان العوارمة على بساتين الدير.

(٥٦) انظر الوثيقة رقم ١١.

(٥٧) ج. كوتل، المصدر السابق، ص٣١.

(٥٨) الوثيقة رقم ١٢٤ في ٨ ذى القعدة ٩٦٦هـ / ٥ سبتمبر ١٥٥٨م.

(٥٩) الوثيقة رقم ١٤٨ في ١٥ جمادى الأولى ٩٧٧هـ / ٢٦ أكتوبر ١٥٦٩م.

(٦٠) الوثيقة رقم ١٥٤ في ٢١ جمادى الآخر ٩٩٠هـ / ٤ يونيو ١٥٨٢م، وقد امتثل الرهبان للأوامر الكريمة وقابلوها بالسمع والطاعة.

(٦١) الوثيقة رقم ١٢٢ في ١٥ ذى القعدة ٩٥٥هـ / ١٦ ديسمبر ١٥٤٨م.

(٦٢) الوثيقة بدون رقم وهى مؤرخة في ذى القعدة ٩٩٣هـ / نوفمبر ١٥٨٥م. وفيما يتعلق بالوزير إبراهيم باشا فقد استمر والياً على مصر في الفترة من ١٥٨٣ إلى ١٥٨٥م، وقد سافر إلى الصعيد واستخرج معدن الزمرد وبعد عودته حاول فتح أحد الكنوز في جبل الجيوشي ولكنه لم يفلح فطلب لنفسه العزلان وطلي " لسنان أفندى " دفتر دار مصر سابقاً

ولاية مصر فأرسل السلطان له العزلان، انظر: أحمد شلبى عبد الغـــنى، المـــصدر الـــسابق، ص١٢٠-١٢١.

(٦٣) الوثيقة رقم ١٢٦ في ٢٣ جمادى الأولى ٩٣٤هـــ / ١٣ فبراير ١٥٢٨م.

(٦٤) إيمان عبد الفتاح، المرجع السابق، ص٩٠.

(٦٥) الوثيقة رقم ١٠٥ في ٢ شعبان ٩٢٧هـــ / ٨ يوليو ١٥٢٠م.

(٦٦) الوثيقة رقم ١٥٨ في ٢١ ذى القعدة ٩٩١هـــ / ٢٦ نوفمبر ١٥٨٣م.

(٦٧) الوثيقة رقم ١٠٢ في عهد خاير بك في٩٢٥هـــ / ١٥١٨م، وهى من نوع المراسيم.

(٦٨) كان من بين الرهبان الذين حضروا أمام خاير بك لرفع هذه المظلمة " مانويـــل ومـــرقص ودميتره... " انظر الوثيقة رقم ١٠٤ في ٨ شوال ٩٢٥هـــ / ٣ أكتوبر ١٥١٩ م.

(٦٩) تلك الوثيقة غير مرقمة وبعد الرجوع غلى فهارس كل من ســـوريال، كـــلارك، كامـــل أعطيناها رقم ١٣٦ وهى مؤرخة في ٢٠ ذو الحجة ٩٥٤هـــ / ٣١ يناير ١٥٤٨م.

(٧٠) انظر الفرمان رقم ١٥٧ في غرة رمضان ٩٩١هـــ / ١٨ سبتمبر ١٥٨٣م، المخطوط رقم ٦٨٨ حوليات ومعاهدات، المخطوط ٦٨٧ (حوليات ومعاهدات) يونانى ٢٢٥٨ في القرن الثامن عشر، حسن صبحى، المرجع السابق، ص ٥٤.

(٧١) انظر الوثائق ارقام ١٨٧ في ٨٦٦هـــ / ١٤٦١م – ١٤٦٢م، ١٩٧ في ١٦٤٣م، ٢٠٠ في ١٦٧٣م، ٢٠٣ في ١٦٧٩م، ٢١٠ في ١٦٩٣م.

(٧٢) مثل اتفاقية الشورى التي عقدت بين الرهبان على عهد الاسقف " كيريواصـــف " وبـــين مشايخ الصوالحة وأولاد سعيد والعليقات في منزل شيخ العرب " منصور بن المرحوم الشيخ صيام العائدى في البرقوقة – العباسية – في ٢٤ شعبان ١٠٥٣هـــ / ٨ نوفمبر ١٦٤٣م ".

(٧٣) الوثيقة رقم ٢٠٠ في ٣ سبتمبر ١٦٧٣م.

(٧٤) الوثيقة رقم ١٩٧ في ١٠ نوفمبر ١٦٤٣، الوثيقة رقم ٢٠٠، وفيما يتعلق بديوان الذخيرة فقد اعتادت سجلات المحاكم الشرعية التي تنتمى زمنياً إلى مطلع العهد العثمانى إلى الاشارة إلى الديوان العالى باسم " ديوان الذخيرة الشريفة " وصار يعرف بهذا الاسم لفترة من الزمن حتى بعد صدور قانون نامة مصر الذي حدد مواعيد انعقاد هذا الـــديوان بأربعـــة أيـــام في الأسبوع بحضور باشا مصر أو كتخدا، ويضم الديوان في عضويته قاضى عسكر افنـــدى أو قاضى القضاة ودفتر دار وروزنامجى والأمراء الصناجق وأغـــاوات، ويتـــولى إدارة شـــؤون

الولاية مثل منح التزامات الأراضى الزراعية والجمارك ومقاطعات والرسوم والضرائب... الخ.للمزيد من التفصيلات انظر: محسن على شومان، جمارك البهار في مصر العثمانية ١٥١٧ – ١٨١٦م، " في الاجتهاد "، ع٣٣ بيروت ١٩٩٦، ص ١٥٢ – ١٥٣.

(٧٥) الوثيق رقم ١٢٦ في جمادى الأول ٩٣٤هـ / فبراير ١٥٢٨م.

(٧٦) الوثيقة رقم ١٩٨ معاهدة على ورق في ٢٧ شعبان ١٠٥٣هـ / ١٠ ديسمبر ١٦٤٣م، السروجى، المرجع السابق، ص١٢٨، ويذكر بأن الدير يحتفظ بترسانة صغيرة للأسلحة الخفيفة تحتوى على بعض من البنادق ذات المحاور استخدمت في بعض الأحيان ضد اعتداءات العربان.

(٧٧) الوثيقة رقم ١٢٦، ١٣٨.

(٧٨) الوثيقة رقم ١٥٠ في ٢١ المحرم ٩٩٠هـ / ١٥ فبراير ١٥٨٢م.

(٧٩) المعلومات المتوافرة عن رئيس الدير في تلك الفترة قليلة، والمتاح منها أن البطريرك " مرقص الثالث – Morkarios III " قد رقى بطريركياً على القدس ١٥١٠م، وظل الدير بعده بلا مطران مدة تقرب من الثلاثين عاماً، وفي أثنائها فتح الغازى سليم مصر، انظر: شقير، المرجع السابق، ص٥٢١.

Rabino، Op. Cit., P. 86.

(٨٠) من بين هؤلاء الرهبان، وجدنا اسماء لكل من " وكيل الدير دانيال، الأقلوم زويتماس، الرهبان اسماكيوس وقسطندى الرومي وقزما وجربة والخورى جراسيموس وارسانيوس ويواكيم والياس والراهب عبد الله الذي كان أقلوما في مصر... ".

(٨١) وهؤلاء العربان هم " منصور بن محمد العارمى، حسن بن سليمان السعيدى، عازم بن مبارك العليقى "

(٨٢) وثيقة رقم ١٨٧ في ٨٦٦هـ. كتب على أحد اوراقها " تاريخها ٨٦٦هـ شورة على بنى واصل لأجل الملح في زمان الريس ماركس " مرقص ". انظر: قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى – دراسة وثائقية (القاهرة، دار المعارف ١٩٧٩، ص ٢٠٤– ٢٠٧).

(٨٣) للمزيد من التفصيلات حول قيمة تلك الأجور انظر: الوثـــائق أرقـــام ٢٠٢ في ١٦٧٨م، وصورة " اتفاق عقد بين العربان والخفراءي والرهبان واقره المـــولى بمـــصر ١٥٤٠ في ١٩ يونيو منه " كما يمدنا كتاب " الأم " بنص يدلنا على متانة العلاقات التي كانت سائدة بـــين الطرفين " فقد حضر جماعة الرهبان إلى مجلس الشرع الشريف وهـــم الاقلـــوم اســـرافيل والراهب (كذا) القاطنين بالطور وصحبتهم عنصرة ومطيع وكلاء الـــدير وامـــروا مولانـــا الحاكم بإحضار طائفة المواطرة وهم سليم شهاب الدين ومعه تسعة أخرون وهم فلاحين كرم الراهب المتعاطفين خدمته... وتخالص كل فريق من الأخر حرر في صفر الخير ١٠٩٦هـ / ١٦٨٥م. كتبه الفقير إبراهيم الأزهرى قاطن الطور. محمد أغا داردار الطور وأثـــنى عـــشر شاهداً غيرهما ". انظر: نعوم شقير، المرجع السابق، ص١٤٦.

(٨٤) انظر الوثائق ارقام ١٩٧، ٢٠٠، ٢١٠.

(٨٥) فقد ذهب شقير للدير في يناير ١٩٠٥ كمندوب من قبل سردار الجيش المـــصري لعقـــد اتفاق بين رهبان الدير وعرب الطور بشأن تأجير جمال لنقل الرهبان وامتعتهم من الطور إلى السويس والعكس.. انظر: شقير، المرجع السابق، ص ٥٢٤.

(٨٦) انظر الوثيقة رقم ١٣٥ في ٢٦ فبراير ١٥٤٣م.

(٨٧) الوثيقة رقم ٢ في جمادى ١٢٢٨هـ / مايو – يونيو ١٨١٣م، وهو مرسوم شـــريف مـــن ديوان مصر المحروسة إلى قدوة الطائفة المسيحية وعمدة الطائفة العيسوية سكان الدير بجبـــل سيناء.

(٨٨) انظر المراسيم التالية أرقام ١٠٧، ٥٩، ٥٥، ٥٣، ٦٢، ٧٠... الخ.

(٨٩) انظر الفرمان رقم ١٤١ في ٢٦ ابريل ١٥٥٢م.

(٩١) انظر الفرمان رقم ١٥٧ في ١٨ سبتمبر ١٥٨٣م.

(٩٢) انظر المرسوم رقم ١١.

(٩٣) انظر الفرمانات ارقام: ٩، ١١، ١٢٨، في ١٢ سبتمبر ١٥٣٣م.

(٩٤) انظر الفرمان رقم ١٤٤ في ٢١ فبراير ١٥٦٠م.

(٩٥) انظر الوثيقة رقم ١٥٢ في ابريل – مايو ١٥٨٢م.

(٩٦) لاحظ قولهم "... ولا يبقى امان في البلاد وتحصل متعبة عظيمة للناس.. ".

(٩٧) الوثيقة رقم ١٣٢ في ٢٠ ذى القعدة ٩٤٠هـ / ٣ يونيو ١٥٣٣م.

(٩٨) الوثيقة رقم ١٢١ في ٢٦ محرم ٩٤٠هـ / ١٨ أغسطس ١٥٣٣م. وقد تولى ولاية مصر في ذلك التاريخ سليمان باشا، وهو أول من أرسل الخزينة للقسطنطينية وعين المساحات لضبط الأقاليم... للمزيد من التفصيلات، انظر: أحمد شلبي عبد الغني، المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٨.

(٩٩) الوثيقة رقم ١٣٠ في ١٠ رمضان ٩٤٤هـ / ١٠ فبراير ١٥٣٨م.

(١٠٠) الوثيقة رقم ١٠٢ في ١٥١٩م.

(١٠١) الوثيقة رقم ١٠٣ في ٢٦ ذى القعدة ٩٢٦هـ /

(١٠٢) انظر الوثائق ارقام ١٠٥ في ٨ يوليو ١٥٢٠م، ١٢٣ في ٢٨ يناير ١٥٢٣، ١٢٦ في ١٣ أو ١٤ فبراير ١٥٢٨م.

(١٠٣) انظر الفرمان المؤرخ في ١٠ سبتمبر ١٥٣٣م، بالتنبيه على مشايخ العربان برعاية شئون الدير، السروجى، دير سانت كاترين، ص١٢٢، ------، الوثائق العثمانية... و ص ١١٦.

(١٠٤) حسن باشا الخادم قد إلى مصر في عاشر من جماد آخر ٩٨٨هـ وكان حاكماً محباً للرشوة فاستمر والياً على مصر حتى سنة ٩٩٠هـ ٢٣ يوليو ١٥٨٢م وكانت مدة ولايته سنة وعشر أشهر في زمنه اليس اليهود الطراطير الحمر واليس النصارى البرانيط السود... للمزيد من التفصيلات انظر: أحمد شلبي عبد الغني، المصدر السابق، ص ١١٩ — ١٢٠.

(١٠٦) انظر الوثائق ١٤٩ في ٢٧ يونيو ١٥٨١م، ١٥١ في ١٦ مارس ١٥٨٢م، ١٦٠ في ١٣ نوفمبر ١٥٨٥م

(١٠٨) انظر المراسيم ارقام: ٤٥، ٥٥، القلقشندى، المصدر السابق، جـ١١، ص٤٠٤، ٣٩٧، ٣٩٩.

(١٠٩) انظر ديباجة الفرمان رقم ١٢٢.

(١١٠) انظر الفرمان رقم ١٢٠.

(١١١) انظر الفرمان رقم ١٤٨.

(١١٢) انظر الفرمان رقم ١٤٨.

(١١٣) انظر الفرمان رقم ١٦٣، ١٦٢.

(١١٤) انظر: حسن صبحى، المرجع السابق، ص٥٧، السروجى، دير سانت كاترين...، المرجع السابق، ص١٠٨.

Atiya، The Arabic Monuscripts ..., P. 24.

(١١٥) انظر الفرمانـــات: ١٠١، ١٣٦، ١٤٣، ١٣٩، ١٤١، ٢٢٢، الـــسروجى، الوثـــائق العثمانية....، ص١١٤.

(١١٦) انظر الفرمانات ١٤٦، ١٤١، ١٥٣.

(١١٧) الفرمان السابق

(١١٨) الفرمان رقم ١٦٦ في ١٠-١١ ديسمبر ١٥٨٦، ١٦٧ في ١٥٨٧م.

(١١٩) انظر بيورلدى صادر من ديوان الانشاء في مصر المحروســـة إلى قـــدوة المحـــافظين في ١٥ أكتوبر ١٧٠٨م.

(١٢٠) ومن الامثلة الدالة على وطنية الرهبان والعربان ما حدث أثناء حرب يونيو ١٩٦٧ مـــن أن موشى ديان جاء الدير واتخذ منه ثكنة للبوليس الحربى كما فتش في الدير بحثاً عن الجنود المصريين ونسوا أن يفتشوا مكان الطاحونة المهجورة حيث كان يقبع نحو إأد عـــشر جنـــدياً مصرياً وضابطان منسحبين من الطور، وفتح لهم الرهبان باباً سرياً قديماً تسلل منه المصريون. وصحبهم بدوى في طريق مجهول عائدين إلى مصر، انظر: إحسان عبد القـــدوس، في شـــبه جزيرة سيناء الطريق إلى الله صعب في كتاب: أيام شبابي، (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٧) ص٨٧-١٠٣.

الفصل الرابع

الأوضاع الثقافية لدير سانت كاترين

ا- المكتبة:

تشكل مكتبة دير سانت كاترين أهم معالم الدير الأكثر إمتاعاً وأهمية، والتي وصلت مخطوطاتها مع بداية القرن الحالي إلى حوالي أربعة آلاف وخمسمائة مخطوط كتبت بشتى لغات العالم الأكثر شيوعاً، ويكفي دليلاً على مدى أهمية تلك المكتبة أن نعرف أنه بعد أن نظمت ورتبت وطبعت بعض فهارسها اعتبرت الخزانة الثانية للمخطوطات المسيحية المقدسة في العالم من حيث القيمة والعدد بعد مكتبة الفاتيكان، وقد تم تدوين حوالي ثلثي مخطوطات المكتبة باللغة اليونانية، والباقي بلغات عدة منها العربية والسريانية، والجورجية والسلافية والقبطية والأرمنية والحبشية " الأمهرية " والفاريسية والبولونية، وأغلب المخطوطات ذات فحوى مسيحي. كما أن لبعضها قيمة تاريخية واقتصادية واجتماعية، وهي عبارة عن مستندات أباطرة وبطاركة ورؤساء وكهنة وزعماء وسلاطين وإيصالات وفواتير ومراسيم وفرمانات وشورات..... الخ، وتقع المكتبة بالقرب من البازيليكا حيث يصل إليها عن طريق سلالم مدرجة. وهي في ثلاث غرف من صف واحد، الوسطى منها مبلطة بالرخام، وكانت قبلاً مجلساً للرهبان، وهي الآن مكان لحفظ صور بعض مطارنة الدير، وتحفظ الكتب، أما المخطوطات فتحفظ في الغرفتين الأخرتين مرصوصة على رفوف من خشب [١]، وتشغل المكتبة صالة كبيرة طولها يقارب ثمانين متراً، والمكتبة يسميها الرهبان " فيليو بتكون " أو " ببليو – ثيكي "، وعلينا أن ننتبه إلى أن المكتبة الحالية

هي مكان حديث وكان السيد "كوتشيكا " قد شيد على حسابه الخاص بناءً حديثاً تشغل المكتبة الطابق الثالث منه عام ١٩٥١م، وأصبح مكانها القديم بعد أن انتقلت الكتب منه مخزناً للأيقونات والتحف النادرة والمخطوطات، ونقلت الكتب فقط للمبنى الحديث الموجودة بها الآن وتلك النقلة تعتبر أحد أهم الإضافات في العصر الحديث، والمكان الجديد جيد ومضيء ومعتنى به[٢].

وقد أدرك الرهبان بفعل الزمن والخبرة أهمية الحفظ والتوثيق ومعرفة محتويات المخطوطات والكتب، فالعوارض الخشبية تحمى محتويات المكتبة من العين والأيدي الشغوفة، بينما أمين المكتبة هو المرجع أو الوسيلة الوحيدة لأي مخطوط أو كتاب، بالإضافة لأنه قد تم وضع تعليمات محددة للزوار بإخبارهم أنه من حقهم الدخول إلى المكتبة لبضعة أيام، وكذا العمل لبعض الساعات أثناء تلك الأيام، والأهم من ذلك أنه ممنوع أخذ الصور الفوتوغرافية [٣].

وتعتبر المكتبة من الأماكن التي يحرص زائر الدير على زيارتها، فقد زارها من روسيا كل من " جريجورفيتش – بارسكى، أومانيتس، أوسنيكى " وآخرون، وقد قيض للأخير أن يطلع على المخطوطات السلافية واليونانية والتي وصف قسماً منها في كتابة وتذكر إبان ذلك من عدم وجود النظام بالإضافة إلى الإهمال المسيطرين على المكتبية، حيث لم يُحسن حفظ تلك المخطوطات قاطنو الدير أنصاف المتعلمين. وأن كان " ج.كوتل " قد رآها جميلة إلى حد لا بأس به، تضم عدداً كبيراً من المجلدات اليونانية، ومع ذلك فقد بدا له في زيارته للدير سنة ١٨٠١ أن أحداً لا يتردد عليها وخاصة أن من وجدهم بالمكتبة يتحدثون اليونانية، والقليل يفهم العربية دون أن يتحدث بها، هؤلاء هم الذين يقومون بالسفر إلى القاهرة لتدبير شئون الدير الخاصة[٥].

وفى منتصف القرن الثامن عشر استطاع المطران الإنجليزي "ريتشارد بوكوك" الوصول إلى مكتبة الدير وأعلن إنه لم ير من بين المخطوطات التي شاهدها مخطوطة ذات قيمة، وهذا الخطأ الذي وقع فيه دفع الآخرين للوقوع فيه، حيث صرح "وليم تيرنر" الذي زار الدير سنة ١٨٥١ "لقد صدق الرهبان عندما أخبروني عند إجابتهم عن سؤالي عن المخطوطات بأن لديهم ثلاث نسخ فقط من الكتاب المقدس".

وعثر آخرون على كنوز ثمينة قاموا بنهبها، فقد ذكر " وليم جون بانكيك " إنه استطاع العثور على مكتبة تضم نحو مائتين من الكتب، ٧٥ % من محتويات المكتبة مخطوطات، ٩٠ % منها مدون باليونانية وقد عاد هو إلى إنجلترا بعددٍ منها مخطوطات وهى:

كتاب هنيسيتون حول المقياس اليوناني،،والكتب الثلاثة الأولى في ملحمة الإلياذة مع جزء من الكتاب الرابع وتراجيديا لاسخيلوس وشعر يوناني،وكتاب ميديا إلى يوربيدس وبداية في كتاب هيبوليتس، ونظريات أرسطو في علم الفيزياء. أحد أعمال المؤرخ البيزنطى سدرليوس، وكانت رحلة بانكيك عام ١٨١٥م. وفى عام ١٨٢٢ كتب " جون بوركارد " – " بوركهارت " عند زيارته للدير " لديهم مكتبة ثمينة ولكنها دائما مغلقة وتضم حوالي ١٥٠٠ كتاب باليونانية و٧٠٠ مخطوط بالعربية ".

وقد أثارت طريقة الرهبان في إبعاد الزوار عن المكتبة حفيظة الذين تحملوا مشاق السفر للوصول إلى جبل سيناء ، ففي ١٨٣٨ كتب زائر أمريكى يدعى "د.إداورد روبنسون ": "إن المكتبة مهملة تماماً ولم ألاحظ أن المطالعة تشكل جزءاً من مهام أو اهتمام الرهبان في الدير ".

وكان عام ١٨٣٩ موعد زيارة رئيس الشمامسة " هنرى تاتام " والذي حاول شراء أقدم مخطوطة بالدير بمبلغ ثلثمائة باذن استرليني، ولكن رئيس الأساقفة المقيم في

القاهرة رفض العرض بشدة، إلى الدرجة التي صرح فيها تاتام " أن مبلغ الـــ٣٠٠ بادن التي عرض على هؤلاء الرهبان المساكين لقاء أمور من هذا القبيل لمبلغ كبير" (٦).

ومن الملاحظ أن معظم زوار المكتبة حدثونا بإسهاب أكثر عن مجموعة المخطوطات اليونانية، والقليلين حدثونا عن المخطوطات العربية، ويبدو أن ذلك عائد لجهل الزوار باللغة العربية، ويؤيد ذلك أن الذين أدلوا بدلوهم في المجموعة العربية كانوا في الأصل شواما، وفي بداية القرن الماضي رأى " أحمد شفيق " المكتبة على درجة كبيرة من حسن النظام والتنسيق وفيها أنواع الكتب النفيسة التي تنحصر في الآداب الدينية والتاريخية باللغات المختلفة، وشاهد أيضًا الفرمانات السلطانية التي كانت تمنح للدير من قبل سلاطين آل عثمان، كما وقع نظره على فرمان السلطان سليم بن أحمد العثماني الخاص بإعفاء رهبان الدير وحاصلاته وأملاكه من جميع الضرائب والرسوم والمكوس الجمركية على واردته من الموانئ المصرية والعثمانية، وهذا الفرمان مؤرخ في سنة ٩٣١ هـــ ١٥٢٤م، كما شاهد أيضًا مراسيم صادرة من قياصرة الرومان والدولة الفرنساوية(٧).

ويصف " مرقص سميكة " المكتبة بكثرة عدد الكتب الخطية القديمة الثمينة يونانية كانت أم عربية (٨).

وعلى الرغم من أن المخطوطات محفوظة اليوم – بصورة جيدة إلى حد ما. إلا أن هناك علامات عدة للإهمال الذي حدث لها مبكراً، مثل ما أخبرنا به بعض الرحالة السابقين، الذين عانوا من الماء والحشرات والديدان وغيرها، وبعض المخطوطات حفظت منفصلة وأعدت للتصوير الفوتوغرافي لاحقا، والكثير منها عولج قبل نسخة، خاصة وأن بعثة سنة١٩٥٠م لاحظت أن بعض المخطوطات وجدت مكسورة وأجزاؤها منفصلة، وقد حاول أعضاء متخصصون من البعثة إعادة تجميعها مرة أخرى، كما أن بعض الكتب تفرقت أو تبعثرت أو حتى سرقت، ولكن معرفة

العلامات فيما بينها سهلت عملية تجميعها، وفى بعض الأحيان حينما كانت تتم عملية معالجة المخطوطات والكتب كان يكتشف الكثير من المخطوطات والوثائق النادرة المنسية (٩).

وكان "كونستانتين فون تشندروف" الدارس الألماني للكتاب المقدس. قد قام بالتنقيب في مخطوطات الدير المثيرة، والذي لم يكن مشهوراً بما فيه الكفاية في ذلك الوقت، حيث قدم إلى الدير بعد عام من زيارة " أومانيش " الروسي، ولعام آخر قبل مجئ زميله " أوسبينسكى " وبعد أن درس كل ما تقدم له من المخطوطات ولم يعثر علي ما يستحق الاهتمام به وتهيأ للرحيل وعندما وقع نظره على سلة للأوراق تدلت منها مزقة رق ففتحه، واكتشف بدهشة مقطعاً من أهم وأقدم نسخ نصوص الكتاب المقدس، كما اكتشف أيضًا في نفس السلة ١٢٩ صفحة رق كانت معدة للحرق، وفى فترة لاحقة طبع تشيندر ف تلك الصحائف في ثلاث وأربعين صفحة في لايبزج. ويعتبر هذا المخطوط. أهم كنز في المكتبة اليوم، فهو السجل السينائى العريق القدم والذي يرجع عهده إلى حوالي ٤٠٠ ب.م، مع إعادة كتابته ثانية في القرن السابع أو الثامن الميلادي، وهو يحتوي على النص اليوناني للكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، ونحن لا نعرف الطريقة التي وصلت بها المخطوطة للدير والتي تعد أقدم من تاريخ بناء الدير ذاته، والتي كانت محفوظة في وقت ما في مكتبة الخزر Caesavea التي تعد من أكبر المكتبات وأهمها في العالم القديم بعد مكتبتي الإسكندرية والقدس، وحيث توجد صحائف من المخطوط مدون عليها ملاحظات بخط " بامفيليوس " الذي كتب هو الآخر إنه اعتمد في كتابته ذلك المخطوط على أعمال إنجيلية مشطورة وهي " الهكسبالا لأورنجى HEXAPLE OF ORIGEH التي كانت محفوظة في وقت ما في مكتبة الخزر، ويذكر أن تشيندرف أعطى الملك السكونى " فريديريك أغسطس الثاني " جميع المخطوطات التي عثر عليها في جبل سيناء وذلك مقابل نفقات الرحلة التي تحملها الملك، وفى ١٨٤٦م نشر تشيندروف كتابه الذي احتوي على

الثلاث والاربعين مخطوطه وسماها مخطوطه " فردريك أو أوغسطيني " والمثير في تلك الطبعة إنه امتنع عن الإفصاح عن المكان الذي عثر فيه على المخطوطات، ورحلته الثانية كانت سنة ١٨٥٢م وعاد منها بعد عام فارغ اليدين، وقرر تشنيدروف تحقيق أقدم مخطوطة عثر عليها في رحلته الثالثة وهي مخطوطة " بوهان " التي أطلق عليها هذا الاسم تيمناً باسم ولى العهد السكسونى، وفى نهاية حياته فحص نصوص ثلاث وعشرين مخطوطة وحقق نصوص سبع عشرة مخطوطة أخرى مزوداً العالم بعشرين طبعة من العهد الجديد باللغة اليونانية، كما إنه أصدر كراساً لا يقل عن مخطوط سيناء، ألا وهو مخطوطة الفاتيكان ١٨٦٧م [(١١)]. وكان اكتشاف المخطوط في زمن حكم البطريق " كالستراتس " للدير، وسميت باسم " كودكس سيناتيكوس Codex sinaiticus وحملت إلى قيصر روسيا " إسكندر الثانى " الذي اخذها بحوالي ثمانية آلاف فرنك، وقد طبع منها عدة نسخ بالفوتوغرافية وأرسل للدير نسخة منها وحفظ الأصل بحوزته، وقيل أن في مكتبة لايبزج – ليبسك – أوراق من النسخة الأصلية، وتحتوى نسخة المخطوطة السينائية على ٣٤٦ ورقة مقاس ١٣,٥ بوصة إلى ١٥ بوصة. وقد زار تشيندروف الدير ثلاث مرات في سنوات ٤٤، ٥٣، ١٨٥٩م. على أن الرهبان تمنعوا عن بيعه المخطوط بكامله، ولكن في تشرين الثاني – ١٨٦٩ وبعد يوم واحد من افتتاح قناة السويس وقعت وثيقة إهداء المخطوط للقيصر الروسي الذي وهب الدير بالمقابل تسعة آلاف روبل أو ثمانية آلاف فرنك، إلى أن جاءت الثورة البلشفية وتمكن المتحف البريطاني من الحصول عليه بعد أن دفع مبلغاً كبيراً جداً قدر بحوالي مائة ألف جنيه من الذهب، وتم الشراء يوم ٢٧ ديسمبر ١٩٣٣م [(١٢)].

ولم يتم حصر وتصنيف كامل لمحتويات المكتبة، حيث أن الآراء والأرقام حول محتوياتها متضاربة، فهناك من يقدر عدد المخطوطات بأكثر من سته آلاف مخطوط في حين أن الإحصاء الأخير يعدها بنحو ٢٣١٩ مخطوطًا يونانيًا، ٢٨٤ لاتينى، ٨٦

جورجي، ٦٠٠ عربي والباقي مدون باللغات السريانية والقبطية والأثيوبية والسلافية[١٣].

أما بعثة سنة ١٩٥٠ فقدرت محتوياتها على ما يزيد عن ٥٠٠٠ كتاب ووثيقة مخطوطة في نحو اثنتى عشرة لغة، بينهم ٦٠٢ مخطوط عربي، ١٠٧١ وثيقة عربية تعود لبداية العصر الفاطمي وحتى العصر الحديث، ٦٦١ فرمانًا عثمانيًا [١٤]، ولكن د. عبد اللطيف إبراهيم يرتفع بالوثائق العربية إلى ١٩٧٢ منها ٢٩ كتبت على الرق، ١٠٤٣ على ورق صنع من نوعيات مختلفة [١٥].

ويرى الدارسين "جوزيف نسيم"، "جمال الخولي" أن المكتبة كانت تحتوي على ٥٠٠٠ مخطوط نسخت منذ بداية القرن الثامن وحتى نهاية التاسع عشر [١٦] لكن " افانجليوس " يرجع بالعدد إلى نحو ٣٠٠٠ مخطوط ويؤيده عزيز سوريال في فهارسه التحليلية، وكان " جورجى زيدان " قد عد محتويات المكتبة بنحو ٣٥٠٠ مجلد بينهم حوالي ٧٠٠ بالعربية، وجاء " مرقص سميكة " في فهارسة وأبلغ عن أن عدد الكتب اليونانية تبلغ بنحو ٢٦٠٠ مجلد، ولكن الرهبان أبلغوا " خليل صباغ " أن عدد الكتب تبلغ نحو ٢٠٠٠ منها حوالي ٤٠٠ مخطوط بالعربي[١٧].

هذا بالإضافة لمجموعة مخطوطات جديدة لا يعلم عنها الكثيرون شيئاً اكتشفها الرهبان سنة ١٩٧٥ وخزنوها في ٤٧ صفيحة فارغة، رتبت بموجب اللغات التي دونت بها اليونانية، العربية، السريانية الآرامية، الحبشية، الجورجية، اللاتينية وغالبيتها دونت بالأحرف اللاتينية. ويبدو أنها دونت خلال الفترة ما بين القرنين الرابع والثامن الميلاديين[١٨].

ويعود قسم كبير من مخطوطات الدير إلى فترة سبقت تاريخ تشييده، وقد تجمعت تلك المخطوطات من الهدايا التي كان رهبان الدير يتسلموها والمبالغ التي يحصلون عليها من التبرعات، والموارد التي خصصوا قسما منها لشراء الكتب،

وتكشف بعض المخطوطات الديرية التأثير الإسلامي على ثقافة العالم المسيحي، وبعضها زوق بأسلوب فناني القسطنطينية، ورغم أن رقائق البردي كانت معروفة منذ زمن بعيد إلا أنهم نادراً ما استخدموها على معرفتهم بها [١٩].

وتضم المكتبة نحو ٥ آلاف كتاب مطبوع يعود بعضها لبداية ظهور الطباعة، ويلاحظ أن تعدد لغات المجموعة الخطية المحفوظة بالمكتبة تدل على تعدد القوميات التي عاشت بالدير على امتداد الأربعة عشر قرناً.كما تعود أهمية وقيمة تلك المخطوطات والوثائق إلى أنها أقدم ما عرف من مخطوطات عربية مسيحية تمتاز نصوصها بقيمتها العالية من كافة الجوانب العلمية والدينية والتاريخية، وأيضًا تضم مجموعة من الصحائف الفريدة تتناول كافة مراحل الثقافة المسيحية على امتداد الحقبة الوسيطة والحديثة من تاريخ المنطقة.

ومن بين كنوز الدير، تظهر المكتبة بمخطوطاتها اليونانية والتي ينظر إليها على أنها الأقيم والأعظم من حيث نوعها وعددها غير العادي منذ القرن السابع الميلادي وما قبله وحتى الفترة الحديثة من تاريخ الدير.

ومن بين المخطوطات اليونانية المعروفة والتي وصل عددها إلى ١٣١٩ اختارت البعثة للتصوير ما له دلالة تاريخية أو أدبية، وصور بواسطة الميكروفيلم حوالي ١٠٨٣ مخطوطا منها أربعمائة من نصوص الكتاب المقدس[٢٠].

وتقدر مجموعة الوثائق – الفرمانات – بالمكتبة بنحو ألف وثيقة يرجع أقدمها للقرن الثاني عشر ١١٣٠م أى للعصر الفاطمي وتعتبر في رأى البعض من أهم مجموعات الوثائق المتسمة بالاستمرارية، والتي تطلعنا على تطور الخط العربي الديواني وعلى لغة الدواوين فيما بين القرن الثاني عشر وحتى التاسع عشر الميلادي[٢١].

وتقدر مجموعة الوثائق العربية تلك بنحو ١٠٧٢ وثيقة باللغة العربية، ٦٧٢ وثيقة باللغة العثمانية [٢٢]. تتناول موضوعاتها الجوانب الفقهية، والحجج الشرعية

الخاصة بالرهبان، ووثائق رسمية عامة منها المناشير والمراسيم [٢٣]، والتواقيع[٢٤]، والمثالات[٢٥] من العصور الوسطى وكذلك هناك المراسيم المملوكية، وأيضًا الفرمانات والأوامر الإدارية من العصر العثماني، وتحتوى مراسيم الولاة على أختامهم الرسمية منذ ٩٣٠هـ ١٥٢٣م إلى ١٢٤٣هـ ١٨٢٧م [٢٦] ويدعى الرهبان أن أقدم وثيقة في حوزتهم هي التي تعود إلى عصر النبي محمد (صلي الله عليه وسلم) والخلفاء الراشدين، وأن أحدثها يرجع إلى ١٨٦٩م، ومعظمها كتب على الورق عدا حوالي تسع وعشرين وثيقة كتبت على الرق، كما ترجع أهمية تلك الوثائق إلى أنها تصور العلاقة بين جماعة المسلمين والمسيحيين في العصور الوسطى فالحديثة، كما توضح أحوال المجتمع وطبقاته، بالإضافة لأهميتها في دراسة علم " الدبلوماتيك "[٢٧] وتطور الخط العربي منذ العصر الفاطمي وحتى الآن[٢٨].

وقد قام د. سوريال بتصوير وتسجيل كافة المخطوطات والوثائق العربية البالغ عددها ١٠٧٢ وأيضًا الوثائق العثمانية البالغ عددها ٦٧٢ وثيقة، وبعد تطوير المجموعة العربية بدأ ينظر إليها على إنها أقدم وأكمل مجموعة عربية في العالم [٢٩]، وقد شاهد سوريال بعض المخطوطات والفرمانات المميزة، وبعضها كان ذا طول غير عادى كالقانون أو الوثيقة المكتوبة على جانبها ويصل طولها إلى نحو ٢٥ متراً[٣٠].

ومن أهم ما تحتويه المكتبة في مجال الألواح العربية المخطوطات رقمي ٥١٤ FAL، ٥٨٨ FAL، والأول مخطوط جلدي يحتوي على العديد من سير الشهداء والقديسين والبالغ عددهم ثلاثون قديساً، والذين من المفترض إنهم استشهدوا في مدينة الإسكندرية خلال فترة حكم الإمبراطور دقلديانوس، والمخطوط الآخر مكتوب أيضًا على الجلد بخط النسخ القديم[٣١].

وفيما يختص بمجموعة الوثائق العثمانية، فهي محدودة العدد إذا ما قورنت بالمجموعة اليونانية أو العربية، وهذه الوثائق – معظمها – عبارة عن فرمانات أصدرها

الباب العالي(٣٢) لصالح رهبان الدير، فهناك ٢١٠ فرمان تم إصدارها بالتوالي في عهد خمسة وعشرين سلطاناً متتالين باستثناء فترة حكم السلطان " مصطفى الأول "، منها ٣٦ فرماناً تنتمي لعصر السلطان " سليم الأول "، ١٨ من عصر السلطان " عبد الحميد الأول " كما تحتوى المجموعة على ٤٣ طبعة أو نسخة تركية لمعاهدة الرسول محمد (صلي الله عليه وسلم) وتلك الوثائق – الفرمانات بخاصة – هامة جداً لكونها تدرس تاريخ التحول في سلطة حكم مصر نحو الأتراك العثمانيين، كما تفيد التاريخ وبعضها مكتوب بماء الذهب وبخليط من الحبر الأسود، وتبدو Colligrophy القيمة الجمالية للطغراء – تواقيع السلاطين " tyghras " والتزينيات الجيوميترية أو الهندسية بالذهب والألوان المشرقة (٣٣) وهكذا تظهر قيمة الفن والثقافة العثمانية الرفيعة كرد على من يتهمون العثمانيين بتجاهل الفنون.

وقد حذا حكام مصر من الولاة العثمانيين حذو سلاطينهم في إستانبول عن طريق إرسالهم نحواً من ١٦٦ أمراً رسمياً بأمان للدير ورهبانه. ومن الملاحظ أن المصطلحات الإدارية العثمانية مع بداية الفتح العثماني لمصر لم تحل محل المصطلحات العربية المقابلة لها، فقد ظلت الأخيرة تستخدم إما بمفردها أو إلى جانب المصطلحات العثمانية في أغراض عديدة تحت السيادة التركية، ونرى أن أولى الفرمانات التي أصدرها العثمانيون بالعربية تعود إلى ١٥٤٤ – ١٥٤٥ م وتستمر تلك الفرمانات في أعداد وفيرة حتى ١٠٠٠هـ / ١٥٩٢م، ونجدها لا تتوقف بل تظهر في مناسبات عدة حتى بعد مطلع القرن التاسع عشر وآخر تلك الفرمانات ترجع إلى ١٨٢٦ – ١٨٢٧م (٣٤).

أما بخصوص ملاحظة " برنهارت مورتيس " (٣٥) (١٨٥٩ – ١٩٣٩) moritz والتى مؤداها أن خطابات الامان السلطانية لدير سانت كاترين كانت تصدر بالعربية حتى عهد السلطان سليمان المشرع ثم بدأت تصدر بالعثمانية منذ

ذلك الوقت، يرى " د / هانز رويمر" إنه من الممكن أن "موريتس" فسرها على أنها تعنى أن أول خطابات الأمان العثمانية ترجع إلى عهد سليمان الأول، وإن كنا لا نستطيع أن نتحقق من ذلك لأن د. سوريال[٣٦] لم يشر للوثائق العثمانية بالمكتبة وكيف أنها تختلف عن الطريقة التي كانت تتبعها دوواوين الإنشاء، وإلي أي حد تم ذلك [٣٧].

ويجدر بنا التنويه إلى أن الفرمان الأول للسلطان سليم الأول موجود في المجموعة التركية، على الرغم من أنه لا يحتوي نص معاهدة الرسول (صلي الله عليه وسلم) للرهبان، إلا أنه يوضح ويبين الأمان الشخصي لرهبان الدير[٣٨].

وبالنسبة للوثائق العثمانية البالغ عددها ستمائة وواحد وسبعين وثيقة عثمانية، فقد أعدها ميكروفيلمياً "البروفيسور إبراهيم صبري" من جامعة فاروق الأول (الإسكندرية) والذي كان ابنا لشيخ الإسلام الشيخ مصطفى صبري، وبمعاونة الأستاذ، " محمود نفرى Nefre " قيم مكتبة القصر الملكي – سابقاً – بالقاهرة، وللأسف فبطاقاتهم الوصفية غير متوافرة بنفس القدر الذي تتوافر به الوثائق العربية أو اليونانية مثلاً. وعليه فالمجموعة لا يمكن أن توضع في هيئة عناصر كما في المجموعة العربية، ولذلك السبب أو لأسباب أخرى عديدة،كانت الصعوبة بالغة بالنسبة لنا كلما حاولنا الاقتراب والاستشهاد بتلك الوثائق بصورة واسعة في ثنايا تلك الدراسة المتواضعة [٣٩].

وكانت الوثائق العربية، والفرمانات العثمانية المرسلة إلى الدير تتم بواسطة دار المحفوظات أو المحكمة العليا المصرية، وكان الحبر الأسود هو الغالب في خطها وكانت تكتب بخط عربي يعرف بالكتابة الديوانية ويتسم بدقة كبيرة [٤٠]. وتتم الكتابة في قوائم من الرق الأبيض وتتدرج حتى اللون الأصفر، وبعض جملها معقدة التركيب والقراءة ومختصرة وخالية من علامات التنقيط أو أسفل الوثيقة [٤١].

ومع ذلك ففي ١٩٧١ تعرضت المكتبة لحريق كبير أتى إلى جزء كبير من محتوياتها، وتوجد بالمكتبة قائمة بالكتب التي ذهبت واحترقت أثناء الاحتلال الإسرائيلي للدير.

وهناك كنز آخر لا يقل أهمية عن مخطوطات ووثائق الدير في الحجرة المجاورة للمكتبة، حيث توجد صالة لحفظ الإيقونات المعلقة على الجدران، وبعضها يصور السيد المسيح وفى أجزاء أخرى توجد صور لقديسين راحلين كالايقونة التي تصور St. Cearge وهو يذبح التنين الخرافي، وتوجد في تلك الحجرة حوالي مائة من أفضل الإيقونات في العالم وحسب قول د. كورت فانيزمان " KURT Vuetzman " من أن هذا الدير هو المكان الوحيد في العالم الذي يعطينا فكرة كافية عن العصور الإغريقية في القرنين السادس والسابع الميلاديين، وإنه يتوجب إذكاء الشكر إلى محمد (صلي الله عليه وسلم) على حفظه لتلك الصور وخاصة أثناء حركة المناهضين للصور والإيقونات " (٤٢).

وبالنسبة إلى فهارس وكتالوجات الدير. فإن أولي المحاولات التي قامت بترتيب المكتبة السينائية ووصفها وإعداد كتبها وعمل قائمة لها كانت على يد أحد النساخ الشوام في حوالي ١٨٧٠م حسبما ادعى هو بذلك في ثنايا قلفون أحد المصاحف التي نسخها، وعلى العموم فيبدو أن هذا الفهرس الأولى قد تلف أو اختفى لأن غالبية تلك المصادر لم تتحدث عنه بأية صورة كانت (٤٣) – كما أن سجل " مارجريت جبسون " لا يفى لأن قائمتها لحوالي ٦٠١ مخطوطة باللغة العربية، دونت باليونانية لغرض إرشاد الرهبان وهي غير مؤثرة وغير موثوق فيها (٤٤). ومع ذلك فقد تتابعت المحاولات لتنظيم المكتبة. فقد جاءها عام ١٨٥٠م الأرشمندرين الروسى " Parphyrins uspenshy " برفقة بعض العلماء كما أعلمتنا بذلك بعض قلفونات المخطوطات وأيضًا علمنا أن مساعده كان من عرب دمشق يدعى جانبا

صروف " ومن بعدهم جاء البروفسير " COROLTHAASEN V.E. " والذي نشر عمله في اكسفورد، ويحتوي على ٢٢٣ مدخل للمجموعة اليونانية، ثم كانت جهود السيدة آجنس لويس –AGNESOS LEUIS – وشقيقتها اللتين زارتا الدير لبضعة شهور، وفيها اكتشفت السيدة آجنس – المخطوط السورى " CODEX SYRUACUS " وفيما بعد نشرت قائمة للمجموعة العربية اليونانية عام ١٨٩٤م وفى الأعوام ١٩١١ – ١٩١٧م نشر " NESHENICH – C.N.BE " ملحقاً لكاتالوج البرفيسور " CARDTHUS EN " السابق للمخطوطات اليونانية مع ٩٢٧ مدخل جديد وقد أتم عمله هذا أثناء وجوده بالدير بصحبة بعثة الأكاديمية البروسية للعلوم. The Pirussian Academag of soiences وإلي أن جاء عام ١٩١١ أرسل البروفسير Carl Sehmidt المتخصص في الدراسات القبطية، وكذلك السيد " برنمارت مورتيز "[٤٥] كمدير سابق للمكتبة الخديوية بالقاهرة وكعالم متمكن في اللغة العربية أيضًا، وفى غضون أربعة شهور من عملهم بمكتبة الدير، أمكنهم تصوير ما يقرب من ٨,٥٠٠ صورة منها ٥٠٠ شريحة تمثل مجموعة الفرمانات، وعادوا إلى القاهرة محملين بثلاثين حقيبة مليئة بتلك المواد التي تم تصويرها تحت حماية القنصل الألماني بالسويس " Ceorge Melneehe " لكن تجيء الرياح بما لا تشتهى السفن ! فقد اشتعلت الحرب العظمى الأولى. فأرغموا على بيع ٢٥ صندوقًا في مزاد اقيم في مدينة السويس، وبالنسبة إلى الخمس صناديق الأخري فقد تم أخذها للرئاسة العسكرية البريطانية في القاهرة ويتم للأسف تحطيمها ! على اعتبار أنها وثائق تخص الجاسوسية الألمانية [٤٦].

وبمجيء عام ١٩٤٠ ذهب " سوريال " إلى الدير في زيارة قصيرة حيث عثر في المكتبة على صندوقين مملوءين بالمخطوطات، بالإضافة لنحو ١٠٠ قطعة أخرى حفظت في أدراج المكتبة، وكانت تلك القطع ممهورة بالحبر الحديث إلى حد ما وأنها تخص العالمين السابقين وقدر " سوريال " مجموع تلك القطع التي وجدها جميعها بنحو

٥٠٠ مخطوطة من الوثائق العربية المتداخلة مع الوثائق العثمانية، وفى منتصف العام نفسه " يوليو ١٩٤٠ " وافق وزير المعارف " محمود فهمي النقراشي " على تصوير تلك الوثائق أو نسخها [٤٧]، ولكن عودة سحب الحرب العظمى للمرة الثانية أجلت المشروع حتى تتبدل الظروف نحو الأفضل. وبالفعل تضع الحرب أوزارها وتجئ الظروف الأفضل مع بعثة سنة ١٩٥٠ الشهيرة وبخاصة مع إنتقال المكتبة لمكانها الجديد، ووجدت البعثة أن كل المحاولات السابقة الخاصة بجرد وترتيب وفهرسة محتويات المكتبة كان يقتصر عملها على قوائم متواضعة جداً وغير دقيقة، فلم تصور تلك القوائم هذه المخطوطات تصويراً حقيقاً أما بالنسبة للقوائم اليونانية فكان تجهيزها من قبل البعثة بسيطاً للغاية، نظراً لوجود كتالوجات وقوائم منظمة قبلاً بواسطة علماء أمثال [٤٨]. Margret Gibson, Willam H.P. Hatvh, - Vladinirn. N.B & aesh – Evitch, Victor E. Gardausen

وهناك فهرس للمخطوطات السريانية في دير سانت كاترين صنفه أ. سميث – لويس بعنوان فهرس المخطوطات السريانية في دير سانت كاترين ونشر عام ١٨٥٤ في العدد الأول من مجلة دراسات سينوية [٤٩].

٢- الإنتاج الفكري والعلمي لرهبان الدير:

بعد محاولتنا الحثيثة لاستعراض محتويات المكتبة وقوائمها والإحصاء العددي للمخطوطات والوثائق والكتب المطبوعة بلغاتها المتعددة يتبقى التعريف بنتاج أعمال رهبان الدير وزواره من نواحي التأليف والنقل والتزين والتذهيب والتجميل وبداية يلاحظ أن غالبية تلك الأعمال سواء كانت كتابية خطية أو فنية " والصور المقدسة واللوحات الزيتية " دونت غالبيتها باليونانية، وإن كان الوضع قد تغير بعض الشيء مع مرور الزمن، وفى ظل ظروف معينة " الحركة الصليبية والهجمات التتارية المغولية " وجدت مخطوطات عديدة دونت باللغة العربية [٥٠]. وإذا كان الإنتاج الرهباني في

معظمة يتناول أموراً دينية بحتة، فهذا طبيعي ومنتظر من رهبان ودير في البرية، وقد تناولت المخطوطات العربية موضوعات مسيحية الطابع فهناك المجامع الكنسية، وموضوع الانشقاقات المذهبية ودوافعها وأسبابها، وكذلك المجامع المسكونية التي عقدت من أجلها والقرارات التي توصلت إليها [٥١].

كما أنتج الرهبان مخطوطات دينية تناولت مسألة الرهبنة والديرية وبخاصة الأعمال التي تناولت سير حياة وأقوال منظريها مثل " الأنبا باخوميوس " القديس بازيلى" يوحنا فم الذهب أو ذهبي الفم في الفترة من القرن العاشر إلى الثالث عشر الميلادي.

ومن المخطوطات المتفردة في مكتبة الدير، المخطوط المعنون " مجادلة الراهب ابنا جرجس مع المسلم في حضرة أمير المؤمنين " [٥٢]. وهناك مخطوطات تحدثت عن المنطق[٥٣] والطب [٥٤] وطرق الحساب "الأبقطى" وبخاصة الأعداد من عشرين إلى أربعين ألف باللغة العربية والقبطية [٥٥]. بالإضافة إلى المخطوطات الأخرى التي تناولت موضوعات تاريخية عامة كالمخطوط الذي تحدث عن "تاريخ سابور مع الروم[٥٦]" (وكتاب تاريخى يبدأ من ولادة موسى وينتهى بظهور الإسلام)[٥٧] وفى سبع ورقات وضع الرهبان مخطوطهم عن " تاريخ بناء الدير" [٥٨] في عام ١٨٢٥م وخط الرهبان في موضوعات أخرى مختلفة ومتنوعة، منها ما تناول العهد النبوي في نسخة باللغتين العربية والعثمانية [٥٩]، وسجل هام للمعاهدات التي أبرموها حتى عام ١٦٥٣ مع العربان المحيطين بهم [٦٠]. بالإضافة إلى دفتر للإيصالات [٦١] ودفتر آخر أسمته البعثة " دفتر أحوال[٦٢] بالعربية ". وإن لم يوجد للمخطوطات المقدسة " الكتاب المقدس " تاريخ محدد [٦٣]. وأثناء قراءتنا لبعض تلك المخطوطات وجدناها غالبا ما احتوت على تعليقات إضافية دخيلة، وتلك التعليقات إماً أنها:

١- تعليقات مؤرخة تكشف عن أسماء لأساقفة الدير[٦٤].

٢- تعليقات تفيد وقف المخطوط لصالح دير سانت كاترين[٦٥].

ومن الملاحظ كذلك أنه توجد بعض المخطوطات كتبت خارج الدير ثم نقلت إليه عن طريق الرهبان والزوار الذين جاءوا من بلادهم كآسيا الصغرى وبلاد اليونان، ويؤكد ذلك الافتراض وجود بعض المخطوطات أقدم من بناء الدير نفسه وأوضح مثال على ذلك "المصحف أو النسخة السينائية Codex Sinaiticus ".

وقد عانت مجموعة المخطوطات العربية كثيراً من سوء الحفظ ومن التحلل والتمزق والحشرات، وفتح الكثير من تلك المخطوطات للمرة الأولى بعد كتابتها في القرن الرابع عشر، أما المخطوطات اليونانية فقد وجدت في حالة جيدة متقنة الحفظ حيث استخدمها الرهبان مراراً وتكراراً [٦٦]. وكثيراً ما ذيل كتاب ومترجمو ومفسرو المخطوطات العربية كنيستهم مع نهاية المخطوطة " القلفون ".

ومن المخطوطات التي تناولت مسائل دينية بحتة المخطوط المسمى " بند مستارى " وهي صلوات تتلى يومياً حسب طقوس الكنيسة الأرثوزكية، وقد خطها الرهبان في صورة مقاطع، ثم يتحول المخطوط إلى نصوص لحنية دينية أى ترتيل دينى يسمى "البروصوعيات"[٦٧].وهناك المخطوط رقم (٢٧٠) الخاص بأباء الكنيسة. ويبدأ بفهرس للمحتويات ثم يتلوه اكسيماروس – والذي يتضمن قراءات كنيسية لكل يوم من أيام السنة– للقديس " باسيلوس الكبير " أسقف قيسارية والذي أتمه من بعدة أخوة القديس " أجريجوريوس " ثم تأتى النسكيات لباسيلوس ويعقب ذلك شذرات فرعية [٦٨].

وهناك المخطوط رقم (٢٧٥) وموضوعه كتب كنيسيـــــــة لخدمة القداس (اكطويخس)[٦٩] في حوالي القرن الثامن عشر، والمخطوط مجهول الناسخ خاصة وأنه لا يوجد به قلفون يحدد تاريخه أو مصدره أو محتواه يتناول الألحان

الثمانية، ونفس الموضوع نجده في عدة مخطوطات أخرى كالمخطوط رقم (٢٥٤) المؤرخ في ٥ / أغسطس ١٧٣٢م للكاتب " جرمانوس باسم كاهن " من مدينة بيت لحم [٧٠] – وتحتوى المكتبة كذلك على العديد من المخطوطات التي تناولت المزامير وتفسيرها بالإضافة إلى شروخ لأسفار العهد القديم، وقد كان رهبان الدير وزواره يتناولونها بالقراءة والنسخ [٧١] وللبروفيسور سوريال اكتشافات في مجال الألواح والمخطوطات العربية حينما ذهب للدير مع بعثة ١٩٥٠ كالمخطوط رقم (٥١٤ سيناء – عربي) وعنوانه ." ميامر لذهبي الفم ويعقوب السروجي " بالإضافة لبعض سير القديسين الآخرين في القرن التاسع. للناسخ "توما الدلماطي" وقد أسمته البعثة " بالمخطوط ابن البعثة الذي يقدر بمليون دولار "[٧٢].

وهناك المخطوط رقم (٥٨٨ سيناء. عربي) والذي كتب على الجلد بخط نسخي قديم يرجع للقرن العاشر الميلادى أو الحادى عشر، وموضوعه النبوات التي تقرأ طول السنة، وهو في الأصل مخطوط سرياني – عربي، والنص العربي عبارة عن مجموعة من الترانيم المقدسة والأمثال بالإضافة إلى بعض المخطوطات البابا وية المقدسة[٧٣].

وإذا كنا نتحدث في مجال الألواح العربية علينا أن نتذكر المخطوط رقم (١٥١ سيناء – عربي) والذي اشترك أكثر من واحد في ترجمته ومنهم " بشار بن السيري الذي ترجمه من السريانية إلى العربية كما أعلمنا بذلك من قلفون المخطوط. والمخطوط موضوعه "رسائل بولس والأعمال والكاثوليكيون، وتفاسير وشروح وتعليقات للعهد الجديد"، ويبدو أن ناسخ المخطوط قد تأثر بالثقافة العربية الإسلامية. فالناسخ كثيراً ما يستعمل جمل ومفردات ذات صبغة إسلامية مثل البسملة، كما يلاحظ مدى سعة وثقافة الناسخ. ففي ثنايا تعليقاته يضع مقارنات بين النصوص السريانية واليونانية للكتاب المقدس وتثبت قيمة ذلك المخطوط للمهتمين بدراسة النصوص المقدسة القديمة، وأيضًا تتأكد قيمته للمهتمين بدراسة مسيحي

الشرق الأدنى الأول وكيف فهموا وترجموا وفسروا الكتب المقدسة[٧٤]. وقد وجدت بعثة ١٩٥٠ الكثير من نتاج أيادي رهبان طور سيناء، فبالإضافة للمخطوطات هناك عدد هائل من الألواح والكثير من الأعمال الزيتية ممثلة للفن على مر عصوره، كما عثرت البعثة على بعض المخطوطات التي كان يظن أنها فقدت كالمخطوطات اليونانية الخاصة بالعهد الجديد، والعديد من الترجمات العربية القديمة للكتاب المقدس، وعلى النموذج القرآني في صحائف جلدية تعود للقرن التاسع، ولاحظت البعثة أن الورق الغليظ المستخدم في القرون ١١، ١٢، ١٣. الخاص بالمخطوطات من نوعية ورق البردي القبطي واليوناني. وأهم ما يلاحظ في مجموعة المخطوطات العربية نسبتها العالية من ناحية التاريخ والتي بلغت نحو ٢٤٠ مخطوطاً مؤرخاً.

وبخصوص مجموعة الصور المقدسة فالدير يحتوي على مجموعة هائلة يندر أن توجد في مكان آخر حيث تبلغ حوالي ٢٠٠٠ صورة تميزها الأنواع التالية:

- صور قديمة ذات طابع بيزنطي أصيل.
- صور ذات طابع شرقي فلسطيني أو مصري أو سوري (خاصة وأن الدير كان يتبع في فترة من تاريخه كرسي أورشليم القدس).
- صور صنعت في الدير نفسه واتخذت طابعاً بالدير بالرغم من أنها لم تكن من إبداع أو ابتكار رهبانه.
- صور لاتينية حملت للدير زمن " الحركة الصيبية " ولا يوجد ما يضاهي تلك الصور في متاحف أوربا حيث إنها تمتاز بالواقعية بعكس الفن البيزنطي الذي يميل أكثر لتمثيل العظمة.
- صور جورجية أو قوقازية. والعلاقات بين بلاد القوقاز والدير بالرغم من مرور حوالي ١٠٣٠ عامًا عليها لازالت غير واضحة المعالم[٧٥].

وقد سيطرت الموضوعات [٧٦] الدينية على الكثير من تلك الصور وبخاصة الأحداث الهامة التي في سيرة المسيح. وإن كانت قصة التجلي قد استحوذت على قدر أكبر من الصور، خاصة وأن مصدرها الأول كان " فسيفساء[٧٧] التجلي بقبو الهيكل وأحداثها يذكرها العهد الجديد "[٧٨]. وتحتوى المكتبة على مخطوط يوناني يضم صورة للتجلي كتب عليها " موسى يرى وجه الرب لأول مرة " وتوجد صورة التجلي الإلهي ومن أسفلها صورة للاثنى عشر حواري عند المذبح المقدس فوق حنية عالية وهي جميعها مصورة،كما توجد بداخل الحنية صورة أخرى لأربعة وعشرين نبيا أسفلهم كتابة بأحرف ستيخين[٧٩].

ومن نتاج الرهبان أيضًا مجموعة " المخطوطات المصورة"[٨٠] والتي منها مخطوط قام بنسخه الراهب المصري " كوزما " والمسمى بطبوغرافية العالم " حيث يعتقد بعض العلماء أنهم باتخاذهم صور كوزما في الطبوغرافية المسيحية فإنه أساسا لدراسة فن الإسكندرية الخاص بتنميق وتزين الكتب، وتناقش المخطوطة في سياق المقدمة "والاثنى عشر مقاله "المكونين لها مشقة البرهنة على أن الأرض مسطحة منبسطة مناهضاً بذلك ما توصل إليه علماء العصر الهلينستي من كرويتها، ولإثبات تلك النظرية نجد كوزما يجوب البحر المتوسط والأحمر والخليج الفارسي، أو كما يسميهم " الخلجان الثلاثة " وقام بتسجيل كل مشاهداته حتى أصبح لديه سجل جغرافي وتاريخي شامل[٨١].

والملاحظ أن كوزما في سياق إثباته لنظريته لم يخرج عن النزعة الدينية المسيطرة على غالبية آرائه فحينما يتحدث عن كسوف الشمس لا ينسى الكتب المقدسة حين يورد قصة الملك " حزقيا " عندما دعا الله أن يؤجل ميته ليعيش فترة أخرى وبالفعل على مسئولية الكتاب المقدس أضاف الله إلى حياته ١٥ سنة، وكانت علامة هذا أن رجعت الشمس عشر درجات من الدرجات التي نزلتها[٨٢].

ويرى " د. شنودة " أن القيمة الأثرية لذلك المخصوط تعود بالدرجة الأولى إلى ما يحتويه من رسومات تخطيطية وصور تباينت موضوعاتها مع تباين موضوعات النص، وأنه من خلال تحليله للصور، وجد أنه فيما عدا الرسوم التخطيطية الخاصة بشكل الكون الذي هو موضوع الكتاب المخطوط الرئيسي ثانها تحتوى على تفاصيل لم ترد في نص كتاب " كوزما " ويبدو أن الرسام قد نقل تلك الصور من مصادر أخرى لكتاب " كوزما "(٨٣).

وبالنسبة لمخطوط " سلم الفضائل " لكاتبه يوحنا رئيس الدير(٨٤) وقام بنسخ ورسم المخطوط " ثابت الخوري"(٨٥) وتحتوى مكتبة الدير على عدة نسخ من سلم الفضائل(٨٦)، ولكن المخطوط الذي بأيدينا يتميز بأنه الوحيد الذي يشمل على صورة للمؤلف وأخرى للسلم. كما يجدر التنويه بأن لغة المخطوط الأصلية هي اليونانية، ومن ثم ترجم إلى السريانية واللاتينية والأرمينية والروسية والإسبانية والإنجليزية والعربية، والنسخة السريانية هي أقدم تلك النسخ وتعود إلى عام ٨١٧م والنص اليوناني يرجع إلى القرن العاشر الميلادى(٨٧)، أما أقدم المخطوطات العربية للكتاب فترجع إلى القرن العاشر أيضًا، وموضوع المخطوط قائم على فكرة الصعود إلى السماء عن طريق سلم مع تعليمات وإرشادات للرهبان ليصبحوا بفضلها مهيئين للصعود إلى الفردوس، وتتضمن الرسالة ثلاثين مقالاً بعدد درجات السلم الواصل بين الأرض والسماء(٨٨).

كما ترك الرهبان مخطوطة " قصة أيوب " كمنسوخ مصور يحتوي على الترجمة اليونانية لسفر أيوب(٨٩).

وهناك عمل آخر مكمل للأعمال المصورة الأخرى وهو مخطوط " بستان الرهبان " والذي توجد منه نحو أربعين نسخة خطية (٩٠). وقد دون الرهبان في ذلك المخطوط سير وأخبار وتعاليم الرهبان والآباء الأول عن الكنيسة المسيحية. كما أنها

تلقى مزيداً من الضوء على الظروف التي أحاطت بنشأة الحركة الرهبانية وتطورها. كما ترجع أهميته أيضًا إلى أنه يحمل بعض أسماء رؤساء الدير والتي وجدت في قلفونات النسخ مثل " جرمانوس أرساني، داود النسياني"[٩١].

ويعتقد بعض الباحثين أن مخطوط " الفردوس العقلي" مكمل لبستان الرهبان من حيث إنه هو الذي يغذى عقول الرهبان وينظم لهم كل ما يتعلق بأمور الروح والنفس، وتحتفظ مكتبة الدير بخمس نسخ من ذلك المخطوط.

وفيما يتعلق بإنتاج الرهبان العلمي باللغات الأخرى. فإنهم لم يتركوا سوى مخطوط واحد باللغة اللاتينية يعود إلى القرن العاشر الميلادي[٩٢]، ويبدو أن المكتبة كانت تضم أكثر من مخطوط لاتيني استعملها الرهبان في حشو أغلفة المخطوطات اليونانية. ونفس الشيء بالنسبة للغة الأرمنية يوجد مخطوط واحد يعود للقرن الثامن عشر الميلادى[٩٣].وحينما كان " د. مراد كامل " يبحث في المخطوطات اليونانية عثر على مخطوطة في اللغة البولونية ترجع للقرن الثامن عشر[٩٤] وهي عبارة عن كتاب قوانين.

وهناك مخطوط واحد باللغة القبطية[٩٥] وآخر بالفارسية[٩٦].

وتشمل المجموعة الحبشية بمكتبة الدير مخطوطات كتبت على الرق، ويخيل لي أن هذه المخطوطات هي لرهبان عاشوا في الدير بدليل أن في بعضها صلوات يونانية بحروف حبشية، وبالمكتبة مخطوطات باللغة السلافوتيه لم تدرجها بعثه سنة ١٩٥٠، وقسمها د / مراد كامل إلى موضوعات، وأجزاء الكتاب المقدس، وأقوال الآباء، وكتب طقسية[٩٧].

وبالنسبة للمخطوطات المكتوبة باللغة الجورجانية فهى تبلغ ستة وثمانين مخطوطاً منها ٥٨ على الرق وواحدة على البردى والباقى على الورق. وقد ذكر بعض الرحالة أن رهبانا من جورجيا كانوا يسكنون بستان الدير الذي يقع بالقرب منه في

أول وادي الأربعين في القرن ١٦م. وقد نحى العلماء الذين زاروا الدير تلك المخطوطات جانباً إلى أن جاء " بورفيراو ستسكى " أحد رجال الدين الروسي ١٨٥٠م ووجد على أرضية كنيسة القديسين " كوزماس وداميان " عدداً كبيراً من المخطوطات اليونانية والأرمنية والجيورجية والأثورية " السريانية " والعربية والحبشية فدون منها نحو ١٧ وثيقة جورجية وأخذ معه عند مغادرته الدير ورقتين من المزامير على ورقة البردى. ومخطوطاً جورجيًا. وتلك الوثائق محفوظة الآن في دار الكتب بلينجراد.

ويلاحظ أن " تشيندروف " لم يكتف فقط بلاستيك الصحف السنائية بل استولى في رحلته الثالثة للدير، ١٨٥٩ على بعض المخطوطات الجورجية. وفى ١٨٦٥ زار " نوروف " أحد وزراء المعارف السابقين في روسيا الدير، وشاهد عدداً كبيراً من المخطوطات مخبأة في أحد الأركان، وطلبَ الاطلاع عليها فسارع رئيس الدير بنقلها إلى غرفته، فرأى مجموعة كبيرة من المخطوطات الجورجانية و٢ أو ٣ وثائق قبطية.

وفى عام ١٨٨٨ نشر الروسي (تساجارللي) قائمة المخطوطات الجورجية بالروسية إلى أن أعاد حصرها العالم (جيراد كاريتن) الأستاذ بجامعة لوفان ونشر كتابًا عنها عام ١٩٥٦ أكمل فيه ما نقص من أعمال سابقية[٩٨].

٣ – العلاقات الثقافية والاتصال العلمي:

لم نعثر في محفوظات الدير على وثائق توضح مدى العلاقة بين دير سانت كاترين وبقية الأديرة المصرية الأخرى. وبالتالي فلم تكن هناك علاقة من أي نوع بين الكنيستين المصرية " القبطية " وإبرشية جبل سيناء.

ويبدو أن ذلك عائد للخلافات المذهبية القائمة بين الكنيستين. فالأقباط يعتبرون الروم الأرثوذكسي في عداد الهراطقة. ونحن نعلم أن غالبية قاطنيَ الدير أن لم

يكن جميعهم يتبع المذهب الأرثوذكسي " اليوناني " وكذلك رهبان الدير غير راغبين بطبيعتهم – التي أسبغتها عليهم طبيعة المنطقة – في إقامة علاقات مع الزوار أو الطوائف الأخرى. باستثناء الكنائس والأديرة التابعة للإبراشية. وعموماً فقد سخروا تلك العلاقات لمنفعتهم قبل أي شيء خاصة وأن الدير لم يخضع لأي سلطة سياسية، بل أنه تمتع بمزايا وحريات أكبر أثناء الحكم الإسلامي لمصر. وإن وجدت في فترات معينة من تاريخه وصايات من قبل بعض الدول مثل روسيا في بداية العصور الحديثة، اليونان في العصور اللاحقة وحتى الآن. لكن وجد تطابق بين الكنيستين في مجال الإنتاج الأبي اللاهوتي، وكذلك الفني كالإيقونات أو الجداريات المرسومة على حوائط الكنائس.

وسوف نحاول في هذه المادة أن ندرس مسألة ما إذا كانت هناك علاقات بين الدير والأديرة الأخرى، وإذا كانت الإجابة بالإيجاب فإلي أي مدى كانت نواحي التأثير والتأثير في تلك الفترة من عمر الدير – فمن صنوف الاتصال الروسي بالدير ما زودنا به التاجر الموسكوفى " باسيل بوزنيكوف " B. Posniokoff بنص رسالة القيصر الروسي " إيفان الرهيب " بتحية البطريرك[٩٩] – إخباره بأنه " إيفان " تلقى رسالته التي كان قد أرسلها إليه مع رهبان جبل سيناء، وكما طلب من البطريرك أن يدعو له في صلواته، وأخبره بأنه أرسل مع " جونيناد " كبير شمامسة كنيسة القديسة صوفيا " ST. Sophie والتاجر بوزنيكوف أرسل معهما ألف قطعة ذهبية، وفراء زيليني مغطي بالقطيفة..... الخ[١٠٠] ويهمنا من تلك الرسالة وغيرها ما جاء فيها بشأن الاتصالات والزيارات التي كان يقوم بها بين الحين والآخر رهبان الدير للعالم المسيحي الشرقي، وما كان يستتبع ذلك بالضرورة من سبل انتقال واتصال للمعارف والثقافات الدينية والدنيوية.

وقبل ذلك. فتعتبر معجزة الاتصال أو الاستمرارية خلال العصور الوسطى ذات أهمية كبرى وإحدى مميزات الدير، ونحن نعلم أن الرهبان الذين كانوا يتحدثون

ويكتبون العربية كانوا قليلي العدد، وإن زاد عددهم بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر ٦٢٠م، ويعتقد " د. سوريال " بأنهم قد أتوا إلى سيناء في القرن الثامن الميلادى في أعداد كبيرة نسبياً واستمروا في التدفق حتى القرن الرابع عشر، ولأسباب لا يمكن تحديدها بدءوا في الابتعاد عن الدير وقلت منزلتهم إلى حد ما[١٠١] – وإن كنا نعتقد بأن الغزو المغولى للشرق وسقوط حاضرة الخلافة ببغداد ١٢٥٨م كانا مسئولين إلى حد بعيد عن استخدام العنف ضد الرهبان المتحدثين العربية في جبل سيناء، وهكذا فعندما وصل الزحف المغولي إلى الشام وفلسطين هرب رهبان تلك المناطق إلى دير سانت كاترين طلبا للحماية والنجاة من بطش المغول. وهذا السبب يفسر لنا أيضًا اكتمال المجموعة العربية في الدير فقد كان القرن الثالث عشر الميلادي هو العلامة الفارقة في النشاط الأدبي للرهبان والمخطوطات العربية، وبمجيء القرن الرابع عشر نجد الرهبان المتحدثين باليونانية والذين يعرفون القليل من اللغة العربية قد قاموا بتنحية المادة العربية وإبعادها لذا نجدها قد عانت كثيراً من سوء الحفظ. ومن بين المظاهر المؤيدة على الاتصال والعلاقات الثقافية بين مسيحي الشرق ورهبان الدير، هؤلاء الرهبان الشوام وما قاموا به كتابه وتراجم وتفسير لمخطوطات الدير العربية. وكانت العلاقات العلمية بين رهبان جبل سيناء ورهبان بيت المقدس قوية ونلاحظ ذلك من ثنايا المخطوطات التي نسخها ونقلها هؤلاء الآخرون[١٠٢]. وأيضًا في سبل الحديث حول العلاقات والتبادل الثقافي بين رهبان جبل سيناء والبطريركة الأرثوذكسية بالقدس ما أضافه الوثائقي اليوناني "بابا دو بولوس – كير أميوس" A. Papadopules. Ke laneus " في مجلده المعنون (منتجات من الوثائق المقدسة) والذي سماه اختصاراً باليونانية " الأناليكتا " Analcta[١٠٣].

ومن نواحي الاتصال الثقافي أيضًا وجود النسخة السريانية للتلاوات، والتي عثرت عليها التوءمتان " جبسون، لويس " أثناء زيارتها للدير في فراير ١٨٩٢م.وتعد التلاوات علامة مميزة على طريق الاتصال العلمي .فهي تحكي عن الشهيدات أو

مجموعة النساء القديسات، وتحوي الكتابة السفلية من المخطوط – القلفون –كمًا هائل من التلاوات السنوبتية.

ويلاحظ أن مواطن المخطوطات السريانية في مصر. توجد بدرجة كبيرة في دير سانت كاترين، ويرجع ذلك إلى قرب الدير من مناطق التجمعات السريانية في بلاد الشام والعراق، ولعدم انتشار هذا المذهب المسيحي في مصر. فغالبية المصريين يعتنقون المذهب الارثوذكسي .وعموماً فتلك المخطوطات توجد في تلك القائمة:

1- A. Smith – lewis., Gatalgue of the syriac mss. In the canvent of. St. Catherine on Maunt sinai (studia simaitical,) London. 1894.

2- G. GRAF., sinaitische Bibelfragmante, oc 12, 14 (1952) pp. 217 – 220.

3- W.D,MCHARDY., Disputes reading in the syr. Sinaitc palimpst, jts 45 (1944) pp. 170 -- 176.

4- M. KAMEL: catalogue of all manuscripts in the monastry of st. catharine of mount sinai, wiesbaden.

5- R. DRAGUET: Fregments L, Ambirasieme de milon a restueraux ma-nuscrits Syriaques De Sinai 46 ET 14 (Biblical And Patristic in Memory of R.P. Casey) Freibourg – 1963, pp. 167 – 178.

6- M.D. Gibson, Four Remarkable Sinai Mss (The [١٠٤]Expository Times, Vol, 13: Edinburgh 1901 – 1902).

٧– رسالة إلى رهبان دير طور سيناء " ليعقوب السروجي " نقلها من السريانية للعربية جرجس (برنابا) القس يوسف في النشرة السريانية، ع٤، سنة ١٩٤٧، ص١١٥ – ١١٧.[١٠٥]

ويبدو أنه كان للرهبان السريان آنذاك تأثير فعال ومؤثر على نواحي الفن الديري الموجود في إبرشية جبل سيناء.

كما أن علماء الفن البيزنطي قد وجدوا تشابها كبيراً بين الرسومات الشمعية الموجودة على الجدران في دير سانت كاترين. وبين بقية الأديرة الأخري الموجودة على ساحل البحر الأحمر وخاصة دير " آنبا أنطونيوس ".

وقد تعدت سبل الاتصال والتأثير الحقائق واتجهت بصورة أو بأخرى نحو الميثولوجيا– الأساطير – وبخاصة كيفية انتقال أسطورة كاترين نحو أوروبا. ففي النصف الأول من القرن الخامس عشر أقام النبيل الفرنسي "هوج دى مون". كنيسة بجانب قصره في منطقة " سارت " بفرنسا لتكريس ذكرى كاترينة.

ويقال عن تاريخ حياة " جان دارك " بطلة المقاومة الفرنسية أن كاترينة ظهرت لها وشجعتها على تحمل الموت استمرت في المقاومة حتى أعدمها الإنجليز في ١٤٣١/٥/٣٠م وانتشرت ذكراها في كل أنحاء أوروبا، حتى جرت العادة في بعض مدن فرنسا على أن يحتفل قسسها بإحياء ذاكرها على نفس الطريقة المتبعة آنذاك بواسطة الرهبان في سيناء وهي تسلق الجبال كل يوم أحد لإقامة القداس على ذكراها[١٠٦].

ومن صنوف الاتصال العلمي كذلك ما وجده الأكاديمي الروسى " أ.يو. كراتشكوفسكى " ١٨٨٣ – ١٩٥١ في قسم المخطوطات بمدينة بطرسبورج مجموعة من ورقات العالم تشيندروف وجد في نهايتها عبارة و "كتب سنة اثنتين وسبعين ومائتين بالتقويم العربي، وكتب هذا المخطوط أنبا انطونه البغدادي في دير القديس سابا واستكتبه أنبا إسحق لطور سيناء"[١٠٧].

ولئن كانت الصحراء قد فرقت بين البغدادي وبين رهبان الدير، إلا أنها لم تستطع أن تقطع صداقة التبادل الأدبي والعلمي بينهم وبينه، كما أن القبائل البدوية لم تستطيع أن تقع سبيل هذه المخطوطات، ولا أن تحول دون انتقالها من فلسطين إلى سيناء.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد عثرنا على بعض المخطوطات العربية التي كتبها الرهبان في الدير، وجدناها قد انتقلت وحفظت في دير "مارهنام" على بعد ٣٥ كم جنوبي موصل العراق، ومنها المخطوط المسمى "بوق السماء" وهو مختصر أباطيل، العالم وكتاب "الإقتداء بالمسيح" وقد حدا بالمترجم غيرته على المصريين الذين ابتعدوا عن التوبة إلى تعريب الكتاب من أصله اللاتيني أو الإيطالي، وكان ذلك عن طريق "البادري يوسف الفرنساوى"– من رواى من رهبنة الأخوة الأصغرين الفرنسيسكان الكبوشين – تحت رئاسة رئيس دير سانت كاترين سنة ١٧١٧م، والمخطوط الآخر عنوانه " كتاب الجوهرة النفيسة في لوزام الكنيسة" لمؤلفة الراهب "كيروفافليطس رودينس القبرسي السينائى" – ومن الروم الأرثوذكس – أما الخطاط فهو المدعو إلياس بن الفخر المشهور بن الفخر الطرابلسي الأصل والوطن والملكي الأرثوذكسة الملة والسنن ١٧١٥م[١٠٨].

وكان القرن التاسع عشر بإدارة للبحث العلمي الدقيق سواء من الناحية الطبوغرافية والتاريخية والآثارية، وكان مصدر الاهتمام ما احتواه الدير من الوثائق الكفيلة بإلقاء الأضواء على كثير من النقاط الغامضة في تاريخ سيناء وديرها.

وفى الحقيقة يصعب علينا عمل حصر شامل لهؤلاء العلماء والزوار الذين أثروا المكتبة العالمية بدراساهم وأبحاثهم الجادة عن مخطوطات وكنوز فنية وشواهد معمارية خالدة.

فمن الأفراد الذين زاروا الدير يعتبر تردد العالم الهولندى "بوركهارت" على دير سانت كاترين في القرن التاسع عشر وبخاصة المرة الأولى ١٨١٦،الثانية سنة ١٨٢٣م حيث زاره بصحبة معاونية "تشارلز تالكنستين ومرتين برسكاني يعتبر ذلك بمثابة أول توجه علمي نحو دراسة الوثائق والمخطوطات المحفوظة بالدير.

ولقد بدأ بفحص المجموعة اليونانية ثم نحو سبعمائة وثيقة عربي، رأى فيها كتاب "حكم لقمان" تأليف هرمس المثلث وغيره من الكنوز.

وفى سنة ١٧٦١ كانت البعثه الداغراكية بقيادة G. Niebuhr ١٧٣٣ – ١٨١٥ والتي كانت وجهتها الرسمية جنوبي الجزيرة العربية، ولكنها في طريقها قامت بأبحاث جغرافية وأثرية وجغرافية وطبيعية في سينا ودير سانت كاترين، ونشرت أعمال البعثة في كوبنهاجن سنة ١٧٧٢م – وسنة ١٧٧٤م(١٠٩).

وفى سنة ١٨٤٥م نجح تشيندروف – كما أوضحنا – في إتمام دراسة المخطوطات الموجودة بالدير، وظلت باقية بداخله حتى ١٨٥٩، وفى ١٨٦٥م زار المكتبة السيد "نورق" أحد وزراء المعارف السابقين في روسيا القيصرية.

وفى ١٨٧٠م وضع أحد رجال الدين الروسي انطونين Antoinine قائمة للمخطوطات اليونانية التي لم تنشر بعد، ولقد استفاد منها العالم جاردهاوس Gardenhouse عندما وضع قائمة جديدة سنة ١٨٦٦م اكتفى فيها بنسخ قائمة أنطونين السابقة (١١٠)، ومما يلفت النظر أنه من بين الـــ ١٣١٠ وثيقة التي دونها أنطونين لم يعثر منها إلا على ١٢٢٣ فقط ويبُدو أن الباقي قد فقد أو حرق أو لم يعثر عليه حتى الآن.

ومع نهاية القرن التاسع عشر تأتى البعثة الروسية برئاسة "بورفيريوس أوسبنسكي"(١١١) لمواصلة الأعمال البحثية في مخطوطات الدير، إلى أن كانت ١٩١٧م وتأتى البعثة الألمانية من قبل الأكاديمية البروسية للعلوم Die Preussisch Akadamie der wissenshaft puru ssian: بقيادة كل من كارل شميدت وبرهارت موريتز".

وفى ديسمبر من عام ١٩٢٢ زارت الدير بعثه يمكن أن نصفها بالبعثة النسائية، وإن كان ذلك راجع لغلبة العنصر النسائي المشترك في تلك البعثة، وكانت تحت قيادة "ريندل هاريس" Rendel Harris(١١٢) المتخصص في الدراسات الشرقية، وبصحبته نحو ستة عشر فرداً منهم المتخصص في التصوير الفوتوغرافي

والمختص بفحص المخطوطات العربية أو نسخ اللوحات الزيتية، ومنهم من تخصص في دراسات العهد القديم، والدراسات اليونانية والبعض الآخر كان على دراية باللغة العربية ومخطوطاتها، بالإضافة إلى طبيبة شاءت ظروفها أن تعالج أحد المرضى الرهبان، وأخرى لإعداد الطعام وحياكة الملابس وجلب الماء وخلافه.

وقد اكتشفت البعثة بعض المخطوطات والتلاوات السينابتية Synoptic cospels وكتاب مصور للرهبان من أجيال عديدة لمؤلفه كوزما البحار(١١٤).

وقد سارت أعمال البعثة وفقًا لعادات وتقاليد الأختين "جيبسون وأجنس لويس" اللتين زارتا الدير ست مرات من قبل.

وبمجيء عام ١٩٤٠ تزور الدير بعثة مصرية بقيادة العالم الجليل "محمد شفيق غربال" وبصحبته مجموعة من علماء كلية الآداب بالقاهرة، وفيهم الأستاذ عزيز سوريال عطية، والبعثة كانت برعاية محمود فهمي النقراشي باشا الذي أصبح وزيراً للمعارف رئيسًا للوزراء بعد ذلك، ولكن ظروف اندلاع الحرب العظمى حالت دون إتمام عمل البعثة فقفلت عائدة للقاهرة(١١٥).

إلي أن جاءت الفترة الواقعة بين عامي ٤٧ – ١٩٤٨م عندما زارت سيناء إحدى البعثات العلمية الأمريكية من جامعة كاليفورنيا "والبعثة الإفريقية الأمريكية"، وصحبهم من مصر الأستاذ سليمان حزين، وقد ظهرت شذرات لأعمال تلك البعثة فيما كتبه كل من ولبرايت(١١٦). ووندل فيلبس الرئيس المناوب للمؤسسة الأمريكية للإنسان والذي رأس بعثه ٥٠ – ١٥١م الشهيرة، وقد صاحب تلك البعثة الانثربولوجي الشهير هنري فيلد صاحب كتاب " Contribution to "Anthropogy of the Fauigum, sinai, sudan, Kanya, 1952 ونجد في ذلك المؤلف بياناً بأسماء الأبحاث التي نشرها الأعضاء الآخرون من جامعة كاليفورنيا لدراسة الإنسان(١١٧).

وقد استطلعت البعثة كنوز المكتبة، وهالها ما شاهدته من كم وكيف تلك الكنوز، فتولدت فكرة قيام بعثة أخرى لتصوير مخطوطات الدير بواسطة الميكروفيلم، ومن ثم أخذ وندل فيلبس يفاوض مطران الدير في ذلك الوقت "بورفيريوس"[١١٨] ومجلس الرهبان في ذلك المشروع، ولكن دون جدوى لخوف الرهبان من تكرار مأساة تشيندروف، وظل الموضوع معلقاً إلى أن لجأ فيليبس إلى مدير جامعة الإسكندرية آنذاك محمد صادق جوهر للبحث عن طريقة لتنفيذه، فاستدعى مدير الجامعة "د/ سوريال" والذي كانت تربطه بمطران رئيس الدير في القاهرة صلات طيبة، وبالفعل. في مطلع عيد ميلاد سنة ١٩٤٨م تأتي الموافقة الجماعية من "مكتبة الكونجرس بواشنطون، جامعة فاروق الأول، المؤسسة الأمريكية لدراسة دراسات الإنسان، إبراشية جبل سيناء،البطريركية الأرثوذكسية اليونانية بالقاهرة، البطريركية الأرمنية بالقاهرة،البطريركية الآثوذكسية اليونانية بالقدس،المدارس الأمريكية للبحث الشرقي، وزارة المعارف المصرية،بعض العلماء......).

وكان محرر القسم اليوناني لمخطوطات الدير الدكتور كنيث كلارك KENNETH W. Clark وبمساعدة زوجته، والدكتور هيوارد كي Haward Kee وأخاه من جامعة بل، وبالنسبة للمجموعة العربية كان محررها الرئيس الدكتور سوريال، وساعده في فترات متقاربة كل من السيد أحمد عيسى قيم مكتبة جامعة فؤاد الأول، والسيد يسي عبدالمسيح قيم مكتبة المتحف القبطي بالقاهرة والعالم الكنسي الكبير، والدكتور أحمد فكرى والدكتور سامي شنودة من جامعة فاروق الأول، بالإضافة إلى جيراد كارتي GERARD. GARITTE من جامعة ليفون كمحرر لمجموعة المخطوطات السريانية والجورجية والسولفونية، وبخصوص المجموعة الأثيوبية والقبطية فقد كان محررها د. مراد كامل من جامعة فؤاد الأول، وقد حازت مجموعة الوثائق العثمانية اهتماماً خاصاً من قبل د/ سوريال ومساعده أحمد عيسى إبراهيم صبري من جامعة فاروق الأول كما كان هناك علماء آخرون

زاروا البعثة على فترات واشتركوا في بعض أعمالها كالأساتذة عبد الحميد العبادي، يني صبحي لبيب، سعودى – ورشيد حربي وتوفيق و (نعتقد أنه الأستاذ محمد توفيق) – ولقد كان الحدث كبيراً والعمل باهراً وعظيماً بحق[١٢٣].

ومع حلول عام ١٩٢٥، انتظمت البعثة في نحو خمسة وعشرين عالماً ومساعداً فنياً ومصوراً، وقافلة من عربات النقل المحملة بالزاد والأدوات الفنية القادمة من أمريكا... وبدأ العمل الجاد.

ويلاحظ أنه كان لفقدان دخل الدير أو نقصه من البلقان – نتيجة للحرب العظمى – أن وُضع الدير في مأزق مالي صعب. مما دفع القائمين على إدارته إلى قبول مساهمة المؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان بمبلغ عشرة آلاف دولار، بالإضافة للمشاركات الشخصية من قبل الموثوق بهم من ناحية رئيس الدير، وكذلك كان هدف البعثة المعلن الحفاظ على محتويات المكتبة بطريقة جيدة. كل هذا وغيره أدى في النهاية لموافقة الدير على عمل البعثة.

ولقد كان غرض هذه البعثة ليس اكتشاف مواد جديدة، وإنما نقل تلك المواد غير المعروفة للعلماء عن تلك المكتبة العظيمة، وبفضل جهود علماء تلك البعثة، انتقلت سيناء– وديرها – إلى أماكن مختلفة من العالم..... واستمر عمل البعثة بجد حتى كان يوم ١٩٥٣/٧/١٢ م، حينما قدم السفير الامريكي. "جيفر سون جيفري" في احتفال خاص كنائب عن مكتبة الكونجرس والمؤسسة الأمريكية لدراسة الإنسان مجموعة كاملة[١٢٤] من الميكروفيلم – أكثر من ٢ مليون مخطوط ووثيقة – إلى مكتبة جامعة الإسكندرية، وفى فترة لاحقة قامت جامعة الدول العربية بالمساهمة في إرسال بعثة من الأساتذة المصريين لعمل سجل كامل للوثائق وتقسيمها وتصنيفها وفهرستها وترتيبها وهذا ما قام به د/ مراد كامل بالفعل[١٢٥].

ثم تتابعت البعثات المشتركة بين جامعات برنستون ومتشجان والإسكندرية وتم تسجيل الجزء الأكبر من عمل المجموعة الفنية والصور المقدسة في ربيع سنة

١٩٥٨، وعادت البعثة تلك للدير لمدة ثلاث مرات أخرى في السنوات ٦٠، ٦٢، ١٩٦٣ وتكونت البعثة من نحو ثمانية علماء[١٢٧].

وغمر النسيان الدير لمدة طويلة، فقد تعاقبت الحروب العربية الإسرائيلية منذ ٤٨ وحتى ١٩٧٣ في سيناء مسرح العمليات، وكان للحروب أو نتائجها أكبر الأثر في قلة الجهود العلمية، وقد حاول الإسرائيليون أثناء احتلالهم لسيناء الدخول في برامج علمية[١٢٨] وبحثية مع رهبان الدير. ولكنهم لم ينجحوا لعزوف الرهبان عن التعامل مع الاحتلال الإسرائيلي.

وأخيراً كانت البعثة اليونانية في السبعينيات برئاسة البروفيسور نيس ميمارس ونخبة من المختصين اليونانيين في مجال المخطوطات اليونانية والعربية اليدوية، ومكثوا بعض الوقت على فترات متقطعة منذ ١٩٧٢ وحتى ١٩٧٥، وكللت جهودهم بإصدراهم كتالوجاً بالمخطوطات التي اكتشوفها حديثاً، ونشر الكاتالوج برعاية الهيئة القومية اليونانية للبحوث سنة ١٩٨٤ باللغة اليونانية.

حواشي الفصل الرابع

(١) هذا أول وصف للمكتبة يأتينا من قبل أحد الزوار العرب " خليل صباغ " سنة ١٧٥٣م، نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢١٨: مراد كامل، كنوز دير مكتبة القديسة كاترين.....، ص ١٣٣.

(٢) Atiya; the Arabic treasures of the convent ....,P. 7, Forsyth; Iland of Faith....., p. 88; Weitz Man; Mount Sinai's........, P P. 109, 132. مراد كامل، كنوز مكتبة القديسة،... ص ١٣١

(٣) BASSILI, OP. CIT., P. 62, Dobson; Op. Cit., P. 62.

(٥) ج. كوتل، المصدر السابق، ص١٠٩.

(٦) بنتلى، المرجع السابق "، ص ٤١-٤٢.

(٧) أحمد شفيق، المرجع السابق، ص١٨.

(٨) مرقص سميكة، المرجع السابق، ص١٠٠.

(٩) Glark;Op.Cit.,P.Ix.

(١١) من الصعب تصديق الرواية التي سردها " تشيندروف " عندما قال أنه عثر على المخطوطات الثلاث والاربعين في سلة المهملات وأنها كانت بوضع جيد، وهكذا فتشيندروف بذل قصارى جهده للبرهنة على أن مالكى المخطوطة الأصليين غير مؤهلين للإحتفاظ بالمخطوطة ولم يعترف بالجهد الذي بذله رهبان الدير للحفاظ على تلك المخطوطة النفيسة طيلة تلك القرون، وعلى العموم فالمخطوط السينائي ترجع أهميته بالدرجة الأولى إلى مطابقته أو عدم مطابقته لاحداث سيرة المسيح كما دونت في الاناجيل الاربعة الأخرى، كما أنه مختلف عن نص الكتاب المقدس الانجليكانى، بالاضافة لأن الانجيل السنائى ينتهى قبل انجيل مرقس بنحو أثنى عشر آية. والأهم أن تشيندروف قد أثبت أن الآيات من التاسع وحتى العشرون عند مرقس هي موضوعه، للمزيد من التفصيلات انظر: بنتلى، المرجع السابق، ص ٧٨، ٨١، ١١٥.

(١٢) للمزيد من التفصيلات حول مسألة تشيندروف ورهبان الدير انظر: نعوم شقير، المرجع السابق، ص٢١٩ ; أحمد فخرى، المرجع السابق، ص ١٢١ – ١٢٢، بيرمينوف، المرجع

السابق، ص١٨٤، افالجلوس، المرجع السابق، ص٣٢ ; رؤوف حبيب، المرجـــع الســـابق، ص٧-٨، الهلال، المرجع السابق، ص٥٤، عزيز سوريال عطية، الفهارس التحليلة، ص ١١ - ١٢.

- Forsyth; island of Faith ...., P. 88; Bassili, Op. Cit., P. 110, Weitzman; Mount Sinai's ...., PP. 89. جون الدر، الاحجار تتكلم على الآثار يؤيد الكتاب المقدس: ت: عزت زكى (المجمع المسيحى للـــشرق الأدنى، د.ت) ص ١٢٧- ١٢٩.

(١٣) Atiya; the Monastery of St. Catherine ...., P. 5.

(١٤) قاسم عبده قاسم، دراسة وتحقيق للوثيقة......، ص٢٥٨.

(١٥) عبد اللطيف إبراهيم، في مكتبة دير سانت كاترين، في مجلة جامعة أو درمـــان الاســـلامية بالخرطوم، ع١، سنة ١٩٦٨، ص ١٦٨.

(١٦) جمال الخولى، الأرشيف الحديث في مصر (رسالة دكتوراه غير منـــشورة، آداب القـــاهرة، ١٩٨٤)، ص٣٦٤، ٣٦٥.

- J. N. YOUSSEF" New Lichts on the arabic Monusgripts in the Library of the, Monastery of st Catharine in sinai. No 588. (Alex, 1985) P. 2.

(١٧) وعلى مسئولية د / سوريال فإن اجمالى عدد المخطوطات والمجلدات CODIGS المجمعـــة معاً تقع في نحو ٥٠٠٠ قطعة بثنى عشر لغة.

(١٨) عام ١٩٧٥ عثرت البعثة اليونانية على مجموعة جديدة من المخطوطات والوثائق بلغت مائة وخمسة وخمسون مخطوطاً عربياً، وثلاث مائة وخمس وأربعون وثيقة عربية. كتبوا في الفترة ما بين اعوام ٨٥٩م-١٢٩٦م، كانوا محفوظين في مكان خاص لحفظ المخطوطات التي تقادمت أو استهلكت، وبعضها كان بدون تنقيط، وغالبية موضوعاتها لا هوتى وكنسى عدا مجلـــدين طبين، ونصوص من العهدين وكتابات الآباء وعظات ورسائل ذات مضمون دينى وقـــصص الشهداء وكتب السواعى وكتب حكم وفلسفة وقصائد أدبية وطرق حساب أيـــام الـــصيام والاعياد.... وموضوعات أخرى وهاك عنوانين بعض تلك المخطوطات (المقالة التاســـعة في الجزء الأول من كتاب كامل الصناعة الطبية المعروف بالملكى ولله الحمـــد كتبـــه (كـــذا) المعروف بأبي أبو الوفا الطبيب (كذا...) وهو يسأل الله مونه.....)، (فصل مـــن رســـالة

بولس للعبرانين، بشارة يوحنا المبشر حبس على كنيسة الفقرة مالا أحد سلطان يخرجه....) كما إحتوت بعض تلك المخطوطات على ملاحظات وتذكارات شخصية (حضر في هذا المكان المبارك العبد الفقير إلى الله تعالى المتوسلإليه فيغفر جميع ذنوبه وذنوب جميع الخطاة بشفاعة الست السيدة الطاهرة وشفاعتها تحفظنا أمين وهو يحنا ابن تدرين الترجمانى عفى الله ولجميع ابناء المعمودية)، كما وجدت مخطوطة وقف على ديـر سانت كاترين (هذا السنسكارى وقف على طور سينا المقدس فما لأحد سلطان من الله يغيره عن الموضع) انظر: عادل سليم " المخطوطات اليدوية العربية بدير سانت كاترين" محاضرة في مؤتمر كنوز سيناء، المؤسسة الثقافية اليونانية، ٢٢ نوفمبر ١٩٩٦ (باليونانية والعربية).

(١٩) بنتلى، المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢٠) W. FELPss; introduction. In: Atiya; the arabic Monusgripts ...., P. 7.

(٢١) Atiya ; the Monastary of st. Catherin Mount Sinai, Cairo, 1950, P. 5.

(٢٢) أحمد أحمد حسين، الوثائق التاريخية (القاهرة: د.ن، ١٩٥٤) ص ١٠١ – ١٠٢، مراد كامل، فهرست، ص ١٣١ – ١٩٣، ١٩٧ – ٢٣٣، عزيز سوريال، المرجع السابق، ص١٣ ; الموسوعة المصرية، جـ٢، مادة سانت كاترين، ص ٩٤٦ ; وفيما يختص بعدد الوثائق العثمانية فإن مراد كامل وجوزيف نسيم يجعلها ٦٧٠ وثيقة.

(٢٣) المراسيم: جمع مرسوم، اخذ من قولهم (رسمت له كذا فإرتسمته إذا إمتثله) انظر: القلقشندى، صبح الاعشى جـ١١، ص ٢٠٧، محمد قنديل البقلي، المرجع السابق، ص ٣٠٧.

(٢٤) التواقيع: في اللغة معناه التأثير الخفيف في إصطلاح الاقدمين من الكتاب أنه اسم لما يكتب في حواشي القصص كخط الخليفة أو الوزير ثم أصبح يطلق على خط كاتب السر ثم صار يطلق على نوع خاص مما يكتب في الولايات. انظر القلقشندى، المصدر السابق، جـ١١، ص١١٤، وعن اقسام التواقيع انظر نفس المصدر، ص١٢٢–١٢٣.

(٢٥) المثال: أمردون الفرمان والمنشور، استعمله سلاجقة الروم، واستعملة ايضاً الايلخانيون وكان المثال في العصر المملوكي أمراً يصدر عن ديوان الجيش بمنح اقطاع أو بتحويل أو

بإعادته أو بزيادته والظاهر في أصل التسمية أنه كان يحرر بترتيب خاص، وأما عند العثمانين فلم يكن يفرق بين المثال والفرمان والتوقيع والنشان، بل ربما جمع بين الفرمـــان والمثـــال في عبارة واحدة. انظر: أحمد السعيد سليمان، تأصيل ماورد في تاريخ الجبرتى مـــن الـــدخيل (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩) ص ١٨٣-١٨٤.

(٢٦) والفرمانات معظمها خاص بحماية الدير والمقيمين بداخله من قـساوسة ورهبـــان، وهـــي تكشف عن تاريخ الدير إبان حقبة هامة من تاريخ مصر، وعـــدد تلـــك الفرمانـــات ٢٢٠ صدرت في الفترة من ٨٦٧م وحتى ١٥١٣م ويمتاز أغلبها بالناحيـــة الـــشكلية بالتـــذهيب الكامل. انظر: محمد أحمد حسين، المرجع السابق، ص١٠١ – ١٠٢

(٢٧) علم الديلوماتيك: هو علم تحقيـــق الوثـــائق: انظـــر: ســـالم عبـــود الآلوســـى، علـــم الدبلوماتيـــــك (بغداد،١٩٧٧)

(٢٨)) جمال الخولى، المرجع السابق، ص٣٦٤، ويختلف مع المؤلف في تلك المسألة لأنـــه هنـــاك وثائق بقالدير وجدت مؤرخة حتى عام ١٨٨٨م وبخاصة في ٧ مارس ١٨٨٨م، بل وصـــلت للقرن العشرين.

(٢٩) Atiy, the Arapic threasures ……, P. 9.

(٣٠) انظر: المخطوط رقم ٣٥٣ سيناء – عربي في ٢٠ ذى القعـــدة ٩٢٧هـــــ / ١ نـــوفمبر ١٥٢١م في نحو ٤١١ صفحة، وهو يتحدث عن ميامر وعظية." بيوس الاسقيطى – ميـــامر لأفرام وذهبي الفم – اقوال رهبان " المخطوط رقم ١٤٩ ســـيناء – عـــربي في ٢٣ مـــارس ١٤١٣م في ٩٨ صفحة ويتحدث عن قراءات من الرسائل والاناجيل ويحتوي على بعـــض الصفحات باليونانية. انظر: مراد كامل، فهرست....، ص ٤١، ٦٨ ;

Atiya; The Arapic Treasures ……, P. 14, ------, The Arapic Manusgripts ….., PP. XXX, 6, 10.

(٣١) عن المذابح التي تعرض لها رهبان الدير انظر: المخطوط رقم ٣٥١ سيناء – عربي – كتـــب في ١٦٣م وأكمل في القرن الثالث عشر الميلادي.

(٣٢) الباب العالى: أطلق على المقر الرسمى الذي أقام فيه الصدور العظام في الدولة العثمانية عدة اسماء منها الباب الأصفر، سراى الباشا، باب الصدر الأعظم، واحياناً كانت تطلـــق كلمـــة الباب فحسب للتعبير عن هذا المقر ثم ما لبث أن تغير بعد عهد. السلطان " عبـــد الحميـــد

الأول ١٧٧٤ – ١٧٨٩ " م. فأطلق عليه اسم الباب العالي، وقد وجد هذا إستحساناً من الاجانب فظل يطلق عليه حتى انتهاء الدولة العثمانية. انظر محمد عبد الرحمن برج، " مصر في الارشيف العثماني " في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م٥٧، ١٩٩٣، ص٣٠.

(٣٣) Atiya, the Arabic Monuscrips ...., P. XXX I.

(٣٤) انظر: هانز روبرت رويمر، " وثائق التاريخ المصرى في العصر الاسلامى، عرض عام للمجهودات التي بذلت في هذا الميدان " ت: لطفي عبد الوهاب يحي، في مجلة كلية الآداب، جامعة الاسكندرية، م١٤، سنة ١٩٦٠، ص٢١٢.

(٣٥) برنهارت موريتس ١٨٥٩ – ١٩٣٩ مدير مكتبة المعهد الشرقي ببرلين، مدير دار الكتب الوطنية بالقاهرة (١٨٩٦ – ١٩١٤) انظر نجيب العقيقي، المستشرقون، جـ٢ . القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠) ص٤٠٦، كان موريتس قد نشر خطاب النبي (ص) المزعوم كذا بعض مراسيم السلطان قايتباى في ثنايا دراسته بالألمانية – لم نستطيع الإطلاع عليها – إعتماداً على وثائق ومحفوظات الدير، وعنوان تلك الرسالة: Beitragezur ceshichte des Sinai – Klesters in Mittelalter Macharabischaften. Jahrgang 1918. Phil. Hist. Klone. NR. 4.

(٣٦) .Atiya., Op. Cit, P. 91

(٣٧) هانزرويمر، المرجع السابق، ص ٢١٢ – ٢١٣.

(٣٨) Atiya, Op. Cit., P. XXIX.

(٣٩) للمزيد من التفصيلات حول مجموعة الوثائق العثمانية. انظر مراد كامل، المرجع السابق، ص ١٩٧-٢٣٣ Clark, Op. Cit., PP. Vi, 38, ATIYA; Op. Cit, P. 8

(٤٠) كتب المخطوطات السنائية بعدة خطوط منها. تعليق عادى – رقعة عادى – كوفى جيد متسق كوفى عادى – نستعليق – نسخى بالبنط الصغير الجيد – تعليق متسق – نصف رقعة – نصف نسخ – كوفى عتيق – كوفى ممتاز – وسط بين الكوفى والنسخ العتيق – نسخى جيد – نسخى متأخر...... الخ.

(٤١) القلفون **Colophen** كلمات تأتى في نهاية المخطوط تشتمل على اسم الناسخ وزمان ومكان النسخ.

(٤٢) انظــر: Bassili, Op. Cit., P. 111. , W. Falepss, Op. Cit, P. Xi; Rabino, Le Manastere Desaint – Catherine ….. , PP. 69, 109 – 132, Forsyth, iland of faith …., P. 88.

(٤٣) (قد طالع في هذا الكتاب الشريف العبد الخاطئ الذليل وهبه الله ابن الخورى ســبيريدون صروف الدمشقى وطناً الاثوداكسى مذباً (كذا) وذلك سنة الف وثمانمائة وسبعين للتجســد الالهى حين زار هذا الدير برفقة قدسى الارسمندريتى (كذا) الروسى انضوينى رئيس الــسفارة الروحية في اورشليم. وقد رتبنا المكتبة السنائية، ووضعنا اعداداً لكتبها وقائمة. واطلب ممــن اطلع على هذه الاسطر أن يدعو لى بمغفرة المآثم) انظر:

- M. staal, Mt. Sinai Arabic codex 151. enclish text, belgique, 1985, PP. V – IX.

(٤٤) جيبسون، مرجريت دنلوب ١٨٤٣ – ١٩٢٦ وضعت فهرساً بالإنجليزية للمخطوطــات العربية في الدير صنفت فيه ٦٢٨ مخطوطاً من بين ٧٠٠ مخطوط هي جملة مــا توصــلتإليه (لندن ١٨٩٤)، وقد اتمها دكتور " شميدت " فوصف مخطوط الدير الشرقية بما فيها اليونانية والقبطية والعربية (برلين ١٩١٤) وعنوان فهرس جيبسون هو: Gibson. Marjaret. D., " Catalogue Arabic Manuscripts in the convent of st. Katherine on mount sinai, " studia sinitica , N. 111, Lon Don, 1894.

انظر: العقيقى، المرجع السابق، جــ٢، ص٧٠.

(٤٥) وقد نشر كل من " موريتز وشميدت " فهرس لبعض مخطوطات ووثائق دير سانت كــاترين في مؤلفهم:

Schmidt, G. and B. Moritz; Die sinai – Expedition .in Fiihyahr 1914.

Sitzung sberighte des preussischen akademie der Wissenschaftan, Casantsit Zung van4 Mars 1929, VIII-Moritz published Se perately Butrace wr caschich te des sinai – Klostors in Mittelater nach Arapisehan ouellen, Aphandlungen Der Konigl. Akadenie Der Uinensehaftes. Jahrgang 1918, phil Hist, Klon – No 4 , Berlin, 1981. Op. Atiya,Cit P. Xxi

(٤٧) يذكر أنه في عام ١٩٢٥ صدر في القاهرة دليل للكتب (فقط) المحفوظة بمكتبة الدير، يقع في نحو أربع وتسعون صحيفة، انظر: عايدة إبراهيم نصير، الكتب العربية التي نشرت في مصر بين عامي ١٩٠٠ – ١٩٢٥ (القاهرة: الجامعة الامريكية، ١٩٨٣)، ص٤.

(٤٨) عن أهم الأعمال في مجال فهرسة مكتبة الدير انظر: 1- Hjelt. A. (Ed); syrus sinaiticus helsingfors, 1930.

2- Hatch, W. H. P; The Creek Monuscripts of the New testament At Mount Sinai, Paris,1932.

3- Tischendorff; Godex sinaiticus The Ancient Biblical Monuscript now in The British Museum, Thischendorff's story and argument related by him, self, londo, 1934.

4- VLADIMIR; Beneshevitch; catalogus codicum, qui in Monasterio sanctae catherinaein Monte sina asservantur. IMss described by ouspenshi – 111. 1codices UR. 1224-2150 signat. Petrograd, 1911 and 1914.

5- Victor. Cordthousen, catalogus codicumgrae calum sinaiticorum, oxford, 1886.

6- WILBAM. Henry. Paine hatch; the creek manuscripts of the New testament at Mount Sinai. Paris, 1932.

7- Nikolaita. Marr; opisanie qruzinskikh. Rukopisei sinaiskago Monastyr-ia, Moscow, 1940.

(٤٩) انظر: أنطون بلومشتارك، " مقدمة في تاريخ الأدب السرياني " ت. خالد اسماعيل في مجلة المجمع العلمي العراقي هيئة اللغة السريانية، مج٦، سنة ٨١–١٩٨٢م، ص ٣٩٣.

(٥٠) يبلغ عدد المخطوطات العربية المحفوظة بمكتبة الدير في فترة العصور الحديثة كما يلي: القرن السادس عشر تسع مخطوطات منها خمس مؤرخة (١٥٣٧، ١٥٤١، ١٥٦١، ١٥٧٤، ١٥٨١) القرن السابع عشر أربعون مخطوطة منها تسعة عشر مؤرخة، القرنين السابع والثامن عشر ثلاث مخطوطات، القرن الثامن عشر ثمانية عشر مخطوطة منها أثنى عشر مؤرخ، القرنين الثامن والتاسع عشر مخطوطة واحدة، القرن التاسع عشر أربع مخطوطات كلها مؤرخة (١٨١٣، ١٨١٦، ١٨٢٥، ١٨٣٢).

(٥١)) وهي المخطوطات ارقام: ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٥٢٦، ٥٩٠، ٦٠٠ سيناء – عربي، وهناك المخطوطات الأربع الأولى التي صورتها بعثة سنة ١٩٥٠ والتى تتحدث عن

النسطورية ومجمع القسطنطينية والارثوذكسى... وغيره من موضـــوعات لاهوتيـــة انظـــر: جوزيف نسيم، " مجتمع الاسكندرية وانتشار المسيحية "، " في ندوة مجتمع الاسكندرية عـــبر العصور (الاسكندرية، جامعة الاسكندرية، ٩٧٥، ص١٠٦، " دراســـات في المخطوطـــات العربية بدير القديسة كاترين في سيناء " في: كتاب دراسات في تاريخ العـــصور الوســـطى (الاسكندرية، ١٩٨٣) ١٦٤ Atiya, Op. Cit, P. XV

(٥٢) انظر: المخطوط رقم ٦٢٥ سيناء عربى، مؤرخ في القرن السادس عـــشر، ويقـــع في ١١٨ ورقة.

(٥٣) انظر: المخطوط رقم ٥٧٩ سيناء – عربى، كتب في القرن الثامن عشر الميلادي.

(٥٤) المخطوط رقم ٥٧٨ سيناء – عربى، كتب في القرن الحادى عشر وعنوانه (رسالة على بن عيسى في امراض العين وعلاجها).

(٥٥) انظر: المخطوط رقم ٥٨٦ سيناء – عربي – وهو مؤرخ في ١٤٠٩م ويقع في ١٥٢ ورقة، وللمزيد من المعلومات حول ذلك الموضوع انظر نجيب بولس، " ضبط التقويم القبطـــى " في مجلة جمعية الاثار القبطية، م١١، سنة ١٩٤٥، ص١٨٢-١٥٩ ؛ ابن كبر، المصدر السابق، جـــ٢، ص ٢٦٧ – ٢٧٤.

(٥٦) انظر المخطوط رقم ٥١٦ سيناء – عربي في ٩٤ ورقة وكتب في القرن العاشر أو الحـــادى عشر الميلادي.

(٥٧) انظر المخطوط رقم ٥٨٢ سيناء عربي في ١٦٢ ورقة كتبت في القرن الحادى عشر.

(٥٨) انظر المخطوط رقم ٦٩٢ سيناء عربى، وبالرغم من أن الغالبية من المخطوطـــات العربيـــة إهتمت بالموضعات الكنسية البحتة، فإنها تحتوى كذلك على بعض مواد في كافـــة مجـــالات المعرفة مثل حياة القديسين والـــشهداء وقـــانون مجلـــس الكنـــائس Apostalic and Ceamemical وإجتماعات الكنائس المحلية والمذكرات وإيصالات الكتـــب وســـجلات النقود وبعض الكتابات في الفلسفة والمنطق والرياضيات والطب، كما أن الكتـــب المقدســـة والتراتيل قد ترجمت بأسلوب عربي قوى وجميل بواسطة الرهبان انفسهم الذين تحدث بعضهم العربية والسريانية واليونانية.

(٥٩) انظر المخطوطين ٦٩٥، ٦٩٦ سيناء – عربي الأول كتب ١٦٨٣ – ١٦٨٤م والثـــانى في ١٥٦١م.

(٦٠) انظر المخطوط ٥٩٠ سيناء – عربي، في عشر ورقات.

(٦١) انظر المخطوط ٦٩١ سيناء – عربي. كتب سنة ١٦٥٣م.

(٦٢) انظر المخطوط ٢٢١١ سيناء – يوناني – كتب في القرن الثامن عشر.

(٦٣) K. Clark., Op. Cit, P. IX.

(٦٤) مثل المخطوط ٦١ في ١٦٤١م حيث يطلعنا كاتبة الشماش سيمون الحمصى على أنه كتبه اثناء فترة رئاسة كير واصف للدير.

(٦٥) مثال المخطوط رقم ٣٥ سيناء – عربي. كتب ١٦٢٩م لكاتبه يوحنا بن شماس عيسى عويستان من خدام كنيسة دمشق الشام، وبه تعليق أن المصحف موقوف على دير سانت كاترين (وكتب برسم الاخ بالله المدعو بالأسم الرهباني يواصف ابن عبد العزيز ابن تمام من أعيان دمشق الشام ويؤمنذ لابس الثوب الملايكي (كذا) بدير طور سينا المقدس وكتبه ليقرا فيه مدة أيام حياته ومن بعد عينه يكون وقفاً موبداً على دير طور سيناء وكل من غيره في الوقفية المذكورة أو بدلة أو غيره أو رهنة أو استرهنه أو باعة أو اشتراه كانياً من كان يكون محروم مفروز من الله ومن السبعة مجامع المقدسة المسكونية وفيه كل ما محق ويكون مارموس والست كاترين خصمه والعياذ بالله)، وأيضاً أوقف الأساقفة بعض المخطوطات على الدير (أقول أن الحقير يوحنا أسقف طور سيناء: أن هذه المزامير وقف على طور سينا ومن أخرجه منه يكون مفروز من الله. وقف على كنيسة السيدة فما أحد له سلطان يخفيه عنها. كتبه الحقير مرقص خادم سينا)، (أقول وأنا يوحنا أسقف طور سينا المقدس أن هذا الابوسطلوس الذي لي وقف كنيسة الاربعين شاهداً باللجاة بعد غيبتي فما لاحد سلطان من الله ومن حقارتي يغيره عنها ومن أخرجه عنها كان تحت الحرم ويكون حصنه مع يوضعى الذي أسلم سيده)، (اقول وأنا جرمانوس اسقف طور سينا هذا السنكسارى لا يتغير عن كنيسة المناجاة حسب ما ذكر من أوقفه ومن يتعد أو ينقله عنها بسبب، من الاسباب يكون تحت المنوع والقديس مارموس خصمه ولا لأحد سلطان من الله يطقع هذة الورقة ولا يغيرها للمزيد من التفصيلات. انظر: KHALIL. SAMIR, " Archeveque's Du Sinai au 13 siecle" in orientalla christion periodica (Vol, Lii, 1986, Rome) PP. 364–365, 375

(٦٦) Atiya, The Arabic treasures ….. P. 8.

(٦٧) فأدعية وصلوات يومى الثلاثاء والاربعاء تكون كما يلى:
١- سمرت على الصليب الها مانع الحياة بما. ٢- أنك مخلص وسيد نسبحك بغـير فتـور. ٣- ونمجدك للقيامة.
٤- لها المسيح يا من للجحيم حطمت وللإنسان. ٥- أقمت وأمضيت احتلت بقلوب نقية. ٦- أن نسبحك مجين...

(٦٨) توجد عدة قلفونات في آخر المخطوط. تفيد إحداها أن تاريخ المخطوط ٣٠ ينـاير ٧١٣٣ لآدم الموافق ١٦٢٥م، وآخر يفيد أن النسخ فرغ منه في ١٠ مارس ٧١٣٣ لآدم الموافـق ١٦٢٥م، وأن كاتبه هو " سيماون باسم الشماسي من مدينة حمص المحروسة.
انظر: عزيز سوريال، الفهارس التحليلية....، ص ٥٠١ - ٥٠٣، مـراد كامـل، فهرسـت، ص٥٤، Atiya; the Arabic Monscrsripts ....., P. XII ; CLARK,- Op. Cit, P: 34.

(٦٩) اكطويخس: معناها ذو الألحان الثمانية وهو كتاب كنسى مختصر من كتاب البراكليتكـى. انظر: مراد كامل، فهرست...، ص٥.

(٧٠) انظر المخطوطات أرقام ٢٥١ سيناء - عربي في القرن الثامن عشر وهو كتب كنسية لخدمة القداس، ٢٤٩ سيناء - عربي في القرن الثامن عشر، ٢٤٦٠ في القرن السابع عـشر سـير قديسين وكتب كنيسة، ض٢٣٥ في سنة ١٥٧٠م ليتورجيا. " خدمة القـداس الألهـى "، ٢٣٤ في القرن الثامن عشر ليتورجيا وطروورباريات " ترنيمة كنيسة ترتل على نغمة الأرمس الذي يتقدمها والأرمس ترنيمة منظومة ثم أطلقت كلمة طرور باريه على كل ترنيمة كنيـسة سواء كانت تابعة لغيرها في النغم أو مستقلة بذاتها "، ٢٣٣ سنة ١٦٩٥ ليتورجيا...... الخ.

(٧١) انظر على سبيل المثال المخطوطات أرقام: ٢٠ في القرن الثالث عـشر ٢٧، ٢٥، ٣، ٣٤، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٥، ٦٣، ٦٥، ٦٦، في القرن الثالث عشر أيضاً، ٣٠ في ٩٧٧م، ٣٥ في ١٦٢٩م للناسخ " يوحنا بن شماسي عيـسى عويـسات ". ٤٢ في ١٧٩٠م، ٣٧ في سنة ٨٣١م...... الخ.

(٧٢) وكان د / سوريال قد ألقى محاضرة عن مخطوط " الدلماطى " في مكتبة الكـولجرس سـنة ١٩٥١، للمزيد من التفصيلات حول هذا المخطوط. انظر ١٩٥١.

- EGYPT. NEWS, Vol 13, no3, April, 1951 (Washington) ; Atiya; the codex arabicus of Monunt Sinai, The indien Archvies, Vol II, No I – Janury, ----- ; The Arabic Treasures ..... P. 22; ----------; The Arabic Monuscripts ....., P. XXV, CLARK; Op. Cit, P. 36. مراد كامل، فهرست....، ص٧١، إبـراهيم غـالي، المرجع السابق، ص٣١٠، وأعجب في ما في ذلك المخطوط آخر بالسريانية أيضاً من القـرن السابع ثم محى النص السرياني ليحل محلة نص عربي من القرن الثامن ثم نص آخر من القـرن التاسع بالخط الكوفي، وتعتبر تلك الوثيقة فريدة في نوعها ليس فقط لقدمها بل أيضاً لتكـرار الطروسي.

." PALIMSESTE "

(٧٣)) فيض للدكتور " جوزيف نسيم " أن يحقق وينـشر ذلـك المخطـوط. انظـر J. N. Yeusef, " peroph – etolocian" An arbic Manascript in the library of the monastry of st. Catherine In Sinai, No 588 In Asurvey and critical " موضوع ديني عن البروفيتولوجية لكاتب مجهـول) stydy, (ALEX, 1985) PP. 115-128 , Atiya , Op. Cit, P. 24, K. clark, op. cit, P. 37; مراد كامل، فهرست....، ص٥٤٢.

(٧٤) انظر:

HARVERUY STAOL; M T. Sinai Arabic Codex 151. English Ttext Institute for Middle Eastern New, ------; Cadex Simai .Arabic 1, 1969, 2 vols.

·51 Pauline Epistles, studies and documents. Ed Jac

(٧٥) وبخاصة المخطوطات العربية والسريانية واليونانية القديمة التي كتبت على الرق أو علـى " الورق من الجلد " انظر: W. PHIllips, Op. Cit. P. XII.

(٧٦) سامي شنودة، الصور المقدسة...، ص١٩٥؛ للمزيد من التفصيلات حول الصور المقدسـة وأهم الأعمال التي تناولتها انظر:

The Monestary of saint Catherine at Mount Sinai, the church and fortress of Justuian Plates by Georce H. Forsth and Kurt Witzman With IHorsevcenko and Fred Andercce The university of Michican Peres, DUMPERTON. QAKS PAPERS, Weitzan, (Edit)., the Manastary of saint Catherine

at Mount sinia, Michign, Amarbar, (Platas) ; illustrated Monuseripts at st. Catherine Monastary on Mount Sinai, Minesota, 1973.

(٧٧) والحقيقة أن لمناظر الفسيفاء في الدير أهمية خاصة، فهـــي معاصـــرة للأعمـــال المماثلـــة في القسطنطينية وفى مدن الغرب مثل رافنا وغيرها، ولكن سيناء هي الوحيدة بينها التي لم ينلـــها أى تغير أو تعديل منذ عملها حتى الآن فلم تلمسها يد إلا في الفترة الاخيرة عندما تم تثبيتـــها بالحائط بعد أن أدى تسرب مياه الأمطار إلى انفصالها عنه بعض الشئ كما إعيد تنظيفها مـــن الطبقات التي تراكمت عليها مر العصور، وأصبحت تحجب ألوانها الزاهية، وتم ذلـــك كلـــه بعناية وحرص ولم يلحق بها ضرر بعكس فسيفساء رافنا الذي حدث الكـــثير مـــن اعمـــال الترميم فيها في فترات مختلفة، انظر: داود عبده داود " دير سانت كاترين بسيناء وأهميته في تاريخ الفن البيزنطى " في مجموعة المحاضرات العامـــة، جامعـــة الاســـكندرية، ١٩٦٥، ص ٣٥٥.

(٧٨) إنجيل متى: الأصحاح ١٧ عدد ١ – ٧ ; مرقص الأصـــحاح ٩، لوقـــاء الاصـــحاح ٢٨ Forsyth, Introduction; to the Archtotur ….. P. 5.

(٧٩) انظر المخطوط رقم ١٢١٦ سيناء يونانى، إستيخن: لفظة يونانية تعنى الصف أو السطر من الكتابة ويأتى هنا بمعنى بيت الشعر. انظر: خليل صباغ، المـــصدر الـــسابق، ص٩٦٥، داود عبده، المرجع السابق، ص٣٥٣.

(٨٠) نعني بالمخطوطات المصورة أنها مزينة بزخارف ورسوم، ويطلق عليهـــا " Illuminted. Mouscripe "

(٨١) يحتوي المخطوط على ٥٧ صورة وردت في النسخة الخطية رقم ١١٨٦ سيناء – يونانى – انظر: أحمد فخرى، المرجع السابق، ص١١٢، سامى شنودة، المرجع الـــسابق، ص١٤٥ – ١٤٦، السياحة في سناء، ص٢٩ ; Kclark, Op. Cit, P. 28.

(٨٢) سفر اشعياء ٣٨.

(٨٣) انظر، سامى شنودة، المرجع الـــسابق، ص ١٥٠ – ١٥٨ ; Dabson' Op. Cit, P. 74.

(٨٤) المخطوط رقم ٣٤٣ سيناء – عربي في أكتوبر سنة ١٦١٢م.

انظر سامي شنودة " المخطوطات المصورة بدير سيناء جـ٢، سلم الفضائل " في مجلة كلية الآداب (م٢٢، ٦٨ – ١٩٦٩)، الاسكندرية) ص١٦٣.

(٨٥) " نجز هذا الكتاب على يد أفقر عباد الله تعالى ثابت الخورى الحموى المسيحى وذلك بتاريخ أوائل شهر تشرين الأول سنة سبعة آلاف وماية وعشرين الموافق شهر رمضان ١٠٢٠ هـ، حسبما جاء بآخر صفحة من المخطوط سنة ٧٢٠ لآدم سنة ٥٥٠٨ ق.م سنة ١٥٤٧م.

(٨٦) انظر: المخطوط ارقام: ٣٣١ سيناء عربي ١٢٢٧م، ٣٤٢ على الرق من القرن العاشر، ٣٣٨، ٣٤٤ من القرن الثالث عشر الميلادي.

(٨٧) انظر المخطوط رقم ٤٢٧ سيناء عربي، كتب على الورق، في ٢٤٠ ورقة في القرنين السادس والسابع عشر.

(٨٨)يرى البعض أن هذا العدد مطابق لسن السيد المسيح قبل أن يبدأ رسالته، انظر: سامى شنودة، سلم الفضائل....، ص١٦٥ – ١٦٨.

(٨٩) انظر: سامي شنودة " المخطوطات المصورة بدير سيناء جـ٣ ايوب منسوخ مصور " في مجلة كلية الآداب (ليبيا، سنة ١٩٧٥)، ص ٤٠٣ – ٤١٢.

(٩٠) يبلغ عدد النسخ التي توجد في مصاحف مستقلة متفردة ثلاث عشرة نسخة تحمل الأرقام التالية (٤٣٧، ٤٦٧، ٥٤٦، ٥٥٥، ٥٥٢، ٥٥٧، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٧٢، ٥٧٣، سيناء – عربي) وتحتفظ مكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية بنسخ ميكروفيلمية من تلك المخطوطات عدا تسعة مخطوطات لم تصورها بعثة سنة ١٩٥٠ أصلاً انظر: مراد كامل، فهرست جـ٢، ص١٨ ؛

- K. klarki' Op. Cit, 35 , 37 ; Atiya. Op. Cit, PP. 15, 22 – 23.

(٩١) انظر: جوزيف نسيم يوسف " بستان الرهبان عرض وتحليل للنسخة الخطية العربية الغير منشورة المحفوظة بدير سانت كاترين "، في كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الاسكندرية: دار المعرفة، ١٩٨٣) ص٢٢٠ –٢٢١ وقد قام الاستاذ " والسيس بادج " بترجمة ونشر ذلك المخطوط: انظر: Budge. T.W (TR), The Paredise ar carden of the Fathers, 2 Vol, Oxford, 1934.

(٩٢) رقمها ٥ سلافونية، في ١١٢ ورقة وموضوعها المزامير وعلى الصفحة الأولى كتابة بالعربية نصها " كان تسليم بيت المقدس للفرنج سنة ستة آلاف وسبعمائة وســـتة وثلاثـــين ١٢٢٨ للعالم وبالله التوفيق".

(٩٣) المخطوط رقم ٨٧ جورجاني في ١٩٣ ورقة وموضوعه المقولات (قاطيفوارس) لأرســـطو مع الشرح

(٩٤) رقم ٢٢٤٥ سيناء يوناني في ٢٥٠ صفحة.

(٩٥) رقمها ٣٨٩ سيناء عربي في ١٥ ورقة وموضوعها (كتاب السواعى التي هـــي اجبيـــة أى السبع صلوات بالقبطية والعربية، كتبت في القرن الثالث عشر، وندرة المخطوطات القبطيـــة طبيعية لأن الدير لم يسكنه أي رهبان أقباط في تلك الفترة وما بعدها.

(٩٦) رقمها ٩٦٣ سيناء – عربي في ٨١ ورقـــة ومؤرخـــة في ٨٧٤هـــــ / ٦٩ – ١٤٧٠م، موضوعها كلستان سعدى شيرازى ١١٨٤ – ١٢٨٤م، أى بعد موت سعدى بأقل من مائة عام.

(٩٧)أحصت البعثة الاميركية المخطوطات السلافونية بنحو أربعين مخطوطة، على عكـــس مـــراد كامل الذي أحصاها بأنى وأربعين مخطوطاً منها ثلاثة عشر على الرق وثلاثون على الورق.
انظر: K. Clark, Op. Cit, 21.

(٩٨) انظر: إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص٢١٤ – ٢١٥، وكان أ. جيرار من أعضاء البعثـــة الأميريكية التي زارت الدير ١٩٥٠م.

(٩٩) لم تعلمنا الوثيقة عن ما هية بطريرك الدير، وأن كان البطريرك القائم على الدير في ذلـــك الوقت من واقع السجلات هو " انستاسيوس الثانى " Anstsios II الذي تولى الرئاسة في الفترة من ١٥٣٨م وحتى ١٥٩٢م انظـــر: نعـــوم شـــقير، المرجـــع الـــسابق، ص٥٢٢
RABIno; Monastere Sant …., P 87,

(١٠٠) انظر نص رسالة القيصر إلى رئيس الدير في: فايز اسكندر، المرجع السابق، ص٣٠-٣٤.

(١٠١) Atiya; The Arabic Treasures ………. P, 10.

(١٠٢) انظر على سبيل المثال: المصحف رقم ١٥١ سيناء – عربي الـــذي نـــسخة " بـــشارين السيرى " في دمشق، وقد عرفنا ذلك من قلفون المخطوط، بل أن هذا الاتصال العلمى ظـــل ممتداً حتى عصرنا الحديث فهناك معهد علمى لاهوتى يختص بدراسة مخطوطات الدير في كـــل

مـــن لوفـــان وبـــيروت " The institute for Middle Eastarn. New testament studas ".

(١٠٣) يقع هذا الكتاب الهام في أربعة أجزاء أورد فيها عدداً كبيراً من نصوص وقوائم الوثـــائق القصيرة المتعلقة بتاريخ البطريركية الارثوذكسية خاصة والقدس والإدارة العثمانية بـــشكل عام، وتغطى تلك الوثائق فترة تاريخية طويلة من العصر البيزنطى وحـــتى العهـــد العثمـــانى، وبالكتاب ايضاً فهرست لمئات الوثائق العربية والتركية والتى يعود أغلبها للفترة العثمانيـــة، ونعتقد أن هذا العمل الكبير يفتح افاقاً لأبحاث ودراسات عديدة حول تلك المنطقة الهامة في تاريخ الـــشرق العثمـــانى. انظـــر: Speras. Vryonis; The History of The Greek Patriorchat of Jerusalm as reflected in codex Patiarchus no 428 (1517 – 1805) – (cbrdinter. Conf. of The History. Of Biladshm, Ammon, 1980).

ويحتوي ذلك المجلد على حوالى ثمانية عشر وثيقة تركية وعربية ترجمها بابا دوبلوس إلى اليونانيـــة مثل الوثيقة رقم ٤ فرمان من السلطان سليم العثمانى، والوثيقة ٥ خط همـــايونى للـــسلطان سليم المشروع، للمزيد من التفصيلات انظر: كامل العسلى " دراسة أولية حـــول الوثـــائق العربية الاسلامية في أديرة القدس " في المجلة المغربية للتوثيق، ع١، سنة ١٩٨٣، ص ٧٨ – ٨٠.

(١٠٤) انظر: بطرس حداد، " مواطن المخطوطات السريانية في الشرق الاوسط " في مجلة المجمـــع العلمى العراقى. هيئة اللغة السريانية، م٦، ٨١ – ١٩٨٢، ص ٣٥٢ – ٣٥٣.

(١٠٥) انظر: كوركيس عواد، " المباحث السريانية م٢، ص٢٣٧، وقد قام الباحـــث " شـــهيد عرفان من جامعة جورج واشنطن بإخراج دراسة هامة حول الغزو الحبشى لليمن وتعـــذيب نصارى نجران، وكان مصدره الاساسى تلك الوثائث السريانية التي عثر عليها في دير سانت كاترين أواخر الستينيات ثم ترجمها ونشرها في كتابه المعنون: - shahid, IRFAN; the Martyrs of najran: New documents, bruxelles des Ballandistis, 1971.

(١٠٦) السياحة في سيناء، المرجع السابق، ص٣١ – ٣٥ إبـــراهيم غـــالى، المرجـــع الـــسابق، ص١٣١.

(١٠٧) انظر: اجناتي كراتشكوفسكي، مع المخطوطات العربية، (موسكو: دار التقـــدم، د.ت) ص٣٥-٣٦.

(١٠٨) انظر: سهيل قاشا، " المخطوطات العربية في دير مار بهنام " في مجلة مجمع اللغة السريانية، م٥، ع٤، ١٩٧٦ بغداد ص ٢٢٣ – ٢٣٦.

(١٠٩) انظر: العقيقي، المرجع السابق، ج٢، ص ٥١٣، ٥١٥، ٥١٦.

(١١٠) السياحة في سيناء، المرجع السابق، ص ٧٠ – ٧٢.

(١١١) قاسم عبده قاسم، دراسة وتحقيق الوثيقة ص٢٥٧ جمـــال الخـــورى، المرجـــع الـــسابق، ص٣٦٤.

(١١٢) آخر زيارة قام بها د / هاريس للدير كانت منذ نحو ثلاثين عاماً من زيارته الاخـــيرة أى في عام ١٨٩٢م وحيث كان قد إكتـــشف المخطـــوط المـــدعو بإعتـــذار أرســـتيدس The Apelogy of aristides بصحبة بليدس عام ١٨٨٩، بالنسبة لتلك البعثة فقد كانـــت أعمالها ستنتهي بالفشل بسبب رفض الرهبان السماح لأعضاء البعثة بأخذ صور فوتوغرافيـــة لكنوز الدير، ولولا الصداقة التي كانت قائمة بين د / هاريس ورئيس الدير في القـــاهرة مـــا كانت أعمال البعثة إكتملت ويبدو أن الصداقات الشخصية مع رؤساء الدير كانت لها الآثر الكبير في تسهيل أمور تلك البعثات كالخطاب الذي خطــه " هـــاريس " ســـنة ١٨٩٢ إلى كلاكيتون أمين مكتبة الدير كتوصية لمساعدة بعض الزوار، وقد نشر د / هاريس عملـــه في HARRIS J. RENDEL, BIBLIGAL FRAGMENT .FRÒMIUNT SINAI (LONOD ON, 1890

(١١٤) حول أعمال تلك البعثة انظر: DOBson, Op. Cit, PP. V. VII, 1-5, 61-76

(١١٥) Atiya, the Arabic Manscripts of ...., P. 12.

(١١٦) وليم البريت ولد في ١٨١٩ بشيلي وتخرج في جامعة جونز هـــوبكنز بقـــسم اللغـــات السامية وعين نائباً مديراً في مدرسة الدراسات الشرقية الأميريكية في القدس ١٩٢٠ ثم مديراً لها ٢١ – ١٩٢٩، وتولى الاشراف عن التنقيب عن الآثار في سيناء ٤٧ – ١٩٤٨، وعـــين أول مدير للمؤسسة الأمريكية لدراسة السلالات البشرية انظر: العقيقي، المرجـــع الـــسابق، جـــ٣، ص ١٥٣.

(١١٧) انظر أحمد فخرى، المرجع السابق، ص٦٨ Atiy a, the Arabic Monscripths .... P. 15 ; ......, the Arabic treasurers of ...... P. 14.

(١١٨) للزيد من المعلومات عن بروفير يوس انظر:. Rabino, Op. Cit, PP. 92-93
K. Clark, Op. Cit. PP. Vii – Viii.
(١٢٤) W. Phillips, Op. Cit. PP. X- Xii.
وفى نفس الفترة تقريباً قامت بعثة امريكية أخرى تحت إشراف المدارس الامريكية للأبحاث الشرقية ومكتبة الكونجرس بتصوير نحو ١٢٠٠ مخطوط من مقتنيات مكتبة البطريركية الارثودكسية في القدس، وعن تفصيلات أعمال تلك البعثة انظر:
- the Biblical Archeologist Volxiv FEB 1953, Nol, P. 32; Bulletin of the Amarican Schools of وتلك الدراستين لكنيث كلارك oriental Research, No. 123. Oct. 1951, P. 17; K. Cellark.
وفى ٥٠ – ١٩٥٢م نظمت المؤسسة الامريكية كذلك حلتين علميتين برئاسة " واندل فيلبس " الذي تسمى " بحسين بن علي بلحارثى " وطوف في اليمن لغرض استكشاف المخطوطات والآثار العربية. عن تلك الرحلة انظر: عصام محمد الشنطى " صلاح الدين المنجد والمخطوطات العربية "، في مجلة معهد المخطوطات العربية (م٣٥)، جـ٢-١، ١٩٩١) ص٢٠٧: جامعة الاسكندرية، تقويم جامعة الاسكندرية ٧١-١٩٧٢ (الاسكندرية: جامعة الاسكندرية، ١٩٧٢، ص ١١٤ – ١١٥).
(١٢٥) داود عبده، المرجع السابق، ص ٣٤١.
(١٢٧) مثلث جامعة الاسكندرية في تلك البعثة بالاساتذة: أحمد فكرى، جوزيف نسيم يوسف، سامى شنودة، لطفى عبد الوهاب يحى، حسن صبحى، محمد محمود السروجي، روبرت فان بنس الذي كان قد أنهى قبل مجيئة لسيناء دراسته لتحفة بيزنطية أخرى هي كنيسة " هياصوفيا " وقد نشرت أعمال تلك البعثة في عدد خاص من " المجلة الجغرافية الامريكية NATIONAL GEOREPHIC 1964 وفى عدة مجلدات مصورة تحتوى على كنوز الدير أطلعنى د / سامى شنودة على بعضها.
(١٢٨) بعد توقيع الهدنة على أثر اعتداء إسرائيل على صر سنة ١٩٦٧، شاعت الأمم المتحدة أن تطمئن إلى أن الإسرائيليين حين دخلوا سيناء لم يعتدوا على الدير ولا على مكتبته، فانتدبوا مندوباً من قبلهم وطلبوا الى مصر أن تنتدب هي أيضاً مندوباً عنها ليذهب المندوبان معاً إلى الدير، فكان الاستاذ الدكتور مراد كامل الظر: إيريس حبيب المصرى قصة الكنيسة القبطية، جـ٨ (القاهرة: م المحبة، ٩٨٨) ص ٣٠ – ٣٥.

الفصل الخامس

الدير في كتابات الرحالة والزائرين

تحتل كتب الرحلات دائمًا مكانة هامة في ثبت المصادر بما تتضمنه من معلومات كثيرة عن البلدان والأقاليم والأماكن والشعوب في مختلف العصور، ومع ذلك فإنها لم تحظ بالعناية الجديرة بها من المشتغلين بالدراسات التاريخية، كما تتراءى أوصاف وتقاليد وعادات شعب من الشعوب في ملحوظات وتعليقات الحجاج والرحالة، وكانت تلك الأحوال وعادات البلاد الاقتصادية الاجتماعية تبدو في أعين سكان البلاد شيئاً عادياً أو مألوفاً، تظهر أحياناً غريبة عندما تصادفها لأول وهلة أعين الحجاج والرحالة فيلتقطوها ويتناولوها في مصنفاتهم بسرد أخاذ ينقل القارئ إلى مكان وزمان الراوي. إن الرغبة في الحج راسخة الجذور في الطبيعة البشرية فوقوف المرء في نفس الموقع الذي وقف فيه من يجلهم ذات مرة، ومشاهدة نفس الأماكن التي ولدوا وكافحوا وماتوا فيها، يبعث في المرء شعوراً بالاتصال الروحي بينهم. وفى ذلك تعبير عما يشعر به نحوهم من تبجيل، وهكذا فإن جماعات الناس تقبل في تلهف أكبر إلى تلك الأماكن التي يعتقدون أن الرب أكسب الأرض قداسة فيها[1]. وكان الحج نادراً في أيام المسيحية الأولى، ولكننا لا نعرف على وجه اليقين التاريخ الذي قضى فيه القانون الكنسي لأول مرة بجعل الحج "كفارة" واجبه على الفرد المسيحي.

وهناك بعض علماء اللاهوت من يعتبر الحج عقبة في طريق الاتصال بالذات المقدسة، وأنه التفات ليس له هدف، أو ذو هدف غير نقى مرتبط بالعالم الحسي، وبالرغم من هذا نستطيع أن نؤكد أن الحج كان موجوداً دائماً رغم أن هناك دلائل على أن المسافرين كانوا يشقون طريقهم للأماكن المقدسة في مختلف العصور ونظراً

لعدم وجود سجلات مدونة لتلقي الضوء على معنى هذه الرحلات، فلن نستطيع أن نعرف ما إذا كانت هذه التجمعات الافتراضية ينطبق عليها هذا التعريـــف. ولقـــد حظيت مصر بوصف ممتع أخاذ كتبه وأملاه الحجاج والرحالـــة، واعتـــبرت أرضـــاً مقدسة حيث أجمعت المصادر الكلاسيكية وكذا المراجع التي تؤرخ لفجر المـــسيحية على أن سيناء أرض مقدسة بمثابة القدس، حيث شهد جبل سيناء بناء أشهر كنيـــسة في العالم يحج إليها المسيحيون منذ بداية المسيحية وإلى يومنا هـــذا. وقـــد اختلفـــت الأسباب التي دفعت هؤلاء لزيارة جبل سيناء، فبعضهم ضربته الأساطير العجيبة التي دارت حول المكان، ففي القرن السابع الميلادي قدم الحجاج إلى هذا المكان لمشاهدة الرهبان مثل الراهب "أورونسيوسى" الذي كان يوقد البخور بأصابعه وقد فقد أصبعاً من جراء قيامه بذلك العمل. وزار آخرون الجبل بحثاً عن السلام والمغفرة، ويذكر أنه في القرن التاسع الميلادي زار الجبل شقيقان مقيدان إلى بعضهما وهما مـــن مقاطعـــة بريتنى الفرنسية وقاما بقتل عمهما مما دعى الملك "لوثر" لإصدار أمر بأصطحابهما في رحلة إلى روما والقدس وسيناء وهما مقيدان أحدهما في "رين"[٢]، كما مر على الدير الكثير من الحجاج والرحالة والجيوش[٣] وقد ترك لنا الرحالة مادة غنيـــة وغزيـــرة تحدثت عن مقاصدهم وعن الدير ورهبانه.

ومع نهاية العصور الوسطى تدخل الزيارة الديرية إلى ما يسمى "الأدب السياحي" وتكتسب تلك الزيارات الأوربية سمات جديدة خاصة بعد أن انتظمـــت العلاقـــات الدبلوماسية بين مصر المملوكية ودول أوروبا، وبخاصـــة الجمهوريـــات الإيطاليـــة كالبندقية وجنوا وبيزا في فترة نهاية الحركة الصليبية، وعلينا الحذر في تعاملنا مع تلك الرحلات، وأن لا ننتظر منها الدقة والموازنة بصورة كلية، وخاصة مـــع الظـــروف السياسية المتباينة بالإضافة إلى وعورة الطرق وعدم تمهيدها وكانت الصحراء عامرة بحركة مستمرة بين المسافرين والوافدين. ولا شك أن ذلك كان يستوجب أيضًا نقل الوسائل الضرورية للحياة من غلال وملابس وأطعمه وأخبار. وكان رجال الـــدين

يتمتعون بنوع من الحصانة الرسمية، وجرت العادة أن يمنح أولئك الأساقفة "جواز سفر" أو ما كان يسمى في ذلك الوقت "بتصريح بريدي" أو "إجازة بريدية" ثم تغير اسم الجواز إلى "دبلوما" ومنها اشتقت أو جاءت كلمة دبلوماسي - كما نعتقد.

وكان الجواز يحمل البيانات الآتية:

● الجهة التي أصدرت الجواز، اسم محافظ الإقليم المسافر منه الحاج أو الرحالة.

● اسم صاحب الجواز ولقبه ووظيفته.

● اسم الشخصية التي يسلم إليها الجواز أثناء السفر وعند الوصول.

● خط السير ووسيلة النقل أي بالخيل أو بالعربات الرسمية ذات العجلات الأربع أو السفر على الحمير أو البغال[٤] (غلا انه مع كثرة المرور عبر سيناء كانت الطرق غير مأمونة وكانت حياة الرهبان معرضة للأخطار سواء من جانب غزو القبائل ورجال الصحراء أو من جانب الوحوش الضارية).

وبالإضافة لهؤلاء الحجاج والرحالة وجد المسافرين الذين كانوا يشقون طريقهم بين الجبال الوعرة لأسباب أخرى، ومن بينهم من كانوا يديرون أملاك الرهبان والنساك الذين كانوا قليلاً ما يعنون بأملاكهم منذ بداية دخولهم سلك الرهبنة. فالقديس "أنطونيوس" كان قد هجر أرضه منذ البداية دون أن يتصرف فيها[٥]. بالإضافة أيضًا للقائمين على أملاك الدير المتناثرة في كافة الأرجاء.

ولعل من أهم الوثائق السياسية في هذا الصدد تلك الوثيقة التي ترجع إلى نهايات العصور الوسطى والتي تتضمن وصفاً لرحلة "ليونارد فريسكو بالدى" من فلورانس بإيطاليا الذي زار الدير في ١٣٨٤ م ونشرت رحلته في روما ١٨١٨ م بواسطة الأستاذ "دوب" وذكر لنا أنه أثناء مروره بالقاهرة في طريقة لسيناء شاهد سلطانها "الظاهر برقوق" ساكنا في بابليون - الفسطاط - في قصر أقيم بنفس المكان الذي ولد فيه موسى عليه السلام، وقد قام ناشر الترجمة الفرنسية لرحلة "ابن بطوطة" ١٣٠٤ - ١٣٦٩ م بنشر فقرات من وصف رحلة فريسكو بالدى في صدر الجزء

الأول من الترجمة، لكي يقارن قارئ ترجمة رحلة ابن بطوطة بين دقة السائح العربي والآخر الإيطالي ولكنه لم يغفل الإشارة إلى أن وصف رحلة فريسكو ظل مخطوطا حتى بداية القرن الخامس عشر ثم نسخ وسجل في فهرس أكاديمية "كيروسيكا" كمصدر كلاسيكي عنوانه "رحلة إلى جبل سيناء"(٧).

كما وجدت كتابات عن سيناء وديرها عند "إيمانويل بيلوتي" الذي أقام بمصر مدة تقرب من الأربعين عاماً، ووضع عن مصر سنة ١٤٢٥ م كتاباً بالايطالية فقسدت أصوله، ولكنه تدارك الأمر وتولى بنفسه ترجمة الرحلة إلى الفرنسية سنة ١٤٤١ م بعد عودته لإيطاليا.

وقد عنى الأستاذ "دوب" في دراسته السابقة بتلخيص وصف هذه الترجمة التي ظلت محفوظة بالمكتبة الملكية في بروكسل تحت عنوان "وصف إيمانويل بيلوتي لرحلته في الأراضي المقدسة ١٤٢٠ م"(٨).

وفى ١٤٧٠ م مر على الدير الرحالة "أنسلم" على عهد سلطان مصر المملوكي قايتباي ١٣٦٧ – ١٤٩٦ م ولم يكن الرحالة الإيطاليون بعيدون عن سيناء، ففى ١٣٣٥ م زار الراهب "جاك الفيروني" سانت كاترين وقال في كتابه الذي نشر فيما بعد في دورية الشرق اللاتيني ١٨٩٥م أن جامع الدير قام ببرجه "مئذنتان" حيث مارس رجال الدين العرب شعائرهم، وما كان الرهبان أن يعترضوا أو يتأففوا. وقد لوحظ أن الحجاج الإيطاليين الذين حطوا الدير سنة ١٣٨٤ م، قد أشاروا للمسجد بروح ممزوجة بالتعصب الذي كان سمة لهذا العصر، فقد كان الغرب تحركه نوازع من روح التعصب والذي انعكس بصورة إيجابية على المصريين الذين عرفوا نوعاً من التسامح لم يألفه الأوربيين.

وفى الفترة الواقعة ما بين الأعوام ١٤٨٠ – ١٤٨٣ زار الدير الرحالة والفارس ورجل الدين "فيليكس فابرى FELIX FABRI. الذي وصف لنا الدير وسكانه وجدرانه بصورة دقيقة، فوصف شجرة المن ومشهد دخول الحجاج اللاتين إلى الدير،

حيث ابتاعوا من الرهبان الخشب لغرض الطهي والتدفئة، وحدثنا كذلك عن موقف العربان من الحجاج، فامتلأت رحلته بنصوص أسطورية مثل أسطورة الكنيسة والبئر والعذراء "مارينا – مريم" وحديثه بالنسبة لكنيسة الأربعين، ووصفه التفصيلي لضريح يمتاز بالتفصيل الممل، أما ما تميز به وصفه عن سابقيه فهو إيراده بعض المعلومات الجديدة كاقتسام الرهبان بعض الأرباح مع السلطان المملوكي، والسرقات التي قام بها بعض الحجاج اللاتين للذخائر المقدسة وكذلك إشارته لوجود كنيسة لاتينية بالقرب من غرف الحجاج لغرض صلاة الحجاج الغربيين بداخلها، وبالنسبة للنساء فلم يسمح بالمعيشة لهم داخل الدير، وكان اعتراف "فابرى" واضحا بخصوص معاملة المسلمين له والتي كانت أرقى من معاملة ساكني الدير، وهذا ما دفعه للقول بأن هؤلاء الرهبان على غير هدى المسيحية.

وهؤلاء الحجاج كانوا في الأصل من بين مجموعات الحجاج الأوربيين، والتي كانت تنظمها مدينة البندقية سنوياً، وكان بعض الحجاج يرجع عائدا إلى دير صهيون بالقدس للاستشفاء نتيجة لحرارة سيناء الشديدة، وأيضًا عانوا من قلة المياه الصالحة للشرب أو فسادها نتيجة لحرارة الجو، والبعض كان يموت في الطريق من غزة إلى الدير وهى ما بين ١٢ يوم أو ١٤ يوماً.

وأثناء مكوث الحجاج في الدير كان الرهبان يقدمون لهم الطعام الشراب مثل الماء النقي والخمر وأرغفة الخبز والسمك المملح الذي كانوا يأتون به من البحر الأحمر، وبعض اللحوم والتمر والتين المجفف والكروم. على عكس ما فعل الرهبان الكاثوليك في فلسطين مع هؤلاء الحجاج أنفسهم بالرغم من أن الفريقين كانا على المذهب الكاثوليكي. وقد يرجع ذلك لكثرة أعداد الحجاج الذين يزورون ضريح البيت المقدس وقلة زوار دير سانت كاترين، وصرح بأنه من كان يموت من الحجاج كان يدفن داخل الدير، وإن كان البعض قال بأن الحجاج الكاثوليك المتوفين كانوا لا يدفنون داخل الدير بل خارجه في مقبرة للبغال.

وكان الرهبان يفتحون للحجاج تابوت القديسة، كما عرفنا أن الرهبـــان كـــانوا يزودون الحجاج قبل الرحيل بزاد من الطعام يقل أو يكثر حـــسب حالـــة الـــدير الاقتصادية، كما كان الحجاج قبل الرحيل يملئون قربهم بالمياه من بئر الدير، ودفـــع مبلغ من المال إلى عربان الدير لتأمين رحيلهم، فكان رئيس العربان يرسل بعض رجاله لمرافقة الحجاج لمدة تتراوح بين ثلاثة أو أربعة أيام، ومع تقلب الأحوال الاقتـــصادية على رهبان الدير ما بين الرخاء والفاقة كانوا يأخذون منهم الهدايا طواعية أو بالقوة في مقابل إعطائهم شربة ماء مثلج أو قطعة جلد لإصلاح نعالهم كما كان الحجـــاج يعقدون بمساعدة الترجمان الأكبر لبيت المقدس – اتفاقاً مع العربان بـــشأن تـــصريح مرورهم حتى قرية المطرية – بجوار مدينة القاهرة – وكان يسمح للحجاج المتوجهين للدير بحمل أسلحتهم عبر صحراء.

ثم كانت رحلة "برنهارت فون برايد ينباخ" من أوبنهايم الألمانية الذي خرج من مدينة ماينتس في صحبة فيها الفرسان النبلاء وقد انضم إليهم في القدس "فيلكس فـــابرى" وقد خرجت تلك الرحلة من البندقية في أول يونيو ١٤٨٣ ومرت برودس وقبرص حتى تم الوصول إلى يافا، وبقى برنارد في الأماكن المقدسة بفلسطين أربعـــة أســـابيع تقريباً، وسار من هناك مع صحبة إلى مصر ماراً بدير سانت كاترين. ورحلته تعبر عن روح زمانها فهو متمسك بكنيسته الرومانية الكاثوليكية تمسكاً شديداً يجعله ينكـــر المذاهب المسيحية الأخرى، وبخاصة الكنيسة الرومانية الأرثوذكسية المنتمـــى إليهـــا الدير. كما أشار "برنهارد" إلى المعاملة الحسنة التي لقيها هو وصحبه مـــن المـــسلمين الذين كانوا يزودونهم بالماء لوجه الله، وأيضًا وصف تعرضهم لمـــضايقات أصـــحاب المساكن التي نزلوا فيها في الطريق نحو جبل سيناء، وهذا الطريـــق الـــشاق عـــرض بعضهم للمرض إلى أن وصلوا جبل "رنبا" الذي يقصد به جبل حوريب وقـــد زود كتابه برسوم منقوشة تمثل الأماكن التي زارها، كما نجده يجمع أوصاف رحالة سابقين وجداول ونقوش محفورة على الخشب تمثل الأبجديات العربية والعبريـــة واليونانيـــة

والقبطية والأرمينية والأثيوبية[١٣]. وقد لاحظنا من سرد برهاردت لرحلته أنهم حينما كانوا ينتقلون للأراضي المقدسة كان عليهم تحرير عقد بينهم وبين رؤساء تلك السفن، وتحدثت بنود العقد عن الخدمات التي سيؤديها هؤلاء الرؤساء للرحالة

وبخصوص الرحالة الإنجليز الذين وصلوا للأماكن المقدسة في سيناء في تلك الفترة، فبعد سقوط عكا ١٢٩١ م بأيدي المماليك قل عدد هؤلاء الرحالة، ولم يصل إلينا في أواخر العصور الوسطى سوى تقريرين أو ثلاثة موجزة وغير وافية من حجاج قدموا إلى سيناء، مثل الأميرال "سير توماس سويتبرت" ولم يكن ثمة اتصال جوهرى غير ذلك حتى كان تأسيس شركة المشرق في ١٥٨١ عندما توقفت حركة نقل الحجاج تقريباً. ثم كانت سنة ١٦١٠ م وانطلاق "جورج سانديز" في رحلته للمشرق ووصفه للأماكن المقدسة في مصر وبيت المقدس، ونشرت رحلته سنة ١٦١٥ م ثم تتابعت الرحلات نحو الدير كما سنبينه خلال الدراسة[١٤].

ومن الرحالة الرسميين الذين زارو الدير السيد " أندريه لوردي Andrie Lerdy " الذي عينه ملك فرنسا سفيرًا له لدى السلطان الغورى وبناء على طلب "لوردى" زار دير كاترين بعد موافقة السلطات المصرية في يوليو ١٥٥٢م[١٦].

الرحالة الروس:

وبالنسب للحجاج الروس الذين زاروا سيناء، فقد كانت رحلتهم إلى مصر تهتم أساساً بجبل سيناء ومزاراته المسيحية، وحظي دير سانت كاترين بخاصة والجالية اليونانية المقيمة بمصر ورهبانها التابعين لطائفة الروم الأرثوذكس عامة بعناية خاصة من قبل الكنيسة والسلطة الرومية، وحظي دير سانت كاترين بدعم مادي ومعنوي كبير.

إن مسألة من هو أول زائر وصل لسيناء من مواطني الروس لا تزال بحاجة إلى اكتشاف وبحث، وإن كان البعض يعتقد بأن " جريثينوس Grethenios " من أوائل الرحالة الروس الذين زاروا الدير سنة ١٤٠٠ م، وذلك أثناء اتجاهه نحو الأراضي المقدسة بالقدس، وقد اختصر في سرد روايته واقتصر على ذكر المدن التي

زارها والوقت اللازم للانتقال من مدينة لأخرى، متجاهلاً وصف أهم المعالم في طريقه كما ذكر أن المسيحيين الأثوذكس يذهبون إلى جبل سيناء، إلا أنهـــم لا يخـــاطرون بالذهاب لأماكن أبعد بسبب انعدام الطرق المؤدية إليها[١٧].

على أن إحدى الحجات الأولى الشهيرة إلى سيناء – هي التي قام بهـــا الراهـــب " فارسوني " في منتصف القرن الخامس عشر (١٤٦١ – ١٤٩٢)، وترك لنا وصفاً لسيناء وديرها يتصف بالجفاف وعدم الترابط[١٨].

وينقل الباحث " أوليغ – أوليج – فولكوف " مقطعاً مـــن ســـجل الرحالـــة " الأرشمندريت سمولينك غريفيني " الذي زار الـــدير حـــوالي ســـنة ١٤٥٥ م.... " بسمولينك هذا المختص الروسي بدراسة فلسطين " خيتروفو " في مدوناته ويلاحـــظ أن تقرير سمولينك عن رحلته إلى سيناء لا يشغل أكثر من بضعة أسطر فقط. وأيًا ما كان الأمر فإن هذا الخبر المكتوب هو الأول عن زيارة الروس إلى جبل سيناء[٢٠].

أما الرحالة التاجر " فاسيلي" فقد اتخذ طريقه نحو فلسطين عبر مصر. لأنها كانت آمنة نسبياً عن الطريق الآخر عبر الأناضول والشام. وقد زار فاسيلي القاهرة عـــام ١٤٦٦ ميلادي[٢١].

على أن سيناء ظلت لوقت طويل متوارية عن طريق الحجـــاج الـــروس، ثم تزايد الاهتمام بها بدءاً من النصف الثاني من القرن الخامس عشر، بمجيء صيف عام ٧٠٩٠ لآدم الموافق ١٥٨٢ م، يرسل قيصر روسيا " إيفان الرهيب الرابع " مـــن موسكو إلى البطاركة ورؤساء الأساقفة والأساقفة الأرشمندريات ورؤساء الأديرة في تسارجراد " القسطنطينية " وإنطاكيه والإسكندرية والقدس وجبل سيناء ومـــصر – القاهرة – أرسل هبة إحسان على روح ابنه " إيفان " بصحبـــه التاجرين المسكوفين " تريفون لوروينيكيوف وإيمن زاموك " وســـافر بصحبتهم أيضًا المواطن الموسكوفي " فيودور " المعلم الأسطى في صنع الصلبان، كمـــا أرســـل القيصر معهـــــم مبلغ (١٥٠٠٠ روبل لغرض بناء كنيسة القديسة كاترينة على جبل سيناء حيـــث

ترقد رفاتها بعد وفاتها محفوظة بالملائكة.....) وهكذا يبدو نص أشهر مسيرة للحجاج الروس قبل عصر بطرس الأكبر " إلى سيناء[٢٢].

وقد أوكل للتاجر الموسكوفي " فاسيلي بوزيناكوف " من قبل القيصر " إيفان الرهيب " في عام ١٥٥٨ ميلادي أن يرافق كل من بطريرك الإسكندرية[٢٣] وبطريرك أنطاكية[٢٤] ورئيس أساقفة جبل سيناء[٢٥] " مكاريوس " في طريق عودتهم إلى أوطانهم من موسكو التي زاروها بحثاً عن العطف القيصرى.

وبالفعل حملهم " إيفان " بالهدايا والتي هي عبارة عن ٢٤٠ فراء سمور من تلك التي تشتهر بها موسكو ولقوداً وإيقونة بإطار ثمين وألبسة دينية " جبريان " منسوجة بالذهب.

ويذكر أنه كان بين أعضاء تلك الرحلة كل من ابن إيفان المدعو " توقفورود جنيادى " وقد توفى أثناء الرحلة بعض المسنين غير المعلومة اسمؤهم وكذلك" موسى " ترجمان الرحلة[٢٦] كما ترك الحاج الروسي " جريجوار " رئيس الرهبان عام ١٥٤٧ م وصفا لرحلته المعنونة " نص رحلة رئيس الرهبان جريجوار إلى جبل سيناء ".

ودون الزائر لدير سانت كاترين " سوفرينوس " زيارته للدير في روايته سنة ١٥٤٧ تحت عنوان " رواية الراهب سوفروينوس من دير القديس سابا المبارك " وحيث أعلمنا ان الرحلة تستغرق براً بين القدس وجبل سيناء نحو اثني عشر يوماً ومن بيت المقدس للقاهرة اثنى عشر يوماً أخرى[٢٧].

ونعود لرحلة التاجر الموسكوفي " باسيل بوسيناكوف بوزيناكوف " للمرة الثانية في ١٥٥٨ م حيث زودنا بنص رسالة بعثها القيصر " إيفان فاسيلفتش " إلى بطريرك الإسكندرية " يواقيم "[٢٨] وفيها يبدأ " إيفان " بتحية البطريرك وإخباره أنه تلقى رسالته التي أرسلها إليه مع رهبان جبل سيناء، بالإضافة إلى الهدايا السابق ذكرها، كما يورد باسيلي أقوالاً على لسان بطريرك الإسكندرية من أنه شغل كرسي البطريركية منذ حوالي خمس وثمانين عاماً، إذ تم تنصيبه في دير سيناء وأمضى فيه نحو

اثنى عشر عاماً وتولى إقامة القداس في القدس خلال ثلاث سنوات. ويورد باسيلى معلومة هامة في ثنايا سيرته خاصة بالأماكن التي زارها بصحبه أعضاء الرحلة، حيث يقول أنهم زاروا كنيسة شهداء السيد المسيح التي تتبع حالياً الهراطقة الأقباط. ونفهم من ذلك وجود خلاف مذهبي شديد بين الكنيسة الوطنية وكنيسة الروم الأرثوذكس التي تتبعها الروس(٢٩).

وبالرغم من ذلك فيبدو أن العلاقة الشخصية التي كانت قائمة ما بين البطريرك " يواقيم " والزوار الروس على أحسن ما يرام، فنجده يصحبهم إلى جبل سيناء بعد أن تجول بهم في أرجاء القاهرة، واتخذوا طريقهم للجبل بواسطة الجمال كل جمل يمتطيه فردان في مقابل قطعة ذهبية للفرد. ويحمل كل فرد طعامه وماءه في قرب مصنوعة من الجلد، كما حمل كل شخص قنطاراً(٣٠) من الخبز الجاف، واستغرقت الرحلة نحو اثنى عشر يوماً إلى أن وصلوا الدير حيث استقبلوا بترحاب شديد وكيف لا وهم يحملون الخير الكثير للرهبان!

وشاهدوا رفات القديسة كاترينا والتي سموها " الطاهرة " كما شاهدوا أيضًا رفات القديسين الذين استشهدوا في سيناء ورايثو(٣١).

ويزودنا باسيلى بمعلومات أخرى، منها أنه كان بداخل الدير خمس وعشرون كنيسة صغيرة وحوالى ثلاثمائة صومعة جميعها مبنية من الأحجار ويحيط بالدير سور ضخم طوله ٥٨ متراً ومتوسط ارتفاعه من ١٢ إلى ١٥ متراً وعرضه ٧٥ متراً وسمك الحائط متران وربع المتر وقد حدثت فيه ترميمات كثيرة على مدى العصور وبخاصة السور الشرقي.

وكان يتصدر باب الدير عام ١٥٥٨ مدفعان. ويقيم بالداخل حوالي تسعين راهباً وإن كان عددهم قد قل بسبب اضطهاد العربان المحيطين والذين يبلغ عددهم نحو أربعمائة أسرة، ووصف باسيلي توزيع الخبز عليهم بأنها "إتاوة" ونعتقد أنه لم يحالفه التوفيق في اختيار اللفظ لأنها لم تكن كذلك، كما بينا سابقا وبعد.أربعة أيام

قضوها في داخل الدير قاموا بمصاحبه البطريرك " يواقيم " بتسلق قمة الجبل (جبل سيناء المقدس) حيث زاروا في قمته كنيسة تجلي السيد المسيح ووجدوا أيضًا مسجداً بجانبها[٣٢] ويبدو أن المسجد هذا قد اندثر بعد ذلك لعدم عناية الرهبان والعربان به. ثم نزلوا للدير وأمضوا ثلاثة أيام وبعدها تسلقوا جبل كاترينة. وأخيراً عادوا إلى سيناء في يوم استشهاد القديسة كاترينا " ٣٥ نوفمبر " وبالنهاية امتطوا الجمال عائدين بصحبهة " يواقيم "[٣٣].

وبالنسبة لرحلة " تريفون كوروينكون " في عامي ١٥٨٢ – ١٥٩٣ – فقد ظهر نصفها لأول مرة عام ١٦٠٢ م، فغطت أحداثها على ما سبقها من رحلات حتى كثرت نسخ مخطوطاتها إلى أن وصل عددها نحو مائتين وأربعين نسخة مطبوعة، ويهمنا رحلة عام ١٥٩٣ أكثر من الأولى، فقد غادرت الرحلة موسكو في ١٩ يناير من نفس العام محملة بصدقات هائلة قوامها نحو ٥٥٦٤ قطعة ذهبية، وكميات كبيرة من الفراء لكي توزع في القسطنطينية وإنطاكية والقدس والإسكندرية وجبل سيناء، ولكن في إبريل وبعد وصوله لمدينة القسطنطينية يسلم " تريفون كوربيئيتيوف " الهدايا المخصصة للكنائس المصرية التابعة للروم الأرثوذكس إلى بطريق الإسكندرية " ميلتوس" أو "ماليتوس"[٣٤]، وفى العشرين من فبراير عام ١٥٦٤ التقى " تريفون "وصحبه " بميلتوس " مرة أخرى في القدس وسلموا (٤٣٠ قطعة ذهبية و ٤٠ قطعة فراء) مخصصة لأسقف سيناء المدعو " لوران LaurAnt "[٣٥] وهكذا تجنب تريفون ومن معه مشقة السفر إلى سيناء وعادوا ثانية إلى روسيا دون أن تطأ أقدامهم أرض مصر، وبالتالى فقد نقل تريفون في منتصف رحلته ما أورده سابقاً التاجر " باسيلي بوسيناكوف " [٣٦].

ويقدم عصر " بطرس الأكبر ١٦٧٢ – ١٧٥٨[٣٧] م إمبراطور روسيا الأول ومصلحها العظيم مجموعة أخرى من الرحالة إلى سيناء – ففي بداية القرن الثامن عشر زار سيناء الراهب " إيبوليت فيشينكس " وبصحبته القسيس " أندريه

إيقناشيف " وشقيقه " إستيفان " اللذين كانـا في عـداد الإرسـالية الروسـية إلى القسطنطينة[٣٨]

على أن كل هذه الرحلات (الحجات) إنما تفوقها رحلة المشاء " فاسيلي غريقور روفيتش وبارسكى بلاكا أولبوف " الراهب الإنطاكي من مواليـد مدينـة كيـف الروسية للأماكن المقدسة في الشرق، والتي بدأت عـام ١٧١٣ م والتـهت عـام ١٧٤٧ م وقد كتبها فاسيلى بنفسه[٣٩]

ويمثل "بارسكي" مرحلة جديدة للرحالة الروس كما يسمى هو نفسه. فهو ليس حاجاً بقدر ما هو رحالة إنسان، حبه للمعرفة لا ينتهي، ونشاطه هائل لا يستقر ولا يهدأ، وكان يتقن عدة لغات منها الأوكرانيـة والروسـية والبولونيـة واليونانيـة والإيطالية، ثم بدأ في تعلم اللغة العربية في وقت لاحق تزامن مع زيارته للشرق، كما كان يتمتع بميزة الرسم حتى أنه رسم بعض المناظر لمدينة القاهرة وسيناء، وقد واجـه في طريقه نحو سيناء صعاباً عدة أهمها قطاع الطرق[٤٠].

في عام ٧١٤١ لآدم الموافق عام ١٦٣٤ م زار مصر وسيناء التاجر " فاسـيلي باكوفليف غاغرا " من أهالي مدينة تبليس الروسية، حيث وصل مصر في ١٦٣٥ م ومكث بها ثلاثة أشهر وأسبوعين، ويتسم وصفه للأماكن التي زارها بالدقة إلى حـد كبير، على عكس سابقية من الرحالة.

وبعد خمسة عشر عاماً من رحلة " غاغرا " وعلـى عهـد القيـصر " إلـيكس ميخائيلوفتس " قام رجل الكنيسة والدولة البارز " إرسين سوخا نـوف " برحلتـه الأولى إلى مصر وسيناء، وكان خروجه من موسكو في فبراير ١٦٥١ م، وأنيطـت برحلته جمع معلومات عن أوضاع الكنيسة اليونانية في الشرق وكتـب سـوخانوف مؤلفا هاماً أسماه " المتعبد " يحتوى على ملحوظات ممتعه عن المدن التي أمها وما تحتويه من معالم، وقد أخذت سيناء وديرها مساحة كبيـــرة من مدونة "سوخانوف ".

وفى عام ١٦٥٣ م بعث " سوخانوف " مرة أخرى إلى مصر لأجل اقتناء الكتب. وبالفعل يعود إلى موسكو وبحوزته ٤٩٨ كتاباً مخطوطاً ومنها مطبوعات من الدير وعنه[٤١].

ومن أشهر الرحالة الروس الذين زاروا الدير في القرن الثامن عشر رجل الدين " هيبوليت فيكتسكى " الذي زار مصر والدير لمدة تقرب أو تزيد عن الأسبوعين في شهر يونيو عام ١٧٠٨ م[٤٢].

وفى عام ١٧٦٧ م زار الدير الراهب الروسي " ليونتى " القس في دير عيد الصليب بمدينة " بولتافيا " وطبعت رحلته برعاية مؤرخ الكنيسة الأرثوذكسية " بوبوف " عام ١٩١١ م[٤٣].

أما رحلة الراهب " ورسانو " من مدينة كيف أثناء توجهه لأداء شعائر الحج بالقدس في المدة ١٤٦١ – ١٤٦٢ كانت مقضبة جداً كما شهدت بذلك سجلات رحلته الثانية إلى الدير[٤٤].

وبخصوص الحماية القانونية لهؤلاء الرحالة الروس، فلم يحصلوا عليها إلا بعد التوقيع على المعاهدة الروسية التركية المسماة " كوتشك – كينارجي أو كوجوك – قينارجه " عام ١٧٧٤ م.

كما أصبح بإمكانهم بعد تعيين " بارون فون تونوس " لأول مرة كقنصل لروسيا في الإسكندرية عام ١٧٨٣ م، أن يتوكلوا على مساعدة عملية من جانب القنصلية الروسية. وفى إطار كيفية دخول الرحالة والحجاج الروس للدير وصف " أومانيتس " وصفاً تفصيلياً كيف أن الرهبان المتوجسين من البدو والعربان قاموا برفعه عبر سور الدير العالى في سلة مربوطة بحرص.

وفى ذلك الوقت حوالي منتصف القرن الثامن عشر، كانت زيارة الدير تتم بواسطة توصية من رئيس الدير المقيم باستمرار في القاهرة " المحروسة " ومع ذلك لم يتمكن عديد من الرحالة من الحصول على تلك التوصية وهذا ما حدث مع الرحالة

الدانمركي الشهير " كارستين نيبور " الذي حل بسيناء عـــام ١٧٦٢[٤٦]. وأيـــضًا الرحالة الموسكوفي "بارسكي" الذي ظل عند جدران الدير لمدة يومين كاملين قبل أن يعدل الرهبان عن القواعد المتبعة[٤٧]. والسؤال هنا من هم هؤلاء الحجاج الـــروس وغيرهم الذين زاروا سيناء ؟

لقد كان من بينهم الحفظة الذين سرعان ما تستعيد ذاكرقم شـــواهد مـــن الكتاب المقدس بمجرد النظر للمكان المحيط، وهناك القصاضون البارعون في عـــرض مختلف أنواع انطباعات السفر، وهناك من جاء للسير في طريق " موسى " وتطبيقـــه على رواية التوراة، وأيضًا وجد بينهم الباحثون عن المغامرات، وأفـــضلهم دارســـو المناطق الغريبة التي لم يشاهدها أحد بعد. على أنه لم يكن حتى من بين هؤلاء عمليـــاً، ربما باستثناء القلة من أمثال " فوليثيشيف ونورروف " لم يكن بينهم علماء يتمتعـــون بإعداد خاص وبقاعدة منهجية وأهداف محددة بدقة ومهمات أبحاث[٤٨].

ولكي نتصور الأشخاص النموذجيين من هؤلاء الرحالة نتوجه إلى شـــهادة عضو الجمعية الفلسطينية المدعو " بيرم سميشليايف "[٤٩] والذي يستعيد بشكل مجازى أخلاقيات نزلاء خان سيناء الكنسي في القاهرة المسمى " بحى الجوانية " حيث كـــان يتوقف فيه الرحالة، وهو مكان مغلق فيه دير يؤجر للحجاج المتوجهين إلى سيناء بيوتاً وشققاً. وقد التقى " بيرم " بالراهب الروسي " زوسيما " في " الجوانية " ووصفه بيرم بما يلي: " مضى أكثر من نصف قرن على مغادرته وطنه وهو يعيش هنا منذ أربعـــين عاماً، وهو أوكراني الأصل من مدينة " كريمنيتشوغ " حيث فقد أي أمل في أن تنتقل رفاته ذات حين إلى براري وطنه...... ".

ونحن أيضًا نستعيد قول رئيس الدير "لأومانتيس" (تعتبر الحياة في ســـيناء أكثر صعوبة، ويفر الجميع إما لثقل الحياة أو لشح موارد العـــيش أو للغربـــة عـــن الوطن. وبالنسبة لبعد سيناء عن أماكن السكان فإن الرهبان يبقون تحـــت إشـــراف

الدير عادة مدة غير طويلة، النادر منهم من يعيش هنا خمسة عشر عاماً، وبالنسبة للأب "زوسيما" يشكل في هذه الحالة استثناء نادر)[٥١].

الرحالة الفرنسيون:

يجدر بنا في البداية أن نعطى عرضاً سريعاً لتطور الروابط الوثيقة بين الدير والفرنسيين، ففى سنة ١٢٢٩ شيد الملك الفرنسي لويس التاسع كنيسة في باريس كرسها للقديسة كاترينة، كما أن دوق " نورماندى " كان قد تبرع بمبالغ طائلة إلى الدير، وبالمقابل تبرع الرهبان بإحدى أصابع كاترينة إلى مدينة " روان " ثم أخذ الرهبان يزورون المدينة كل عام لجمع التبرعات من الذهب والفضة دعماً للدير، وقبلاً كان الفرسان اللاتين يضعون الدير وحجاجه تحت الحماية، وفى بعض الوقت كان الفرسان الصليبيون يقطنون في الدير يتناولون وجبات الطعام وينقشون شعاراتهم على حاشيات الأبواب وجدران الدير[٥٢]. وفى القرن الخامس عشر قام الرحالة الفرنسى " طاغور " بزيارة لمصر وسيناء، وذلك بعد موافقة السلطات الإسلامية في القاهرة، وفضلاً عن ذلك زودته السلطات بأحد المترجمين الخاصين بالسلطان، وأمدته بثلاثة جمال له ولمن معه، وهذا يوضح مدى حسن المعاملة من جانب السلطات الإسلامية آنذاك. وعلمنا من خلال مذكرات " طاغور " أن بطريرك الإسكندرية المتخذ من القاهرة مقاماً دائماً له وهو بنفسه الذي يختار القيم على دير سانت كاترين حيث أنه أثناء وجود طاغور بالقاهرة مات بطريريك الدير، فاختار بطريرك الإسكندرية خليفته وأرسله إلى سيناء، ويفهم من تلك الواقعة الفريدة أن الدير السينائى وقع في ذلك الوقت – النصف الثاني من القرن الخامس عشر – تحت سلطان الكنيسة الوطنية " القبطية المصرية ".

كما أشار " طاغور " إلى أن الرحلة من القاهرة للدير استغرقت نحو الخمسة عشر يوما إلى أن وصلوا لجبل سيناء ووصفه وصفاً شاملاً، وأورد أسطورة السيدة

كاترينة ثم يتابع وصفه لمحتويات الدير مثل حجرة الجماجم، وحدثنا أيضًا عن مصادر دخل الدير. كما انفرد طاغور بذكر خبر أن بطريرك الدير بعد أن يعين مـــن قبـــل بطريرك الإسكندرية فإنه يعين بدوره بطريركاً آخر يبعث به إلى الهند الكبرى حيـــث يوجد " برسترجون "[٥٣].

وفى بدايات القرن السادس عشر يزور سيناء الشاعر " جيهان تينو " الذي صعد إلى جبل موسى في عام ١٥٠٨ م على عهد السلطان قانصوة الغـــورى وقـــام بعده الرحالة " جريفات أفاجار "[٥٤] بزيارة سيناء عام ١٥٣٣ م بعد تأدية فريـــضة الحج في بيت المقدس. فكانت زيارته لمصر مجرد تكملة للشعائر وللتبرك بمزارت مصر الدينية وبخاصة جبل سيناء وديرها وقبر النبي داوود، وقد حاول جريفات وضع دليل إرشاد سياحي للأماكن المقدسة، وأفرد فصلاً فيه عن سيناء حيث قرر أنها من أفضل الرحلات الدينية التي مر بها في طريقة نحو الأراضي المقدسة، وفيما بين عامي ٤٦ – ١٥٤٩ م قام الطبيب الفرنسي " بييربييلون " برحلة إلى بعض أقطار الشرق المتوسط تضمنت وصفاً لأهم وأدق الأشياء في تلك الأقطار آنذاك ومنها وصـــف لأشـــجار "الأكاسيا " حول عيون موسى والنباتات التي تنمو على الطريق المؤدى لسيناء[٥٥].

ثم تتابعت الزيارات إلى سيناء، فكانت رحلة " جان بالرن " إلى الدير عـــام ١٥٨١ م. وقد كان من رجال الدين الفرنسيين على عهد ملكها "هنرى الثانى"[٥٦]. وزار الدير كذلك الرحالة " صموئيل كيشيل " الذي وصف دير ســـانت كـــاترين بالتفصيل وجبل سيناء وكاترينه[٥٧]، والحاج " ميشيل هيبربر " من بريتـــانى[٥٨] وفى عام ١٥٨٧ م زار الدير " هانس لودويج " من إمارة " ليختنشتين " ووصـــف لنـــا الطريق المؤدية إلى الدير[٥٩] وتقريباً نفس الوصف وصل إلينا في ثنايا رحلـــة هـــانس تيوفيل الذي وصل إلى الدير في يوم ١٨ أكتوبر عام ١٥٨٨ م[٦٠]، وفى سنة ١٦٠٠ كانت رحلة " هنري كاستيل " الذي صرح " لقد وجدت راهباً واحداً فقط قال لي بأنه يتضور جوعاً، كما شاهدت نحو ٢٥ راهباً آخرين يقطنون سفح جبل سيناء"[٦١]

ولم يقتصر الأمر على الرحالة فقط، فهناك مجموعة من السياسيين – قناصل أو سفراء – زاروا الأماكن المقدسة في مصر وسجلوا مشاهداتهم في مذكرات، أو قام آخرون بتدوينها بناء على طلب الزائر نفسه، فمع بداية القرن السابع عشر " عـام ١٦٠٤ ميلادي" كانت رحلة السفير الفرنسي في استانبول " فرانسوا سافاري دي بريـف " إلى سيناء في أثناء طريقة من تونس إلى الأراضي " المقدسة "، وقد سـجل رحلتـه مرافقة المدعو " دي كاستيل " ونشرها بعد وفاة " دي بريف " وكان نصيب مـصر وسيناء من كتابه لا يتجاوز الخمسين صحيفة فقط[٦٢].

وفى الفترة من ١٦٠٦ إلى ١٦١٠ كانت زيارة السيد Johon Wild إلى سيناء حيث زودنا بوصف دقيق لجبل سيناء الواقع على مبعدة ثلاثة أيام من السويس ووصف لنا أيضًا الكنيسة القائمة فوق قمة الجبل حيث يقوم فيها الحجاج والزائرون بالدعاء والصلاة [٦٣].

وفى فترة لاحقة تزايدت أعداد الرحالة الفرنسيين الزائرين إلى سيناء وديرها، ففي عام ١٦٣١ زار الدير السيد Vincent Stochove الذي حكـى بالتفـصيل القدوم للدير مع وصف عام للمنطقة والمسجد والعليقة المقدسة والكنائس العديـدة بداخل الدير أيضًا وصف وادى حريب " عريب " بجوار الدير[٦٤]. وفى نفس العـام زار سيناء " جبل فرمنال " وبصحبته ثلاثة من زملائه الأعضاء في برلمان نورمانـدى بجنوب فرنسا وقد زاروا الأماكن المقدسة في سيناء في أثناء عودهم من تأدية مناسك الحج في القدس[٦٥].

وهناك بعض الرحالة الذين زاروا الدير أكثر من مرة كالفرنسى " جان كوبان " الذي زار سيناء في الفترة من ١٦٣٨ – ١٦٣٩ وفى الفترة من ١٦٤٣ – ١٦٤٦ ووصف لنا الدير والطرق المؤدية إليه، وقد اتسمت كتاباته عن مصر عموماً بالحقـد والكراهية[٦٦] وفى عام ١٦٦٤ بدأ الفرنسي " جان ده تيفنو " عـصر الـرحلات العظيم إلى سيناء أي عصر السائح المحترف أو المكتشف. ففي ذلك العام أصدر كتابه

" رحلات السيد تيفنو في الشرق" حيث وصف مصر وصفاً دقيقاً بمدنها الرئيسية، وما يثير الاهتمام فيها ويجدر التنويه بأنه كان قد زار سيناء وديرها عام ١٦٥٢ ووصف دير كاترينه وصفا سريعاً.

أما الرحالة " Bolt Hosas " فلم يكتف بوصفه للدير بل رسمه هو والجبال المحيطة وكذلك رسم ووصف الطرق المؤدية إليه[٦٧].

وكما بينا سابقا فلم يكن الرحالة فقط من اهتموا ودونوا الأخبار والمعلومات عن سيناء وديرها، بل وجد أيضًا القناصل الذين غالباً ما اهتموا بالوثائق والمخطوطات كما أنهم أفادوا من وظائفهم، فتجولوا بحرية في المنطقة مسجلين ومدونين، ولا أقول متجسسين، ما شهدوه وفى مقدمة هؤلاء القناصل ينبغي الإشارة إلى القنصل الفرنسي " بينو دي ميليه " الذي مكث في مصر ستة عشر عاما من ١٦٩٢ إلى ١٧٠٨ ونادي " دي ميليه " بالكشف عن المخطوطات الهامة في الأديرة المصرية، خاصة دير أبي مقار ودير سانت أنطوان " أنطونيوس " بالبحر الأحمر وسانت كاترين[٦٨].

وفى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر تتابعت الرحلات للمنطقة بصورة مضطردة، بالرغم من أن الحركة الصليبية قد تركت أثراً مريراً في نفوس المسلمين بعد تجربتهم مع الغرب الأوروبي، إلا أن ذلك لم يمنع من قدوم بعض الرحالة إلى مصر في تلك الفترة وما قبلها[٦٩] والغالبية سجلت انطباعاتها الشخصية بروح التعصب الديني، وبالنسبة لسيناء فقد لفتت أنظارهم، وقدموا لها وصفاً وافراً خاصة وأنهم يمرون عليها أثناء قدومهم أو عودتهم من مصر، ووصفوا لنا ديرها ورهبانه، حيث ذكروا أنهم ينتمون للكنيسة اليونانية ويلبسون غطاء يغطى أجسامهم كلها، ويعملون في فلاحة الأرض " حديقة الدير " ولا يأكلون اللحوم أو الزبد وغذاؤهم الرئيسي من الزيتون والبصل والسمك، وأكد "بالرن " أن سيناء هي جزء من آسيا. كما أكد بيلون أن الحجاج المسيحيين الأوربيين يحرصون بعد أداء فريضة

الحج على زيارة سيناء، وبالتالي فلا بد من المرور على دير سانت كاترين كما يتحتم على الحجاج الحصول على تصريح من السلطات العثمانيـــة لزيارة الدير، كما ذكر "بيلون" أن الدير يحتوى على العديد من رجال الدين المارونيين والسوريين واليونانيين الذين يتحدثون بلغات متعددة ومختلفة ظهرت في المخطوطات العديـــدة المحفوظـــة بالدير[٧٠].

وبمجيء القرن الثامن عشر تشابهت كتابات الرحالة الفرنسيين مع سابقيهم من زوار الدير في القرنين السادس والسابع عشر من حيث أن العديد منهم قـــد زار مصر بعد أداء فريضة الحج ببيت المقدس من أجل زيارة المزارات المـــسيحية فيهـــا وبخاصة دير سانت كاترين.

وقد اختلفت الظروف السياسية في مصر في القرن الثامن عشر عـــن القـــرنين السابقين حيث كانت أحداث هذا القرن سريعة ومتلاحقة. كما انفرد هذا القـــرن بمجيء مجموعة من الرحالة يمكن أن يطلق عليهم " الرحالة الجواسيس " كالبـــارون دي توت، فولني، أوليفه " وقد أوفد الأخير ممثلاً من قبل حكومته ليضع اللمـــسات النهائية لاحتلال مصر، ويظهر ذلـــك مـــن وصـــفه الـــدقيق لتحـــصينات مـــصر العسكرية[٧١].

وهناك الأب "كلودسيكار" الذي كان رئيساً للبعثة اليسوعية بالقاهرة وأقام بمصر من عام ١٧٠٧ إلا أنه توفى بها عام ١٧٢٦[٧٢] وقد تضمنت رسالته إلى الأب " فلوريو " عن الرحلة إلى سيناء وصفاً لها في المجموعة التي نـــشرت عـــام ١٨٣٠ "بعنوان رسائل مرشدة ذكريات الشرق "[٧٣].

وتعتبر رحلة " بول لوكا " من أهم الرحلات في النصف الأول من القرن الثـــامن عشر، ويلاحظ أنه لم يزر سيناء، بل وصف لنا رؤياه للحجر الذي يعتقـــد أن رأس القديسة كاترينهة قطعت عليه في مدينة الإسكندرية ويبدو أنه حذا في ذلك حـــذو سابقيه من بعض رحالة القرنين السادس والسابع عشر " كجان تيفنو " الذي ادعى

نفس الشيء، وإن كنا نعتقد أن تلك الأسطورة مبالغ فيها إلى حد بعيد، فكيف يعقل أن يكون ذلك الحجر الصغير قد ظل باقيا في مكانه طيلة هذه الفترة الطويلة ولم تغره عوادي الزمن، وعوامل التعرية . ألا يكفى أسطورة نقل رفاتها بواســطة الملائكــة ! وعموماً فملاحظات " لوكا " سجلها في مذكراته التي طبعها عام ١٧٧٢ م[٧٤].

وفى يوم ١٧٩٨/١٢/١٩. كانت زيارة " نابليون لمنطقة مناهل موسى في سيناء، حيث منح ممثلي دير سيناء صك أمان يعفى الدير من جميع الضرائب. وقــد حاول الرحالة الروسي "أومانيتس" الذي زار الدير عام ١٨٤٣ إيجاد هذا الــصك حيث ورد أنه محفوظ في سجل الأوراق المحفوظة بالدير لكن تنقيباته مع الأســف لم تكلل بالنجاح[٧٥].

وفى نفس الوقت والظروف كانت رحلة المسيو ج. كوتــل " إلى ســيناء وديرها[٧٦]. والرحلة كانت من قبل قيادة الحملة الفرنسية في القـــاهرة وسجلها " كوتل " يوما بيوم، ويهمنا هنا وصفه للدير الذي وصله في اليوم السابع عشر مـــن مغادرته القاهرة ووصف لنا الاستقبال الجيد من قبل الرهبان إلى الحد الذي دعاه بأن يصنف ذلك الاستقبال بالملق أو التملق، ثم قام الرهبان بإنزال " كوتل " ومن معه إلى رواق الأغراب حيث مكثوا خمسة أيام زاروا فيها الدير والأماكن المقدسة المحيطة به، وحدثنا أيضًا عن محتويات وأبعاد كنيسة كاترينا وست وعـــشرين كنيـــسة أخـــرى وكذلك المسجد بالإضافة لترسانة الدير ومحتوياتها من البنادق ذات المحاور، كما أنـــه علم الرهبان طريقة التطعيم عن طريق شق القشرة، وكيفية تكاثر أشـــجار الكـــروم بواسطة ترقيد العقلة، وقال " إنه باستثناء قداس الصباح وبعض الصلوات التي تتلى في المساء فإن هؤلاء يقضون كل وقتهم في إنجاز لا شيء... ".

ويسترعى انتباهنا مدى التحامل البين الذي صبه " كوتل " على الرهبـــان ونعتقد أنه يرجع للاختلاف العقائدي والمذهبي لكـــلا الطـــرفين، بالإضـــافة إلى أن

الفرنسيين يعتبرون مستعمرين أياً كانت مبرراتهم الليبرالية، وبالنهاية فرهبان الدير ينتمون إلى أثينا عقائدياً وإلى أرض مصر مكانياً.

وختم " كوتل " عرضه للرحلة بقوله إنه كانت توجد قطعة من جوار السور قد تهدمت ولم تكن لديهم " الرهبان " وسيلة لترميمها فوعدناهم بأن نرسل إليهم بنائين سافروا مع أول قافلة تنفيذاً للاتفاق الذي عقدناه مع العربان، وبالفعل رمم السور علي عهد كليب، وبعد ذلك بعدة سنوات وجد أحد الرحالة الروس الذين سافروا براً من سوريا إلى جبل سيناء وجد اسم هؤلاء الذين قاموا بالترميم مدوناً أو منقوشاً في حجرة الأغراب دليلاً على عرفان الرهبان للفرنسيين بالجميل.

وفى ١٨٢٣ زار أحد رجال الدين الفرنسيين ويدعى الأب " مارى جوزيف دي جيرانب " الدير ووصف الصندوق الذي حفظت فيه يد القديسة وجمجمتها واليد المحلاة بالخواتم النفيسة من هدايا الزوار، وذكر " جرانب " أنه بمجرد فتح الصندوق انتشرت رائحة ذكية وأخذ رئيس الدير بيديه الجمجمة التي كانت مكسوة في الذهب ومحلاه بتاج من الذهب، كما شاهد جرانب المكتبة، ووجدها عظيمة إلا أنه في ذلك العهد لم تكن قد دونت محتوياتها، وقد لاحظ أن غالبية زوار الدير من الإنجليز[٧٧]. لقد كان الحج للقدس وسيناء محاطاً بتقدير كبير حتى يمكننا القول أن أفضل وسيلة آنذاك لعبور الشرق هو المجاهرة بالظهور بمظهر الحاج !

ونأتي إلى عام ١٨٢٨ ورحلة امرأة مغامرة كانت من الساقطات اللواتي سافرن في ركاب حملة نابليون على الشرق وضمها نابليون إلى جهازه السري للمخابرات، وحديث تلك السيدة تحت اسم " إيدادي سانتلم " به كثير من عدم الصدق، وقد أثر فيها رفض الرهبان قبولها بالدير، وحينما عادت للقاهرة ادعت أنها حصلت من الرهبان على مخطوطات ثمينة في مقابل هدايا ثمينة استحضرتها لهم. وبدأ أن هذا غير حقيقي[٧٨]. وإن كنا نعتقد أن في الإمكان حدوثه.

ومع نهاية عصر محمد علي زارت سيدة فرنسية تـدعى الكونتيــسه "دي جاسباريني" سيناء ووصفت بدوها وخاصة قبيلة أولاد سعيد، وشـيخهم والموكـل إليهم في ذلك الوقت مهمة التعاقد بين المسافرين والعرب الآخرين. وكان يكفى إبراز خاتم الشيخ لكي يسلم ممثل الدير في القاهرة للمسافرين خطاب التوصية إلى رئـيس الدير(٧٩).

وقد زار الدير" الكونت دي بارى وشقيقه دوق دى شـارتر". سـنة ١٨٦٠ وبصحبتها أحد المؤرخين لتدوين رحلتهما، وقابلهما وإلى مـصر " سـعيد باشـا " وسافروا من القاهرة لجبل سيناء في ركب مكون من ١٣٨ جمـلاً، ١٥٠ خادمـاً، واستقبلهما رهبان الدير من خارج الباب بالأغاني والتراتيل حتى الكنيسة الكـبيرة، وبعدها بثـلاث سنوات كانت زيـارة ولى عهد بلجيكا الذي أصبح بعد ذلك "ليوبولد الثاني" ملك بلجيكا سيناء وديرها وصدر كتاب عن تلك الزيارة(٨٠).

وآخر الرحالة الشهيرين الذين زاروا الدير في الفترة الحديثة كان الرحالـة السويسري "يوهان لودفيج بوركهارت" الذي وضع وصفاً شاملاً عـن محتويـات الدير، وأفاد بأن عدد الكنائس الموجودة داخل الدير نحو ٢٧ كنيـسة، بالإضـافة لإسهابه في وصفه للمسجد، وقال بأنه توجد قبيلة مستضعفة تدعى "بالوزناى" تختص لخدمة الجامع القائم وسط الدير(٨١).

وتبع بوركهارت الذي كان أول رحالة سويسري يهبط مصر أحد مواطنيه وهو "روتماير" من مدينة بال، وأخيراً هناك "المسيوكايزر" المتخصص في الباليوتتولوجيـا "علم الحيوانات والأشجار القديمة" وزار دير سانت كاترين واستفاد مما هو موجـود في الحديقة(٨٢). ولنا أن نتساءل عن كنه وطبيعة الأعمال الأصلية لهـؤلاء الحجـاج والرحالة ؟ فالغالبية كانوا رجال دين يحجون إلى بيت المقدس ثم يعرجون نحو مزارات مصر الدينية، وعلى الرغم من كونهم رجال دين إلا أنهم كلفوا في بعض الأحيان من قبل رؤسائهم بتأدية بعض المهام السياسية " كجان تيفنو ودارامون " الأول جاء مهمة

سياسية إلي حكام مصر والآخر مع سلطان الدولة العثمانية في إستانبول. وهناك من الرحالة من نطلق عليهم تجاوزا علماء مثل " بيير بيلون " المهتم بالعلوم الطبيعية، والجغرافي " أندريه تيفين "، والشاعر والأديب "بالرن" وقد تطابقت كتاباتهم إلى حد بعيد.

وتتوالى الرحلات والزيارات إلى الدير طوال القرن التاسع عشر، ويظهر الأدباء والأعيان ورجال الحكومات والعلماء، ففي عام ١٨٦٨ زاره القانوني " بول لنوار " و " بوتاه " و " ليون جيروم " والذين كانوا قد دعوا إلى حفلات افتتاح قناة السويس، وزار الدير أيضًا الأب لاجرانج عامي ٩٣ – ١٨٩٦، وأيضًا الكاتب الشهير " بيرلوتى " الذي زار الدير عام ١٨٩٤ محققاً رغبة والدته الخاصة بالحج إلى الأماكن المقدسة المسيحية في فلسطين، ولكنه أثر أن يبدأ رحلته في مصر ثم يشن عليها بعبور سيناء وطريق القوافل المهجور، وكان قبل قيامه برحلته هذه قد استوعب خلفياتها الإنجيلية التي كان قد ألم بها في السابق أثناء الأمسيات التي كان يقضيها مع أسرته وهو طفل. وقد وصف رحلته هذه في ثلاثية " الصحراء – القدس – الجليل "(٨٣).

وبالرغم من ذلك فإن تلك الرحلات التي نشرت عن سيناء احتوت على معلومات قليلة ومعروفة سلفاً عن الدير، فكل التي أعلمتنا به تلك الرحلات أن الكاتدرائية جددت سنة ١٨٤٨ أثناء زيارة الكونتيسه " دي جاسبارين "، وأن كنيسة صغيرة بنيت في عام ١٨٦٣ على قمة جبل موسى. وذكر الأب " جوليان " أعادة بناء كنيسة جديدة سنة ١٨٨٩ بالغرفة التي تحفظ بها عظام الرهبان، وفى عام ١٨٩٦ أعيد ترميم دير الشهداء الأربعين، وذكر " لوتين دي لا فال " أن ديوان الدير رمم في سنة ١٨٥٠ وأعيد الترميم ثانية في سنة ١٨٦٣.

وأفادتنا تلك المذكرات بمعلومات عن ارتفاع تكاليف الرحلة للدير، وتذخر كتاباتهم بتفاصيل كثيرة عن ثمن تأجير الجمال والإقامة في الدير والهدايا والإتاوات

التي كان يتقاضاها الشيوخ البدو من الحجاج والرحالة. فقد لاحظت " دي جاسبارين " أن تكاليف قافلة مكونة من ١٦ جملاً بما فيها كل المصاريف والإقامة بالدير قد صعدت إلى ٧٥٠ فرنكا أي ضعف المصاريف التي تكلفها الحاج المجهول الذي كتب عن رحلته من غزة إلى سانت كاترين في القرن الخامس عشر. ومن المفروض أن الرهبان لا يتقاضون شيئا من الزوار إلا أن التقاليد جرت على أن يسلم الزائر إلى رئيس الدير ما يعادل الإقامة في فندق جيد.

ولم يقتصر الأمر على الزوار والرحالة الأجانب فقط، بل كان هناك الكثير من العرب مسلمين كانوا أم مسيحيين، وكيف لا والدير يقع في أراضٍ مصرية عربية. فمن أوائل الزوار العرب " الشابشتي " صاحب كتاب " الديارات "[٨٤]. الذي وصف فيه جبل سيناء والكنيسة وسور الدير وقطره وباب الدير وبعض الأساطير الخاصة بالدير، بالإضافة إلى ثلاث أبيات من الشعر الذي قيل في الدير لشاعر يدعى " أبو عاصم "[٨٥]. ومن الزائرين العرب الذين أدوا خدمات ومنافع للدير " نصر الله الشاغوري " الذي ترك نقشاً يدل على صاحبه والعمل الذي قدمه للدير[٨٦] وكان الزوار العرب يتركون بعض الكلمات ذات المغزى المعين سواء كان دينيًا أو شعرياً. كما أنهم كانوا في الغالب يسمون الدير " بطور سيناء " وليس سانت كاترين[٨٧] ويبدو أن ذلك راجع للموروث الإسلامي والتراث العربي في وجدانهم. وهناك المسلمين الذين زاروا الدير وبخاصة المسجد الكائن بداخله وسجلوا أسماءهم بالحبر على اللوحة المرمرية المثبتة في المحراب[٨٨].

ومن بلاد الشام " سوريا " زار الدير "خليل صباغ "[٨٩] عام ١٧٥٣ برفقه رئيس أساقفة الدير، والمطران "قسطينوس"[٩٠] و٥٦ زائر مسيحياً من مختلف البلدان، حيث قطعوا مسافة الطريق في أحد عشر يوما بواسطة الجمال التي هي وسيلة المواصلات المتاحة في ذلك الوقت، واستقبلهم الرهبان بأصوات الفرح

وبعضهم بالبارود والرصاص، والبعض منهم بالترنيم بالأناشيد وبـــدق النـــواقيس. ولاحظ صباغ أنهم لكي يدلفوا إلى داخل الدير عليهم أن يمروا عبر طريق له ســبعة أبواب أربعة منها حديد وثلاثة خشب، ثم يصف صباغ الكنيسة الكبرى بكل تفصيل وخاصة الذخائر حيث إن أحدهما مصنع من المرمر الأبيض وعليه ثلاثة أقفال ومفاتيح الأقفال بيد ثلاث من وكلاء مشايخ الرهان. ويتابع وصفه لهيكـــل عليقـــة موســـى الواقفة خلف الهيكل الكبير، ويسرد صباغ بقية أسماء الكنائس التي في طور سيناء[٩١]. ويفرد صباغ مساحة معقولة للحديث عن رهبان وزوار الدير، كما وصف لنا المقابلة الجيدة " التراتزة "[٩٢] وهناك غسل الآباء أرجل الضيوف جميعاً ثم رجعوا إلى كنيسة العليقة لكي يكتبوا أسماءهم في دفتر الزيارات [٩٣] وبعد فترة داخل الدير خرجوا منه متجهين نحو جبل سيناء في حريب، وهناك قابلوا في طريقهـــم كنيسة " إيليـــا أو اليشاع " بعد الدير بمسافة تبلغ خمس ساعات تقريباً، وفيها وصلوا إلى جبل حريـــب حيث وجدوا كنيسة صغيرة على اسم التجلي الإلهي وعلى بابها بلاطة من الرخـــام كتب عليها باللغة العربية أسماء المتنحين المتوفين " ميخائيل صوايا وجبرائيـــل مكـــن ونصر الله الشاغوري الدمشقيون بتاريخ ١٥١٦ م ".

وتتابع الصور البيانية عن دير سانت كاترين برواية صباغ حتى كانت ليلـــة عيد " الست كاترينية " وحضورهم الاحتفال. وفى صبيحة العيد المقدس قفل صباغ عائداً من الدير إلى السويس[٩٤].

ومن الرحلات الهامة إلى دير سانت كاترين رحلة " الشاسي أفرام " وفيها تحدث عن دير طور سينا المقدس، وعن الكنائس التي فيه، وعلى قلاليه وعلى الجبل المقدس والكنائس، والطريق الذي من مصر، والطريق الذي من غزة ومن القدس الشريف، ومن بلدة الطور أيضًا، والحياة اليومية للرهبان وما ينتجوه من محاصيل ومؤنة الدير. وتحدث قليلاً عن علاقة الدير بالعربان وإن كان أغلب المخطوط قد خصص لـــذكر الطرق المؤدية إلى دير سانت كاترين [٩٦] ويـــلاحظ أن " أفرام " لم يأت على ذكر

المسجد الكائن بالدير وهذا غريب بعض الشيء، فحتى الرحالة الأجانب كانوا دائماً يذكرونه بشيء من الإعجاب. وهناك بعض الرحالة الأرثوذكس الـذين تخلفـوا في منطقة الدير وعاشوا بقربه – مدينة الطور – وكونوا مع مـرور الوقـت الأسـر والعائلات مثل أسرة " عنصرة " التي جاءت أصلا من القـدس، وكـان كـبيرهم قسطنطين عنصره وكيل للقنصيلة الروسية في الطور، بالإضافة لأسر عديدة أخـرى استقرت بجانب الدير وتباركت به(٩٧).

وتتابعت الرحلات والزيارات نحو دير سيناء، فمع بداية القـرن العـشرين يقوم الأب " ميشال جوليان اليسوعي "(٩٨) بزيارة الدير، ويطبع كتاب " طور سيناء وسورية " خص منه القسم الأول لوصف جبل الطور في نحو أربعين فصلاً، ضـمنها كل ما يختص بسيناء وقراراتها الدينية(٩٩) وصولاً إلى رحلات " أحمد شـفيق، نعـوم شقير، نيكوس كازانتراكيس "(١٠٠) المستر رابينو، بازيلي....، في العصر الحديث.

وأما مسألة ذهاب النساء للدير بغرض الحج أو الزيارة فيحوطها الكثير من الشك، ولكننا نعلم من المصادر المتاحة أنه وجدت جوالات وَرِعات روسيات مـن أنصاف المتعلمات جئن إلى الدير، جاء ذكرهن عند الكاتب الروسى " ليـسكوف " حيث وصلن إلى سيناء سيراً على الأقدام من مدن " فوروينج وفيرخوتورى " وأيضًا علينا التذكر برحلة " إثيريا ".

وفيما يتعلق برحلة التوأمتين " سميث لويس ومارجريت دنلوب جبسن " اللـتين زارتا الدير مع نهاية القرن التاسع فقد كانتا تنتميان إلى مذهب البرتستانت القسيسين PREESBITERIANS، ولذا شعرنا باحتقار نحو رهبـان الـدير وبـرغم انتمائهما إلى الطائفة نفسها فإن الفجوة الثقافية بين الرحالة الغربيين ورهبان الشرق الأدنى عموما كانت من السعة بحيث بدا من الصعب تقليصها، وتفـسير ذلـك أن هؤلاء الزوار بذلوا جهداً محدوداً في محاولة فهم ثقافة هؤلاء الرهبان وطريقة عبادتهم وصلاتهم، والذين كانوا يشعرون بتفوقهم عليهم، وكانت السيدة " لويس " وأختها

مؤمنتين بتفوقهما الديني على الرهبان. هذا وقد قامت لويس وأختها بالعمل كأدلاء للسيدة "بنسلى" التي زارت الدير سنة ١٨٩٦ ولاحظت الأخيرة مدى الحب الذي يكنه الرهبان للتوأمتين برغم نظرتهما المتعالية[١٠١].

وقليلاً ما زار المصريون الأقباط الدير، وإن كان ذلك بسبب الخلافات المذهبية بين الفريقين والكنيستين ورجع ذلك أيضًا للسياسة العثمانية التي غالباً ما منعت المصريين المسيحيين من زيارة الأماكن المقدسة في أنحاء البلاد المختلفة وخارجها، ولكن الأمر يتطلب منا التساؤل حول إذا كان هناك نفور في العلاقة ما بين الرهبان وزائري وحجاج الدير. أم أنهم اتصلوا ورحبوا بهم ؟

ويبدو أن الرهبان كانوا إلى حد ما مرحبين بهؤلاء الزائرين، فقد قابلوا الكثير منهم بالأناشيد والتراتيل الدينية كلقائهم " للكونت دي بارى وشقيقه "[١٠٢] وكانوا في بعض الأحيان يمدون المسافرين ببعض الأغذية، ولكنها في الغالب في مقابل نقدي كما حدث مع " فيلكس فابرى " كما أن بعض الرهبان عمل كمرشد سياحي لزوار الأماكن المقدسة في سيناء.

ولقد بلغ من قيمة وتقدير الرحالة الأوربيين لسيناء وديرها، أن وجدنا البعض يدعى كذباً بزيارته لها بالرغم من عدم صحة ذلك. مثل الروائي الكبير "الكسندر دوماس" الذي نشر كتاباً بعنوان " خمسة عشر يوماً في سيناء " رغم أنه لم تطأ قدماه أرضها، ولكنه أخرج كتابه كما لو كان قام بالرحلة فعلاً، وجاء بتفاصيل صغيرة لا تتأتى إلا لمن ذهب لسيناء، وقد تندهش من جراء وصفه الدقيق فهو يصف الأهوال والمصاعب التي رآها في الطريق للدرجة التي أصيب فيها بالجنون المؤقت ويقول " أشعر من دون ريب بأن الأيام الأربعة التي قضيناها في صحراء سيناء كانت أسعد أيام حياتي وأكثر إنشغالاً " ولاحظ أن الإنجليز هم أكثر زوار للدير في وقت زيارته عام ١٨٣٦ — حيث بلغوا حوالي أربعة آلاف، واثنين وعشرين فرنسياً، وأمريكي واحد. كما سجل أيضًا (عند زيارتي الدير شاهدت ستين راهباً وثلاثمائة خادم وقدم

له الخدم وجبات الطعام المؤلفة من البيض واللوز والكعك والجبن والتمر والبراندي، لقد كانت واحات الرهبان مزدهرة حيث توجد فيها مزارع واسعة للكروم وعنـــد مغادرتي الدير زودني الرهبان بالبرتقال والمشمش وشراب مستخلص مـــن التمـــر) وبخصوص العربان يقول (طفنا حول جدران الدير المنيعة ملتقين بكل خطوة نخطوها بالبدو الرحل الذين كانوا شبه عراة. ويبدو أن منظر الدير قد جذبهم إلى تلك المنطقة أملين العيش على الحسنات التي يقدمها الرهبان لهم على نحو ما يشبه وضع الفقـــراء الذين يوجدون بالقرب من أبواب الكنـــائس، بأمـــل الحـــصول علـــى حـــسنات الأغنياء"[١٠٣] وتكاد تلمح في كتابته مسحه استشراقية متحاملة على العربان، فيكاد أن يكون هو الوحيد الذي يصفهم بتلك الطريقة المتدنية ويبدو أنه ترك العنان لملكته الروائية في اختلاق ذلك الوصف. وبتشجيع وصف دوماس وانتشار سفريات شركة " توماس كوك " في المنطقة يقوم روائي آخر يدعى "بيرلوتي" برحلـــة للـــدير ســـنة ١٨٩٤م آملاً في استرجاع الإيمان بهذا العالم الروحاني بعد أن أرهقته حياة باريس... ويكاد يطابق وصفه غالبية الرحلات السابقة إلا أنه لاحظ أن أغلب الأسمـــاء مـــن الحجاج الذين زاروا الدير ونقشت أسماؤهم على الجدران وكتبت باللغات الروسية والفرنسية واليونانية، كما أنه أندهش من وجود الجامع داخل جدران الدير.

وبالنهاية فهؤلاء الحجاج والرحالة أو الرحالة الحجاج كانوا قليلى العدد، وغالباً لم تقدر ملاحظاتهم حق التقدير، لكننا لا نملك الحق في تجاهلـــهم ولا إغفـــال حـــق الدير.....[١٠٤].

حواشي الفصل الخامس

(١) حفلت المكتبة العربية بالعديد من الدراسات التي تناولت الرحلة والرحالة مثل: نازك سابايارد، الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة (بيروت. ١٩٧٩) نقولا زيادة، رواد الشرق العربي في العصور الوسطى (بيروت. ١٩٨٦)، حسين فهيم، أدب الرحلات (عالم المعرفة ع ١٣٨، الكويت، ١٩٨٩)، فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي (القاهرة، ١٩٩٥) " الرحلات العربية والرحلات الأنواع الإغراض والتأثيرات " في دورية الفكر العربي، ع٥١، بيروت ١٩٨٨، " ادب الرحلات " في دورية المورد، ع٤، م١٨، بغداد ١٩٨٩، " الرحلة والرحلات في دورية الثقافة الاجنبية "، ع٣، سنة ٩ بغداد ١٩٨٩ و " حكايات الرحالة " في رسالة اليونسكو، ع٣١١، القاهرة... الخ.

(٢) بنتلى، المرجع السابق، ص٦١.

(٣) Mlabib; Op. Cit., PP. 33-59; Rabina; Le monastere ...., PP. 21,55-56.

(٤) إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص١٢٠.

(٥) إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص١١٩.

(٧) ترجمها ونشرها كل من: د. فريمى De Fremy، سانجونتى Sangunetti في أربعة مجلدات في الفترة من ١٨٥٣ – ١٨٥٩ م انظر:

Fresco Boldi, L. Viisit to the Holy by Places of Egypt , Sinai and Syria in 1384, Tranlated from the Halian by. The ophilus Belloini and Eugene With a Proface and Notes by Bellarmino Bagatti, Jerusalem , 1984 ,

(٨) نشرت الرحلة ١٨٤٦ م بواسطة " أكاديمية العلوم والآداب والفنون الجميلة ".

(١٣) مصطفى ماهر، المرجع السابق، ص ٥٢-٥٣، رلى الزين، " العالم العربي في عيون غربية خلال خمسة قرون، معرض خاص عن الكتب النادرة في معهد العالم العربي بباريس "، في الحياة، لندن، ١٩٩٤.

(١٤) للمزيد من التفصيلات انظر، روبن فيدين، " الرحالة الانجليز إلى الشرق الأدنى " ت: كاظم سعد الدين، في الثقافة الأجنبية، ع٣، سنة ٩، بغداد، ١٩٨٩، ص ص ٤٠-٤٩.

(١٦) للمزيد من التفصيلات حول زيارة لوردى أنظر: ابى أياس، المرجع الـــسابق، جــــ٤، ص ٥٥٥ – ٥٥٧، ٢٦، أحمد دراج، المماليك والفرنج في القرن التاســـع هـــــ والعاشـــر م (القاهرة: دار الفكر، ١٩٦١)، ص١٥٠.

(١٧) يذكر أن جريثينوس كان يحمل لقب إرشمندريت Ardhimandrite الذي كان يطلـــق على رؤساء الاديرة، وعليه يبدو أنه كان رئيس لاحد أديرة موسكو. انظر: فايز اســـكندر، المرجع السابق، ص ١٩ – ٢٠.

(١٨) يرى المؤرخ الروسى " دانتسيغ " صاحب كتاب عن تاريخ دراسة الـــشرق الأوســـط في روسيا أن فارسونى يعتبر أول رحالة روسى حل في سيناء.

(٢٠) بيرمينوف، المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٢١) المرجع السابق، ص ١٧٥.

(٢٢) أعيد اصدارها مرات عديدة وقد ادرجها " توفيكوف " أحد الروس المتنـــورين في العـــصر الحديث من مجموعة الآثار والوثائق التاريخية (البيلوجرافيا الروسية القديمـــة) الـــتي كـــان يصدرها، ووصل عدد طبعات تلك الرحلة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر إلى نحـــو أربعين نسخة مطبوعة، وعنونت الرحلة باسم " مسيرة ت. كوربتيكوف، ف. بوزيناكوف "، وهناك آراء ترى بأن بوزيناكوف هو المؤلف الأصلي لتلك الرحلة وليس كوربتيكوف، أنظر: المرجع السابق، ص ١٧١ – ١٧٣، نيفولاى بتروفسكى، المرجع السابق، ص ٢٠٤، فـــايز اسكندر، المرجع السابق، ص ٣١.

(٢٣) كان على كرسى البطريركية في ذلك الوقت الراهب " يوحنا المنفلوطى " الذي رسمه مجمع الاساقفة باسم يؤنس الرابع عشر، وهو البابا السادس والتسعون في تاريخ كرسى البطريركية الارثوذكسية. أنظر: أيريس حبيب المصرى، قصة الكنيسة القبطية، جــ٤، ص ٢٠ – ٢٦، منسى يوحنا، المرجع السابق، ص ٤٦٤–٤٦٥، وطنية الكنيسة القبطية، المرجع السابق، ص ٢٧٢، الأنبا ايسذورس، المرجع السابق، ص ٤٥٩.

(٢٤) هو البطريرك " أغناطيوس نعمه الله ١٥٥٦ – ١٥٧٦ م " من مدينة ماردين، أحبـــه والى ديار بكر ودعاه للإسلام فهرب وقيل انه توفى في روما ١٥٧٦م محافظاً على اعتقاده. انظـــر: الأنبا ايسذورس، المرجع السابق، ص ٤٦٢.

(٢٥) يفترض ان رئيس اساقفة سيناء في ذلك الوقت " المطران مكـاريوس الثـاني " القبرصـي والرئيس رقم ٣٣ حيث تولى الكرسي عام ١٥٤٥م ويقال أنه كان رجـلا سـيء السـمعة والسيرة مبذرا وكنتيجة لرفع أمره من قبل رهبانة إلى البطاركة الثلاثة (انطاكية – القدس – الاسكندرية) في محرم ١٥٤٧م تقرر أن يبقى الدير بلا مطران مدة لأن البطاركة قرروا عدم لزوم مطران. أنظر: نعوم شقير، المرجع السابق، ص ٥٢٢ ;

Rabino ; Le Monstere Sount – Catherine ……, P. 86.

(٢٦) كان من بين اعضاء الرحلة: رئيس الأساقفة ماكير Macaire المطران بيمن مطران مدينة نوفجورد Pim Endenovgarad رئيس الشمامسة للمدينة المدعو جونينادى نوفجـورد Guevmnade والذي توفى في الطريق للإسكندرية، كبير أشـراف بـسكوف **Pskov** المدعو كوم سلطانوف Come Soltanoff أنظر: بيرمينوف، المرجع السـابق، ص ١٧٢ – ١٧٣، اسكندر، المرجع السابق، ص ٣٢.

(٢٧) المرجع السابق، ص ٢٩ – ٣٠.

(٢٨) نشرت الرحلة باسم La Pelcrimage du Marchand Basile Pesniakoff ., 1884

(٢٩) فايز اسكندر، المرجع السابق، ص ٣٠ – ٤٠.

(٣٠) القنطار يزن حوالى ٩٢٨، ٤٤ كجم.

(٣١) عرفت الطور منذ القدم باسم رايثو Raithou كما أطلق على سكان الطور " شاسـو " والطور تعنى في اللغة الجبل الذي يسكوه الشجر. أنظر: ياقوت الحموى، معجـم البلـدان، جـ٣، ص ٥٦، البغدادى، مراصد الإطلاع، جـ٣، ص ٨٩٦، القلقـشندى، المرجـع السابق، جـ٣، ص ٣٠٧ – ٣٨٧.

(٣٢) كان المسجد في نظر باسيلى كنيسة قديمة إقيمت للقديس " باسيل البصرى " مؤسس طائفة الرهبان اليونان، أنظر: رابينو، المرجع السابق، ص ٤٠١.

(٣٣) انظر: فايز اسكندر، المرجع السابق، ص ٤٨ – ٥١.

(٣٤) يلاحظ ان بطريرك الاسكندرية في ذلك الوقت كان البابا غبريال الثامن من ديـر الأنبـا بيشو. أنظر: ايريس حبيب، المرجع السابق، ص ٢٧ – ٣١، منسى يوحنا، المرجع الـسابق، ص ٤٦٥.

(٣٥) يسميه شقير " المطراتن لفرنديوس ١٥٩٢ – ١٦١٧م " انظر: شقير، المرجع السابق، ص ٥٢٢.

(٣٦) انظر: فايز اسكندر، المرجع السابق، ص ٥٥ – ٥٨ نقلاً عن

Peregrination du Secretaire du Palais Triphon Korobieinkoff. Compte – Rendu de Triphanarobeinkoff , Concernant la Distribution des Aumoanes du ...

(٣٧) من أحدث الكتابات عن عصر بطرس الأكبر واعماله أنظر: فيكتور بوغانوف، حياة بطرس الأكبر، ت: خيرى الضامن (موسكو: دار التقدم، ١٩٩٠).

(٣٨) انظر: بيرمينوف، المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٣٩) صدرت الطبعة الأولى لتلك المذكرات عام ١٧٧٨ برعاية الأمير الموسكوفى " غريفــورى بوتيومكين " ونشرها الأكاديمية الملكية للعلوم في سانت بترسبورج.

(٤٠) ".... انطلقنا من مصر في رحلتنا عبر الصحراء يوم الاربعاء في العــشرين مــن آزار مــن الاسبوع الثالث من الصوم الكبير، سرنا يومين في ارض رميلة أو شجر أو مياه ما من قطـره ماء هنا فالمنطقة جافة عديمة المياه ولا يوجد شتاء فيها ولكن الشمس المتأججة دائمــا بقــوة بحيث تشوى جسم الانسان... وهناك الكثير من قطاع الطرق مختبئين بين الجبال، لقد هاجمونا قبل يومين أو ثلاثة ايام ليل نهار ولكنهم لم ينالوا شــيئًا وطردنــاهم لأننــا كنــا كــثيرين ومسلحين.... " وبالفعل فقد كانت القافلة هائلة بلغ تعداد الابل وحدها حوالي خمــسة الاف جما انظر: بيرمينوف المرجع السابق، ص ١٧٧، بيفولاى بتروفسكي، المرجــع الــسابق، ص ٢٠٩ – ٢١١، الهام ذهنى، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين....ص ٨٢.

(٤١) وقد تولى سوخانوف في أواخر ايامه منصب مدير دار المطبوعــات في موســكو، أنظــر: نيفولاى بتروفسكي، المرجع السابق، ص ٢٠٤.

(٤٢) نشرت رحلته عام ١٨٧٧ بواسطة الجمعية الملكية للتاريخ والآثار الروسية التابعة لجامعــة موسكو، انظر: الهام ذهنى، المرجع السابق، ص ٨١ نقلاً عن:

Volkoff Olag , Voyage URS Russen. En Egypt , Le Caire , 1972

(٤٣) وفيما يتعلق بــ " بويوف " فقد عاش في منطقة الشرق الاوسط لفترة تقرب من الخمــسة وأربعين عاماً ١٧٦٣ – ١٨٠٧ وقد قيم بويوف أعمال ليونتى خاصة بعــد أن درس ثلاثــة عشر مجلداً مخطوطاً من مؤلفاته المحفوظة في الإدارة الاسيوية لوزارة الخارجية الروسية والــتي

تعج بالمعلومات والاوصاف والرسمات الدقيقة لسيناء وديرها. أنظـر: بيرمينـوف، المرجـع السابق، ص ١٧٨.

(٤٤) انظر: نيفولاى بتروفسكى، المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٤٦) من الدانمركيين الذين زاروا سيناء أيضاً ج. نيبهـر .Niebuhr, G ١٧٣٣-١٨١٥ عام ١٧٦١م.

(٤٧) انظر: بيرمينوف، المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٤٨) عن الاسباب التي ادت إلى مجيء الرحالة إلى مصر انظر: كلوت بك، المرجع السابق، جـ٣، ص ١٥٥-١٦٠، وبخصوص النقد الموجه إلى هؤلاء الرحالة، انظر: نعوم شـقير، المرجـع السابق، ص٨٥، ١٦٣ - ١٦٤.

(٤٩) والذي يقول "... هاكم رجل بثياب متسخة ويافوخ حليق يجلـس علـى درج حجـرى ويصلح نعله المهترئ، مرحبا يا عم - حياة تابع سميشليايف القس يافل - لقد ابتليت نعليـك كما يبدو في سيناء، اتصلحها ؟ نظر الرجل بغضب اليه واجاب بفظاظة: نعم اصلح، اصلح، لن يصلح لى أحد. بالنسبة لك يكفى ان تشير واذ بنعلك جاهز، اما أمثالنا فلن يقدم لهم احد اى شئ دون مقابل... ". انظر: بيرمينوف، المرجع السابق، ص١٨٥.

(٥١) انظر: بيرمينوف، المرجع السابق، ص ١٨٦.

(٥٢) بنتلى، المرجع السابق، ص ٦٤.

(٥٣) ارتبط اسم جون بأسطورة في الغرب اللاتينى مفادها بأنه هو الذي قام بنشر المسيحية بـين قبائل التتار الذين حاول الغرب المسيحى جذبهم لجانبه ضد مسلمى الشرق الادنى الاسـلامى اثناء الحروب الصليبية ولقد اعتقد الكثير من الأوروبيين انه كان يحكم امبراطورية ضـخمة موجودة في اسيا وظلت هذه الفكرة عالقة بأذهان اهل الغرب اللاتينى حتى اخريات العصور الوسطى، حيث راجت اسطورة أخرى بان امبراطورية القس جون موجودة في الحبشة وانـه هو نجاشى الحبشة. أنظر: ناجلا محمد عبد النبى، العلاقات السياسية والاقتصادية بين البندقيـة ومصر في عهد دولة المماليك الثانية ١ ٣٨٢ / ١٥١٧ م، (دكتوراة لم تنشر بعد، جامعـة الاسكندرية، كلية الآداب، ١٩٨٤)، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٥٤) انظر: الهام ذهني، مصر في كتابات الفرنسيين في القرنين السادس والسابع عشر الميلادين (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٢) ص ٥٢ – ٥٣، السياحة في شيناء، المرجع السابق، ص ٣٤.

(٥٥) نشر الجزء الخاص بوصف هذه الرحلة عام ١٥٥٥م.

(٥٦) رحلته للمرة الاولى عام ١٦٠٦م، وإعيد نشرها ثانية عن طريق المعهد الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة. انظـر: Palerne, Jean, Le Voyage , en Egypt 1581 , Le Caire , 1970

(٥٧) أنظـر: Voyages en Egypt de Samul Kiechel, 25 Avril – 16 Septembre 1588 , PP. 60-73.

(٥٨) Voyages en Egypt de Micheal Hebererervan BRetten, 1585 – 1586, L'institut Francais d'Archolocie Orientale du Caire , 1976, P. 156.

(٥٩) Voyace de Hans Ludwic Von Lichtonstein 7juillet – 19 Octobre 1587 , P. 14.

(٦٠) Voyace de Hans Christoph. Taefel , 13 septambre , 9 December 1588 , PP. 169-174.

(٦١) أنظر: بنتلي: المرجع السابق، ص ٤٥، ويبدو أن توقيت زيارة " كاستيل " للدير جاء متوازناً مع الهيار مستوى معيشة الرهبان، وسرعان ما سوف تعود الأوضاع للإرتفاع وكذلك اعداد الرهبان عندما سيزور الدير " الكسندردوماس ".

(٦٢) انظر: الهام ذهني، المرجع السابق، ص ٦١ – ٦٢، ومن قبل زار الدير الرحالة " جان تينو " قبل أن يغزو العثمانيين مصر، وكانت زيارته بصحبة السفير الفرنسي " اندريه لى روى " الموفد من قبل ملك فرنسا " لويس الرابع عشر " لمقابلة سلطان مصر " قانصوة الغوري "، ووضع كتاباً سجل فيه مشاهدته وبخاصة الفصول الأخيرة منه تتحدث عن سيناء والأماكن المقدسة بها – أنظر: المرجع السابق، ص٥٢.

(٦٣) Voyages en Egypt , de Johen Wild , 1606 – 1610 , P. 36.

(٦٤) Voyace en Egypte de Vincent Stochove 1631 , PP. 61-62 , 66, 169, 71-73.

(٦٥) طبعت الرحلة للمرة الأولى في فرنسا عام ١٦٦٤.

(٦٦) نشر كتاب كوبان للمرة الأولى عام ١٦٨٦ بعنوان " الحروب الصليبية ". أنظر:
Voyages en Egypte de Jeam Coppen, 1638 - 1639, 1646, PP. 265 – 26, 272 – 274.

(٦٧) le Voyace en Egypte de Balt Hosas de Monconys 1646 – 1647. PP. 100 , 104.

(٦٨) قام الراهب " لى ماسكربه " بنشر مذكرات " ميليه عام ١٧٣٥ باسم " وصف مصر ".

(٦٩) من بين تلك الرحلات وبخاصة التي وصل أصحابها الى سيناء هناك رحلة الطبيب الفرنسي " دى ماندفيل " عام ١٣٣٦ م Jeam de Mandeville ورحلة " مزيبار " عام ١٣٤٧م Phubippe des Mezieres، رحلة القس هوج سنة ١٣٦٠م، رحلة فيليب دارتوا ١٣٨٩م، رحلة جورج لبينجرات في ١٤٢٢ – ١٤٨٥م. للمزيد من التفصيلات حول تلك الرحلات وغيرها أنظر: Jean Maire Carre , Voyageurs et ecrivains Francais En Egypt , Le Caire , 1966, Tame , I..

(٧٠) انظر: الهام ذهني، مصر في كتابات الرحالة، ص ١٢٣ – ١٢٤، ––––––، مصر في كتابات رحالة القرن.........، ص ٢٤١.

(٧١) المرجع السابق، ص ٧–٩.

(٧٢) كان السبب الرئيسي لمجئ " سيكار " مصر هو الرغبة في تحويل أقباط مصر الى المذهب اليسوعي " الكاثلكة " بدلا من المذهب الأرثوذكسي – ولفترة طويلة سابقة ولاحقة حاولت كنيسة الفاتيكان ترجمة ذلك الهدف عمليا – ولكن الكنيسة الوطنية الارثوذكسية وقفت على الدوام في وجه تلك المحاولات وحافظت علي استقلالية ووحدة الكنيسة الوطنية القبطية، ولم تكن بعثة سيكار رسمية بل بوازع ديني وفردى بحت وقال عن مكتبة الدير " الها عامرة بالكتب القيمة والمخطوطات السريانية واليونانية والروسية والعربية وان كان يلزمها التنسيق فهي مهملة والفوضي تدب في كل مكان "، وقد نشرت رحلته بعنوان:
Sicrar D. Clau de ; Nouveaux des Missions de La Compagnie de Jesus dans la levant , Paris, 1722.

(٧٣) أنظر: السياحة في سيناء، المرجع السابق، ص ٣٥.

(٧٤) عنوان تلك المذكرات " Voyage Du Sieur Paul Lacas au Levent ".

(٧٥) انظر: بيرمينوف، المرجع السابق، ص ١٢٨٠، ولا يوجد ذكر لذلك المنشور في فهـــارس عزيز سوريال ومراد كامل وكينث كلارك، ولكننا وجدنا منشوراً منسوباً إلى نابليون مؤرخاً في ٢٩ فريمير من السنة السشابعة للجمهورية الفرنساوية الموافق ٢٠ ديـــسمبر ١٧٩٩م، في كتاب نعوم شقير وكذلك وجدنا نفس المنشور ولكن بتاريخ مختلف " ٢٠ نوفمبر ١٧٩٩ " في كتاب وصف مصر (القاهرة: وزارة الإعلام، ١٩٨٥) ص ٨٠ – ٨١.

(٧٦) صحب كوتل في رحلته كل من المسيو " روزيير " واثنان من المترجمين وخادمان مـــصريان وأربعة من شيوخ العربان الذين يقودون الجمال، بدأت الرحلة في الخروج من القاهرة يوم ٩ أكتوبر ١٨٠٠م وانتهت مع غروب اليوم العشرون من بدايـــة الرحلـــة، وللمزيـــد مـــن التفصيلات انظر: ج. كوتل، " ثمانية وعشرون يوماً في سيناء "، ت: زهير الشايب، في كتاب وصف مصر جـــ٢ (القاهرة: مدبولى، ١٩٨٠) ص ٨٧ – ١٣٤. يجـــدر بالتنويـــه ان العنوان الأصلى للدرسة هو " ملاحظات حول طبوغرافية شبه جزيـــرة ســـيناء، التقاليـــد، العادات، الصناعة، التجارة، الشعب والسكان ".

(٧٧) انظـــر: إبـــراهيم غـــالى نقـــلاً عـــن P. MariE - Jos Ephde Geramb; Pelerinage a Jerasolem et au Mont Sinai , Paris , 1836.

(٧٨) انظر: إبراهيم غالى، المرجع السابق، ص ٢٠٨.

(٧٩) المرجع السابق، ص ٢٠٩ Mots tenves Pendant le voyage de S.A.R. Msy le Duc De. Brabant entrepris Dans ces contrees En 1836 , liege , 1865.

(٨٠) انظر: توفيق إسكاروس " حول سيناء. جهود عالم سويسرى أقام فيها نحو نصف قـــرن " في الهلال، مايو ١٩٢٧، جـــ٧، السنة ٣٥، ص ٨٣٣-٨٤٣.

(٨١) مصدرنا الاساسى عن الرحالة الفرنسيين، اطروحة " محفوظ لبيب " السابق ذكرها وبخاصة الصفحات ٨٩ – ١٠٩.

(٨٢) مصدرنا الاساسى عن الرحالة الفرنسيين، اطروحة " محفوظ لبيب " السابق ذكرها وبخاصة الصفحات ٨٩-١٠٩.

(٨٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، " عاشق الشرق بيرلوتى " في عالم الفكر، ع١، م١٥، ١٩٨٤ ص٢٤٥. ثروت عكاشة، مصر في عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدبـاء في القـرن التاسع عشر، جزءان (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٤) ص ٢٨١ – ٢٨٨.

(٨٤) كتاب الديارات، " لأبي الحسن على بن محمد الشابشتى ت ٣٨٨هـ / ٩٩٨م ". ذكر فيه كل دير بالعراق والموصل والجزيرة والشام والديارات المصرية، وتوجد من هـذا الكتـاب نسخة مخرومة في مكتبة برلين سقط منها جانب من ديارات العراق وكل ديارات الشام، مـا خلا دير البخت، وفى دار الكتب المصرية نسخة عنها خطية قليلة الضبط، وأخرى مصورة في الخزانة التيمورية، وعنها صورة في مكتبة الاستاذ حبيب زيات، وأول ما نشره كان كوركيس عواد ببغداد ١٩٥١م، ثم طبع للمرة الثانية عام ١٩٦٦ ببغداد ايضاً، والثالثة في بيروت عام ١٩٨٦، انظر: الأب جورج شحاته قنواتى، المسيحية والحضارة الإسلامية (بغداد: المكتبـة العالمية، ١٩٨٤) ص ٨٦، ــــــــ، " الإديرة النصرانية في الإسلام "، في أدب ونقـد، ع١٣، ١٩٩٥، ص ٢٤ – ٢٥.

(٨٥) يا راهب الدير ماذا الضوء والنار... فقد اضاء به في ديرك الطور.

هل جلت الشمس فيه دوٌن ابراجها... أو غيب البدر عنه فهو مستور.

فقال ما أحله شمس ولا قمر... لكن يقرب فيه اليوم قورير. أنظر: كوركيس عواد، الديارات لأبي الحسن على بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفى ٩٩٨م، (بيروت، ١٩٨٦) ص ؛

Atiya , " Some Egyptian Monastories Accordine to the Unpublished ms of Al ShABUAHUIS " Kitabal " Diyarat" in Bulletin Societe D'Archeoloce copte, Tome. V – 1939, Le Caire. PP. 21 – 22.

واصل تلك الدراسة محاضرة كان قد ألقاها عطية في:

Aieciure At The xx the intoranetional Congress of Orientalists " Section IX , Christion " in Brussels of Septamber 5 th, 1938.

(٨٦) (جدد بلاط هذه الكنيسة المقدسة اثاناسيوس رئيس طور سيناء وهو عمل المعلم نصر الله الشاغورى الدمشقي وكان التمام يوم عيد الرسـل ١٧١٥م، أنظـر: Rabino , Op. Cit., PP. 27 , 103 ;

(٨٧) انظر على سبيل المثال (يا وارد الماء الزلال الصافى... اشرب هنيئا صحة وعوافى)، (يـــا ناظر الله اعطى منك مغفرة لاصطاف الذي صور محاسنكا)، (اصفح لمن صوركا إصطاف.. إيليا غفران ما إحترما)، (يا رب اذكر عبدك المسكين في الكهنة القس أرسانى وأغفـــر لـــه ولوالدية ولأخوته غفران ولجميع الارتدكسين والكاتب الأمين)، (يـــا رب أرحـــم عبـــدك بدراق، ابن اصطفان الميت باخطانا آمين، يا رب وأرحم وارازك وتاب) أنظر: Ibid , PP. 110 – 113.

(٨٨) مثل " مفتاح عبد الله " في ٢٨ رمضان ٩٢٥هـــ / ٢٥ ديسمبر ١٥١٩م، سليم بن محمد الكاتب في ١٨ رجب ١٠٢١ هـــ / ١٤ سبتمبر ١٦١٢م، وغيرهم كثيرون مدونة اسمائهم بالقلم الرصاص على المحراب. أنظر: رابينو، دير سانت كاترين بطور ســـيناء في المقتطـــف، م٩١، جـــ٤، نوفمبر ١٩٣٧،ص٤٠٧–٤٠٨، Rabino ; Op. Cit., P. 42.

(٨٩) " دمترى خليل إبراهيم صباغ الدمشقى " أو ميخائيل بن نقولا بن إبراهيم الصباغ ١٧٨٤ – ١٨١٦م من الروم الملكين وأحد أفراد أسرة شريفة ببر الشام، خـــدم الحملـــة الفرنـــسية ورحل معها، وبخصوص المخطوطة المدون بها رحلته فقد وجدها الأب اليسوعى لويس شيخو في باريس، بعد أن انتقلت بحق الشراء من أحد أخوة صباغ إلى مكتبـــة الدولـــة العموميـــة، وبياناها هي Bibi, Nat, Fands Aeabe, M. 313 ثم نقلها في دورية " المـــشرق " السنة ٧، ١٩٠٤، ص ٩٥٤ – ٩٦٨، ١٠٠٣ – ١٠١٢، وتوجد أيضا نسخة أصلية من نفس المخطوط بالقاهرة وعنواها " أخبار عن زيارة طور سيناء وغيره لدمترى خليل إبـــراهيم الصباغ الدمشقى ١١٩٦هـــ / ١٧٨٢م، بخط الياس بن ميخائيل، وبياناهمـــا في فهرســـت مرقص سميكة، ص ٤٨٤.

(٩٠) المطران " قسطنديوس " من كريت ١٧٤٩ – ١٧٥٩ " اقام مطرانًا على الدير لمدة خمـــس سنوات ثم استعفى وذهب للآستانة حيث مات في الطريق، أنظر: نعوم شقير، المرجع السابق، ص ٥٢٣ Rabino, Op. Cit., P. 90.

(٩١) خليل صباغ، المصدر السابق، ص ٩٦٠ – ٩٦٦، ١٠٠٣.

(٩٢) وصواها " ترابيزة " وهى لفظة يونانية معناها المائدة.

(٩٣) يحتفظ الدير بسجل يسمى " دفتر الزيارات " دون فيه كل الزوار الـــذين أدوا خـــدمات للدير، وكشفت صفحاته عن زوار من كل مكان على وجه الأرض اسمائهم مدونـــة بكافـــة

اللغات الحية منذ العصور الوسطى ومن زوار العصر الحديث " اللورد اللـــنبى " والرؤســاء ناصر والسادات... انظر: نيكوس كازانتزاكيس، رحلة إلى مصر، الوادى وسيناء ت: منيــة سمارة والطاهر محمد (القاهرة، كتاب أدب ونقد، ع١، ١٩٩١).

(٩٤) خليل صباغ، المصدر السابق، ص ١٠٠٤ – ١٠٠٧، ١٠١٢.

(٩٦) أنظر: لويس شيخو اليسوعي، " وصف طور سيناء وأبنيته " في المشرق، السنة ٩، ١٩٠٦) ص ٧٣٦-٧٤٣، ٧٩٤-٧٩٩.

(٩٧) مثل أسر " أبوينى، غزغورى، أبو عطا، طناش، بولس، براميلى ".

(٩٨) الأب جوليان ١٨٢٧ – ١٩١١ JULLIEN, P. M. فرنـــسى الأصـــل انـــضم إلى الرهبان اليسوعيين عام ١٨٤٥م ونزل بلبنان ومصر ومؤلفاته عن سيناء: ســيناء وســوريا ذكريات ثوروية ومسيحية (ليل ١٨٩٣) ورحلة راهب الى جبل سينا، ترجمة للإنجليزيــة " كولمان " في المجلة الآرلندية الكاثوليكية. أنظر: العقيقى، المرجع السابق، جـ٣، ص ٢٩٠.

(٩٩) طبع الكتاب بواسطة الناشر " دسكلاى DESCLEE في مدينة ليــل الفرنــسية ســنة ١٨٩٣م.

(١٠٠) هو الروائى اليونانى الشهير صاحب رواية " المسيح يصلب من جديد " والمترجمة للعربية.

(١٠١) انظر: بنتلى، المرجع السابق، ص ٧١.

(١٠٢) انظر: السيد السيد أحمد توفيق، السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر (القــاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٤) ص ٦٨، ١١٤ – ١١٥.

(١٠٣) بنتلى، المرجع السابق، ص ٤٤ – ٤٨، والبعض يرجع أن كاتب الكتاب الاصلى أحـمد رجال الفن ويدعى " دوزاتس ".

(١٠٤) بلغ زوار الدير في الفترة من ١٨٩٧ – ١٩٢٥ على حسب تقديرات " كازانتزاكيس " نحو ٣٥ سائح يونانى، ١٤٥ انجليزى، ٦٩ فرنسى، ٦٠ ألمانى.

الخاتمة

وبعد فقد حاولنا في هذه الصفحات أن نطبق مقولة " دانيال " رئيس الدير في القرن الخامس. والذي قال: "تلح عليّ الأفكار والولع أن أصف كل ما يتراءى لي "، فيا ترى.. هل وفقنا ؟

لقد كانت هناك نتائج عديدة خرجنا منها بعد دراسة الدير ووثائقه :

أولها : أنه قد حان الوقت الآن – ونؤكد على الآن – لكي تتكاتف الجهود النبيلة لإنقاذ أشرطة الميكروفيلم قبل أن تسوء حالتها أكثر وأكثر، فإنها أحد الكنوز الوثائقية الهامة في مصر الحديثة، ودراستها ستجلب معاني تاريخية جديدة تساهم في الكشف عن زوايا عديدة من التاريخ المصري الحديث، وإنه ليتراءى لي أهمية التحرك السريع لمجابهة عوادي الزمن من رطوبة وعوامل فيزيائية أخرى تؤثر سلباً على هذه الأشرطة عظيمة القيمة ، وهذا يحتم علينا نشر تلك الوثائق محققه، أو حتى على صورتها الحالية دونما تحقيق، حتى ينهل منها باحثو التاريخ العثماني والمهتمون بالتاريخ بوجه عام، وحبذا لو قامت بذلك هيئة بحثية أو معهد علمي متخصص. وتلك هي التوصية الثانية لأساتذتي المتخصصين في التاريخ العثماني، ولكل مسئول أكاديمي يقرأ تلك الأطروحة.

وتتجلى أهمية المخطوطات العربية "بدير سانت كاترين" في الآتي:

١- إنها أقدم المخطوطات العربية المسيحية المعروفة إلى الآن في العالم، وقد كتب أغلبها خارج مصر وحفظها رهبان مصر للبشرية، فهناك مثلاً أربعة عشر مخطوطاً ترجع للقرن التاسع الميلادي مكتوبة بالخط الكوفي – ثلاثة منها مؤرخة في السنوات ٨٣١ ، ٨٦٧ ، ٨٩٧م.

٢- كما أن لتلك المخطوطات قيمة عظيمة من حيث أنها أتت إلينا من خلال جهة رسمية - هي قصور السلاطين ومحاكم العدل الإسلامية.

٣- تتميز كذلك بالاستمرارية والانتظام فهي سلسلة غير منقطعة بل هي مستمرة ومتصلة، بداية من الخلافة الفاطمية وحتى العصر الحديث، وهي بذلك تعد إحدى الوثائق التاريخية في العالم التي تتميز بصفة الاستمرارية.

٤- كما تنبع أهميتها كذلك من "قلفوناتها" - فقد أرخت ووقع عليها بواسطة السلطان أو من ينوب عنه ثم أغلقت بإحكام.

٥- تظهر لنا دبلوماسية الخلفاء المسلمين الظاهرة في تعاملهم مع العناصر الغير إسلامية في المجتمع الإسلامي وأسلوب كتابة تلك المناشير والفرمان القادمة والصادرة من وإلى الدير.

٦- تمدنا بمعلومات قيمة عن تاريخ نظم الدول الإسلامية المتعاقبة على حكم مصر. حيث أن ذلك الموضوع - نظم الدول الإسلامية بالرغم مما صدر فيه من دراسات تعد بالمئات إلا أنها تفتقر للمصدرية الوثائقية وهذا ما توفره الوثائق بصفة عامة ووثائق الدير السينائية بصفة خاصة.

٧- تفيدنا تلك المخطوطات والوثائق في تتبع التاريخ التشريعي القانوني ، ونحن لدينا قسمان من الوثائق ذات القيمة الضخمة الأولى هي الخاصة بالآراء القانونية أو الشرعية - والثانية هي المجموعة القيمة من الوثائق التي تغطي الفترة من حكم الفاطميين في القرن الحادي عشر الميلادي وحتى يومنا الأولى عامة مثبت عليها توقيعات الأئمة المسلمين الأربعة - والثانية كانت عن طريق شهود المحاكم وأختام القضاة وتلك الوثائق أفادتنا في معرفة مرات الهبوط والصعود لممتلكات الدير عبر التاريخ أيضاً في الإحاطة بحدود أملاك الدير داخل مصر وخارجها.

٨- بالنسبة للتاريخ الاجتماعي فقد أضافت تلك الوثائق إلى مقدار معرفتنا عن المجتمع المصري معلومات وافرة من حيث طبقاته في أحقاب تاريخيه مختلفة.

٩- وبالنسبة للجغرافية التاريخية للشرق الأوسط. فلقد حظيت سيناء وأقاليمها باهتمام بالغ وذلك الاهتمام موجود في العديد من الوثائق المتناثرة.

١٠- الوثائق الفقهية أو الحجج الشرعية تحتل مكاناً مرموقاً من حيث عددها وأهميتها بالنسبة لدراسة التاريخ وبخاصة تاريخ القانون – هذا لأن غالبية ما نشر من الوثائق العربية " بدير سانت كاترين " في مصر أو خارجها عبارة عن عهود ومراسيم من فترة العصور الوسطى وفرمانات وأوامر إدارية من العهد العثماني ، ومن ثم فإن القيام على دراسة ونشر وتحقيق الوثائق الدبلوماسية القانونية باعتبارها موضوعاً أصيلاً وأساسياً في علم التاريخ يعتبر من الأعمال الإنشائية في ميدان الدراسات التاريخية العربية التي لم تحظ بعناية كبيرة بعد.

١١- تعطينا هذه الوثائق مادة ثرية عن التاريخ الاقتصادي: فمحتويات الدير من وثائق خاصة بالحسابات والفواتير والإيصالات وأوراق الضرائب والمتفرقات.. وغيرها في أزمان متعاقبة لهي بالقطع مادة المؤرخ في التاريخ الاقتصادي.

١٢- ومن خلال تلك الوثائق يمكن التعرف على صيغة العلاقات بين الحكام المسلمين والأقليات الدينية والتي نجدها مستخلصة في الأوامر والفرمانات التي لا نستطيع بدونها أن نتعرف على مدى تلك العلاقات.

١٣- كما لوحظ من قائمة المخطوطات أن تأثير الأدب العربي الإسلامي على بقية المخطوطات قد وصل إلى ذروته في القرن الثالث عشر الميلادي فمن بين ٦٥٢ مخطوطة باللغة الغربية وجد ٣٣٢ منها تعود لذلك القرن ، ومع ذلك فلا نستطيع النظر إلى المجموعتين العربية والعثمانية بمعزل عن المجموعات

الأخرى المحفوظة بمكتبة الدير ، كما تشكل المصاحف **CODUCX** أهمية خاصة لعلماء الدين أو علماء الكتاب المقـــدس والتـــاريخ " الأكليركـــي **Ecclesiastical** وباقي أفرع العلوم الإنسانية.

١٤- وأخيراً لابد أن تتكاتف الجهود لإخراج كتالوج صحيح يحتوى علـــى كـــل مخطوطات ووثائق الدير المكتشفة في السبعينات والثمانينات أو على الأقـــل ترجمة الكتالوج الذى صدر عن هيئة البحث العلمـــي اليونانيـــة إلى اللغـــة العربية.

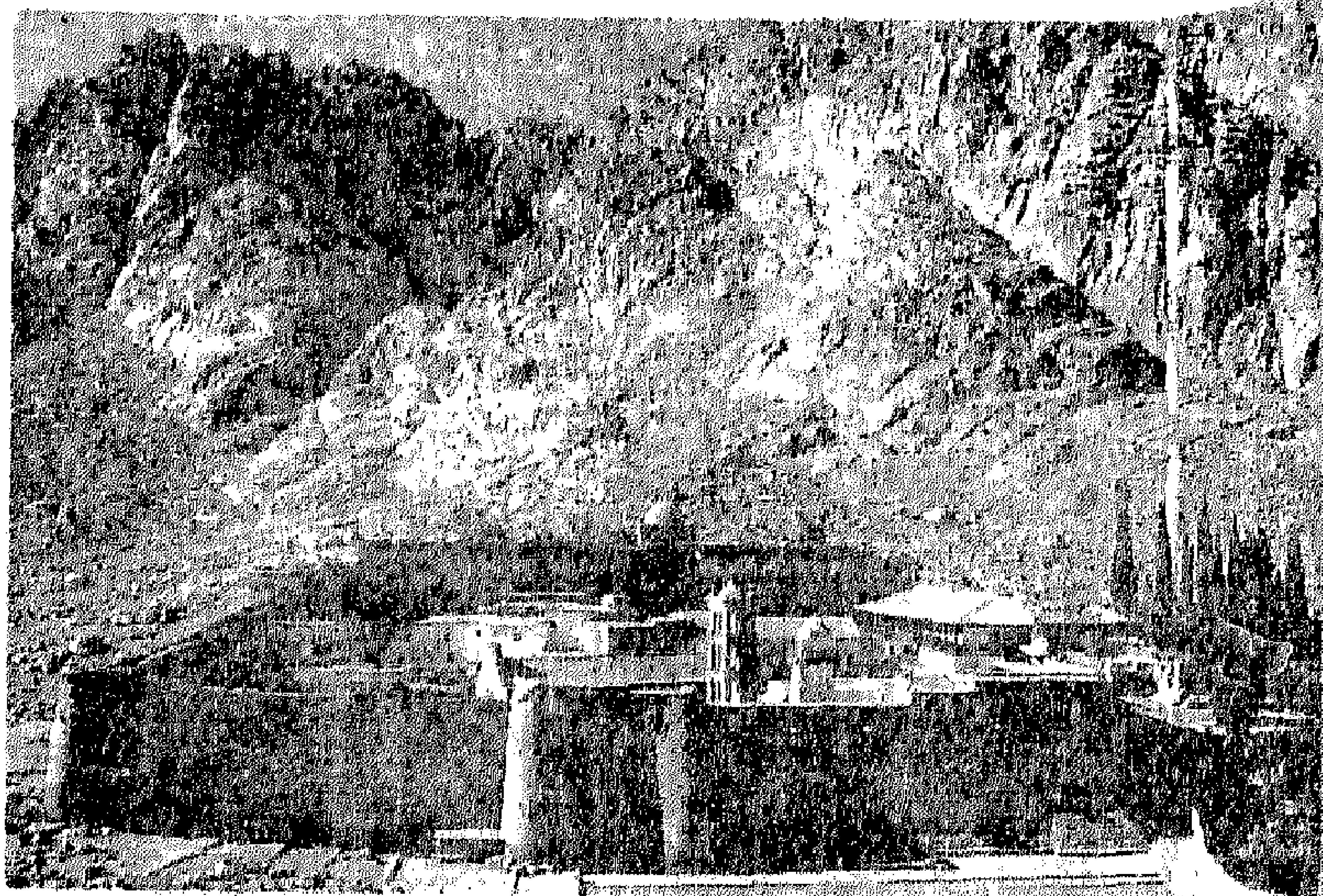
١٥- ويجب الإقرار بأن بعثة جبل سيناء التابعة للمؤســـسة الأمريكيـــة لبحـــوث الإنسان تعتبر دون شك أكبر مشروع من نوعه في التاريخ السينائي بناءً على حصادها الذي فاق التوقعات المرجو والتي لولاها لما وصـــلت إلينـــا تلـــك الوثائق.

١٦- وهناك دراسات عديدة يجب أن تستكمل في المجالات السابقة كما يجـــب أن تدرس النقوش الموجودة على جدران الـــدير بلغاتهـــا المختلفـــة ، وأكـــوام النصوص والأعمال الفنية كالموازييك البيزنطية والمجموعـــة النـــادرة مـــن الأيقونات والأعمال الخشبية والحفر على الحجر البيزنطـــي والـــتي ينـــدر وجودها في العالم.

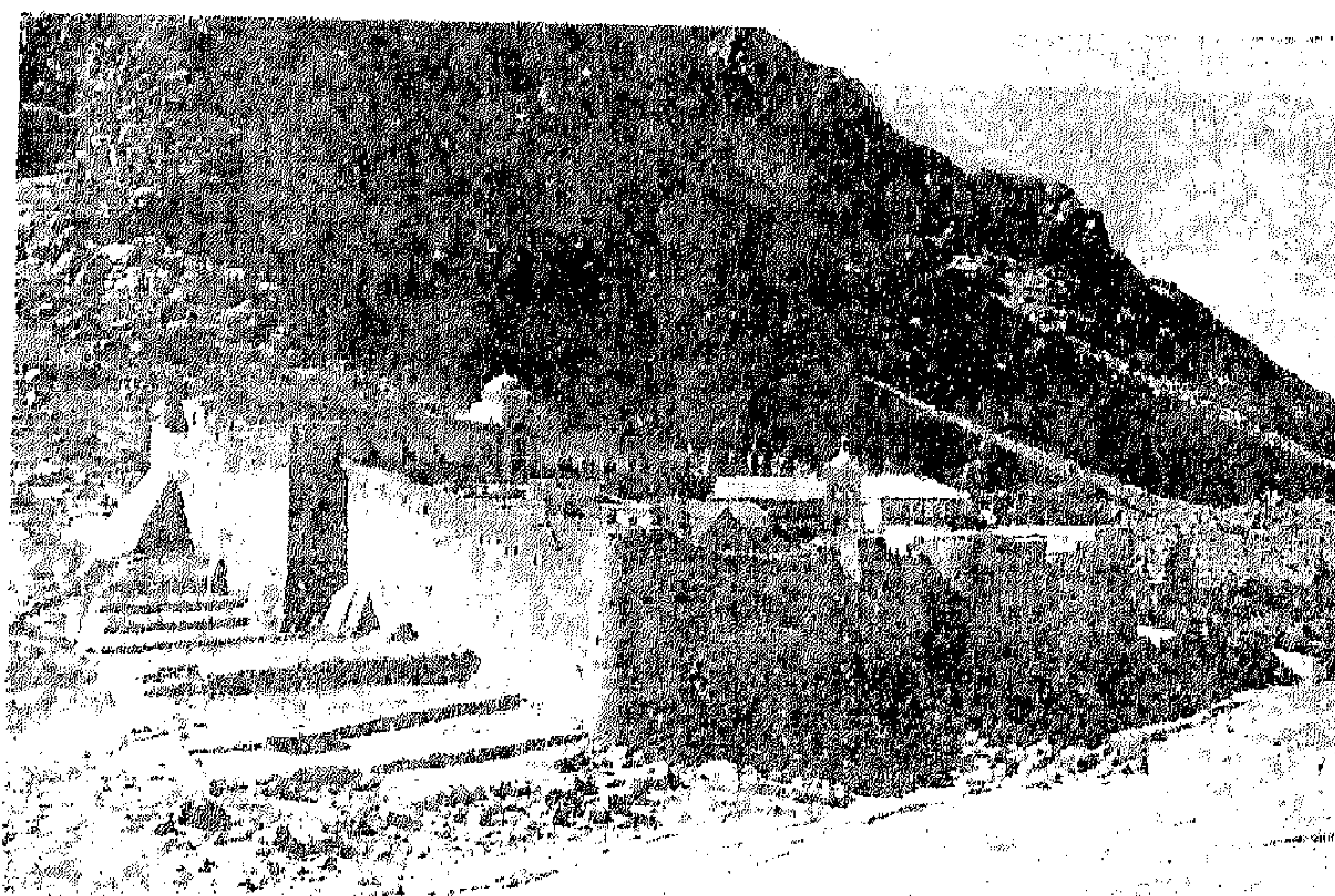
كل هذه وتلك تحتاج لأن تخضع لاعتبارات علمية جـــادة مـــن العمـــل الجماعي. فهل تكمل جامعة الإسكندرية ممثلة في كلية الآداب في بداية القرن الحادي والعشرين ما بدأته في منتصف القرن العشزين؟

الملاحق

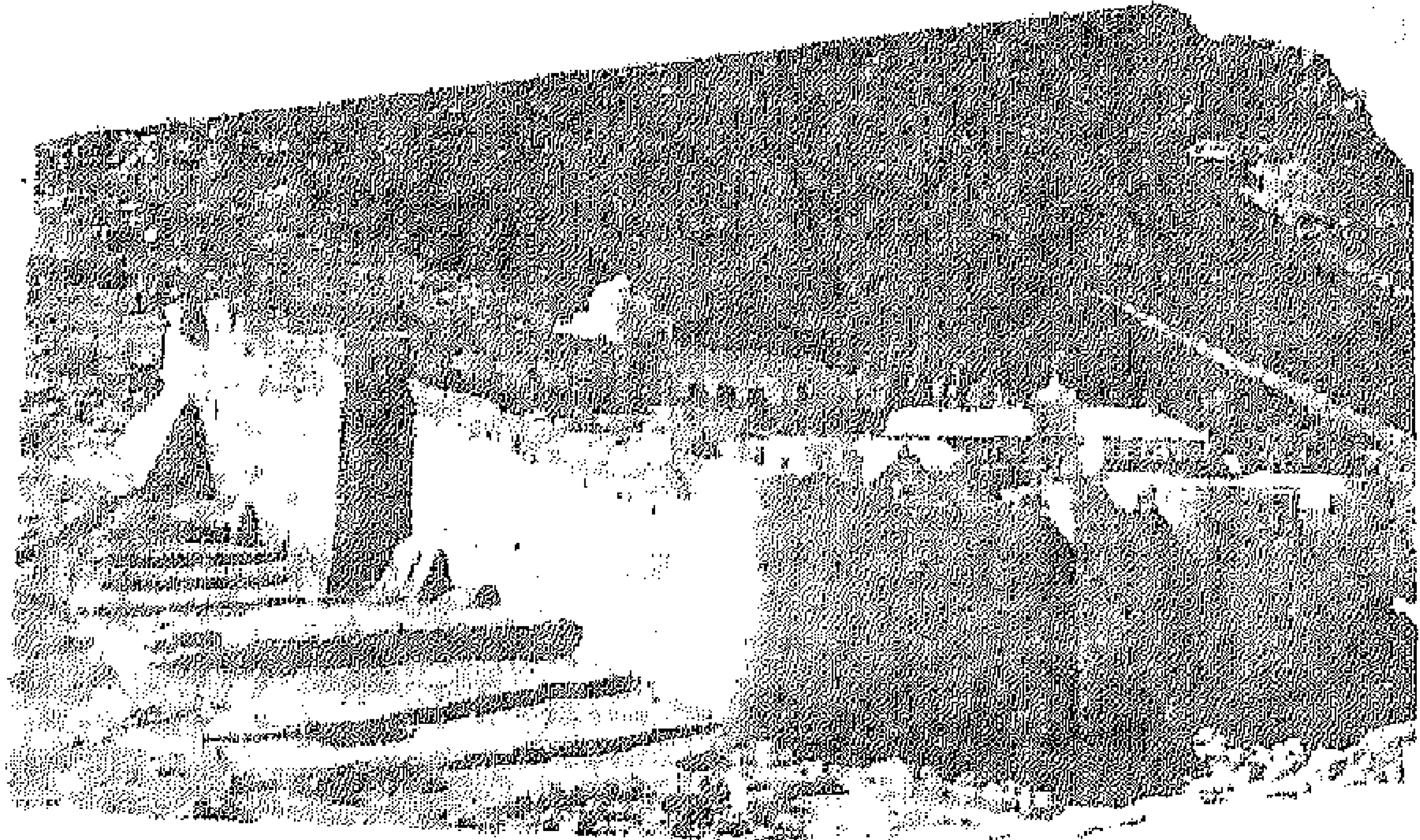
St. Catherine Sinai



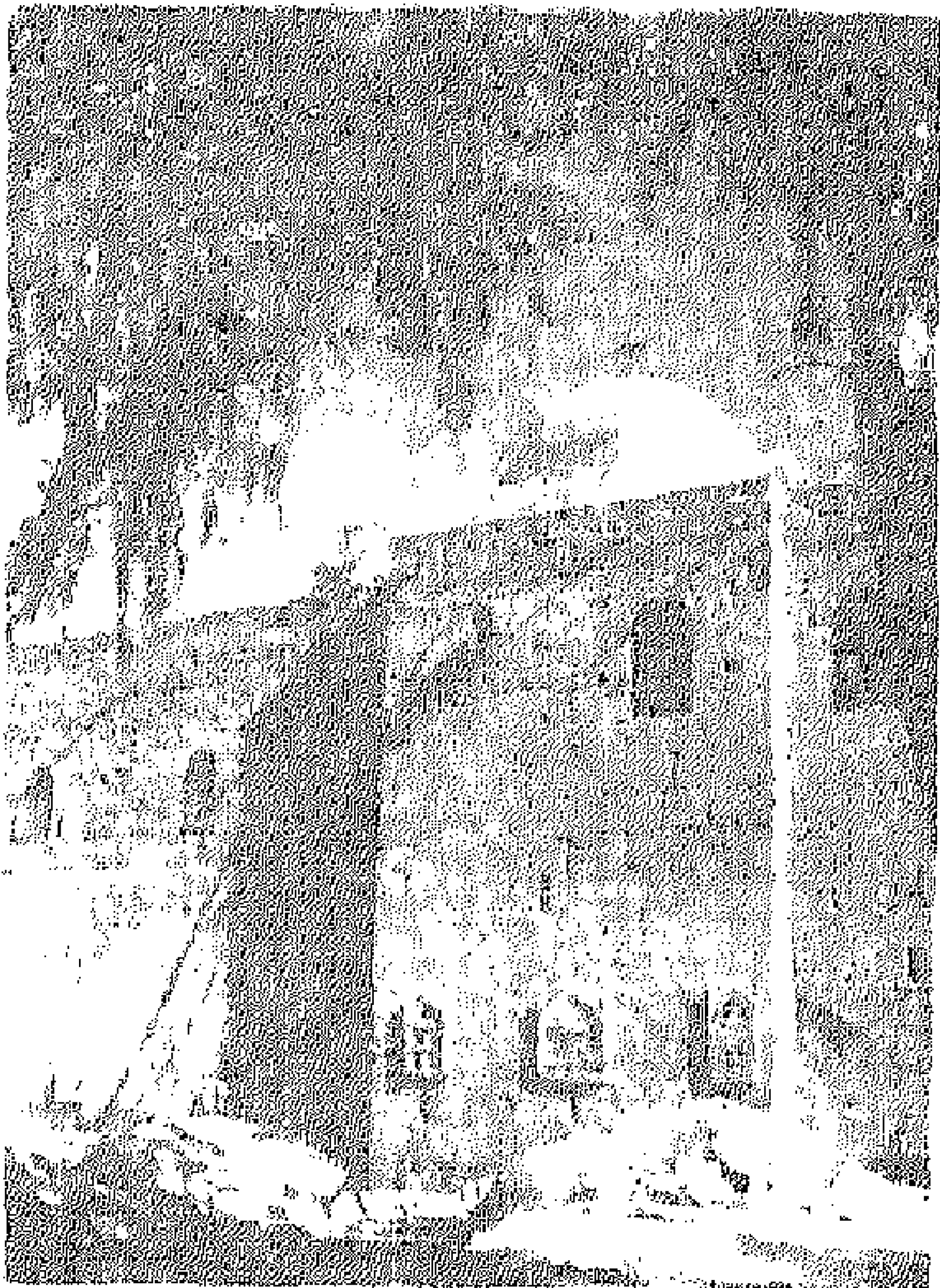
دير سانت كاترين



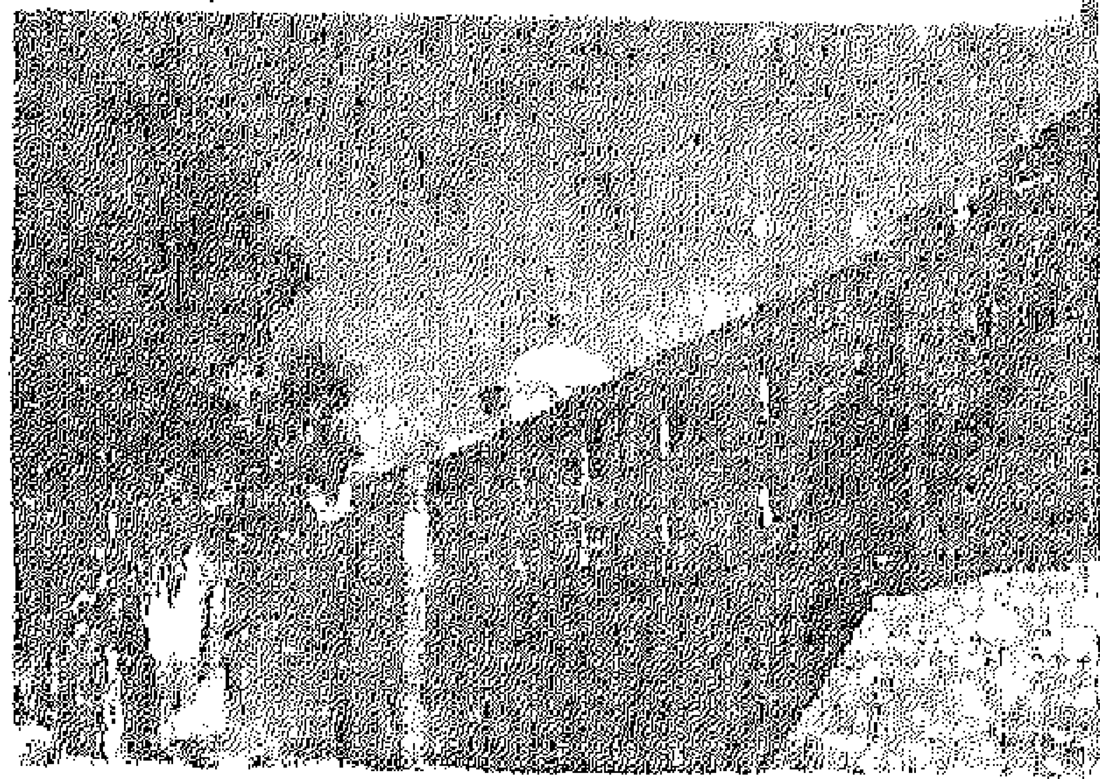
St. Catherine



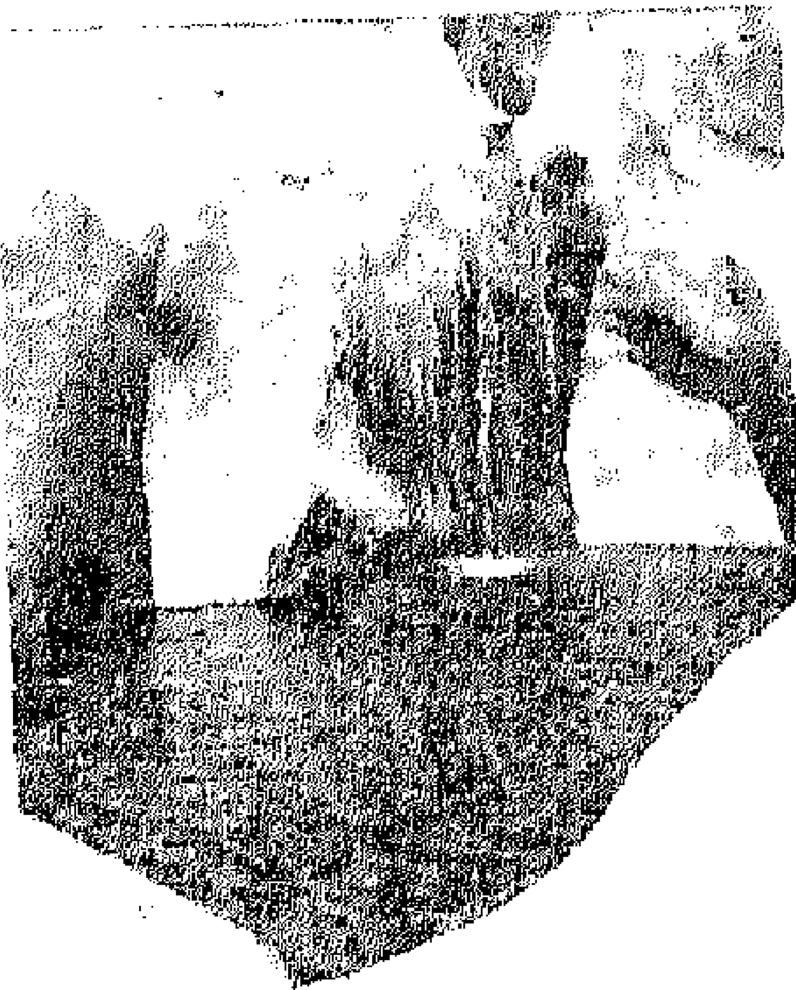
دير سانت كاترين



الحائط القبلي للدير . ق ٦ م



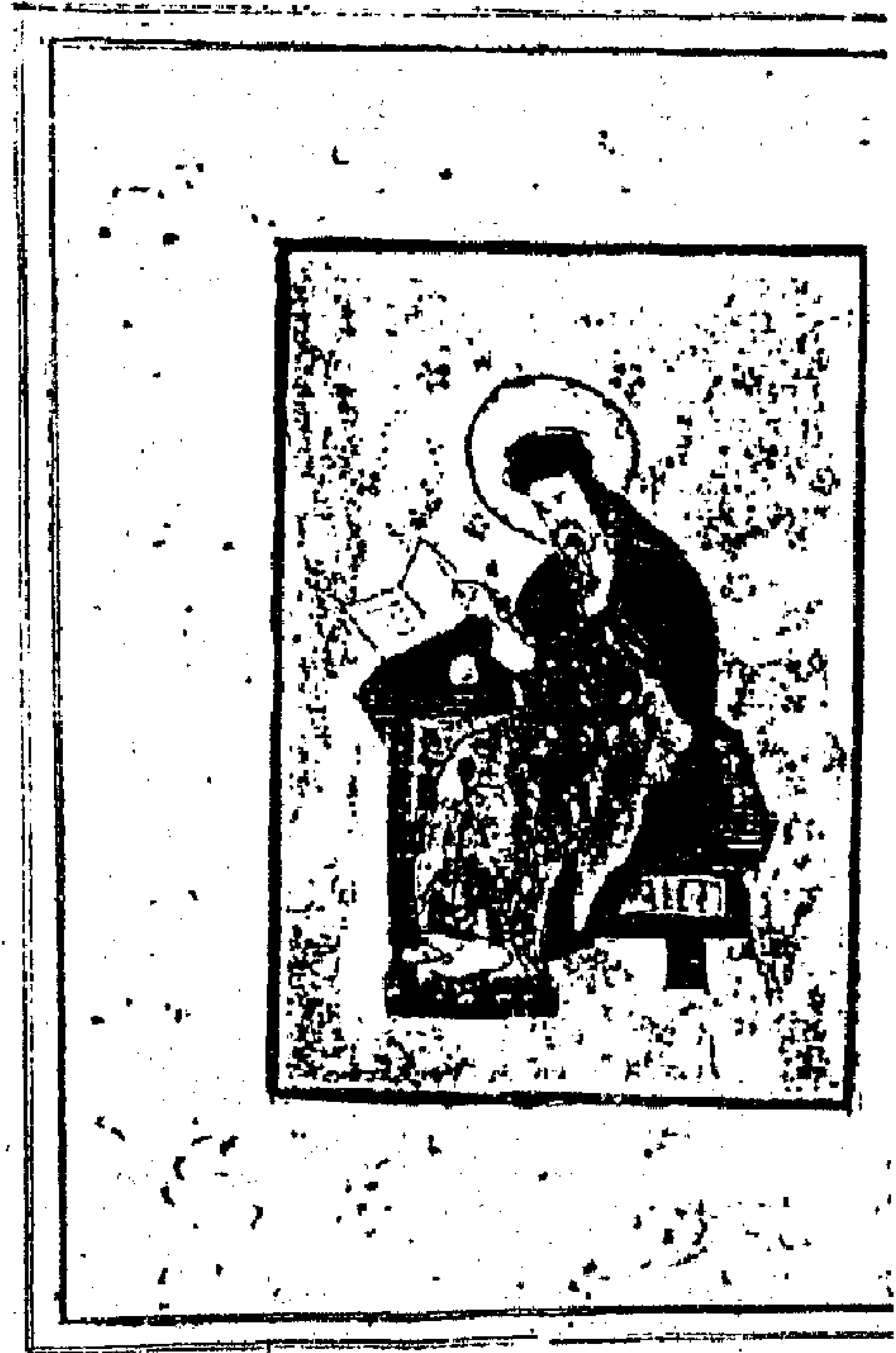




شلالات مياه بالقرب من الدير

A. Mt. Sinai, Monastery of St. Catherine, Plan showing Sixth-century Elements in black and in heavy outline (Key on page 6)

ثم لم يميز ولم يفرق في هذا بين يهودي
ولا ارماني ۞ لان رب جميعهم واحد
وهو الغني لجميع من دعاه ومن كل
من دعا باسم الرب فانه يحيى ۞ وكيف
يدعون من لم يومنوا به ۞ ام كيف
يصدقون بمن لم تسمعوا به ۞ ام كيف
يسمعون دون بشير ومنذر ومنادي ۞
ام كيف ينادون ان لم يرسلوا او
يومروا ۞ كما كتب ۞ ما احسن
اقدام المبشرين بالسلم والمبشرين
بالخيرات ۞ ولكن ليس كلهم



10. Parchment codex, Arabic (26.7×18.5 cm., New Find no. 52). The Apostle Paul's Epistle to the Romans. 9th century (?).

11. Paper codex, Arabic (30.5×20.5 cm., Old Collection, no. 343, f. 13r). St. John Climacus. 1612.

12



12. Lectionary. Parchment codex, Arabic (20.5×15.7 cm Finds, no.14). Full-page depiction of St. John the Evang 9th century.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

استعان الباحث بالوثائق الخاصة بدير سانت كاترين باللغة العربية وهي بأرقام مختلفة وردت تفصيلاً في حواشي الكتاب.

ثانياً: المخطوطات الخاصة بدير سانت كاترين:

وهي أرقام مختلفة وردت في حواشي الكتاب.

ثالثاً: المصادر:

١- ابن زنبل الشيخ أحمد الرمال، واقعة السلطان الغوري مع سليم العثماني، ت: عبد المنعم عامر (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٧).

٢- ابن كبر، مصباح الظلمة في إيضاح الظلمة، جزءان (القاهرة: د. ن، د. ت).

٣- ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (١٦ جزء)، (القاهرة، دار الكتب ٣٩ – ١٩٧٢).

٤- الشابشتي، كتاب الديارات، ت. كوركيس عواد (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٦).

٥- القلقشندى، صبح الاعشا في صناعة الإنشاء، (١٤ جزء)، (القاهرة: م الأميرية، ١٥ – ١٩١٨).

٦- ابن السعد، الطبقات الكبرى. السيرة النبوية الشريفة، م١ (بيروت: دار صادر، ١٩٨٥).

٧- السيوطى، إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى، ت: أحمد رمضان أحمد (جزءان) (القاهرة، ١٩٨٢).

٨- البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ت: على محمد البجاوي (السعودية: د.ت).

٩- أحمد الدمرداش كتخدا عزبان، الدرة المصانة في أخبار الكنانة، ت: عبد الوهاب بكر ودانيال كريسيلوس (القاهرة: دار الزهراء، ١٩٩٢).

أحمد شلبي عبد الغني، أوضح الإشارات فيمن تولى مصر والقاهرة من الوزراء والباشات الملقب بالتاريخ العيني، ت: عبد الرحيم عبد الرحمن (القاهرة: الخانجي، ١٩٧٨).

١٠- ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ت: محمد مصطفـــى، جـــ٥، (القاهرة: لجنـــة المستشرقين الألمان، ١٩٦١).

١١- أحمد بن محمد الحموى. فضائل سلاطين بن عثمان، يليها تاريخ الملوك العثمانية والـــوزراء الصدور ومشايخ الإسلام والقبودانات، ت: محسن محمد حســـن ســـليم (القـــاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٩٣).

١٢- ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ت: أيمن فؤاد سيد (القـــاهرة: المعهد الفرنسي، ١٩٨٥).

١٣- إسماعيل بن سعد الخشاب، أخبار أهل القرن الثاني عشر، ت: عماد أبو غازي وعبد العزيز جمال الدين (القاهرة: العربي للنشر، ١٩٩٠).

١٤- إيثيريا، المذكرات السياحية للحاجة إثيريا، ت: متى المســـكين، مجلـــة مـــرقس، ع ٣١٧، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢، ٩٠-١٩٩١، وادي النطرون.

١٥- المقريزى، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ت: محمد حلمي أحمـــد، جـــ٣، (القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٣).

١٦- ---------، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ت: عبـــد المجيـــد عابـــدين (الإسكندرية، ١٩٨٩).

١٧- المقريزى، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ٤ أجزاء (القاهرة: الآداب، ١٩٩٦).

١٨- أفرام الشماس، " وصف طور سيناء، وأبنيته "، ت: لويس شيخو في المشـــرق، ســـنة ٩، ١٩٠٦، بيروت.

١٩- برنهارد فون برايدنباخ، " رحلة برايدنباخ إلي الأراضى المقدسة "، ت: مصطفى مـــاهر في الثقافة الأجنبية، ع٣، بغداد، ١٩٨٩.

٢٠- جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، ت: أيمن فـــؤاد ســـيد (القـــاهرة: الخـــانجى، ١٩٨٨).

٢١- ج. كوتل " ملاحظات حول طبوغرافية شبه جزيرة سيناء التقاليد، العـــادات، الصـــناعة، التجارة، الشعب والسكان ". في كتاب وصف مصر. جـــ٢، ت: زهير الشايب (القاهرة: مدبولى، ١٩٨٠).

٢٢- جوزيف بتس، رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف) إلي مصر ومكة والمدينة ت: عبد الرحمن الله الشيخ (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٥).

٢٣- جوزيف نسيم، " بستان الرهبان، عرض وتحليل للنسخة الخطية العربية الغير منشورة المحفوظة بدير ساتنت كاترين " في كتاب: دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الإسكندرية، ١٩٨٣).

٢٤- ــــــــ، الفردوس العقلي. عرض مقارن لنسخة الخطية العربية الغير منشورة المحفوظة بدير سانت كاترين في نفس المرجع.

٢٥- حنا النقيوس، تاريخ العالم القديم ودخول العرب مصر، ت: ليزة عزيز اسكندر (الإسكندرية، ١٩٩٦).

٢٦- خليل صباغ، رحلة خليل صباغ إلي طور سيناء، ت: لويس شيخو في المشرق، السنة ٧، ١٩٠٤.

٢٧- سامي شنودة، المخطوطات المصورة بدير سيناء (١) طبوغرافيا العالم للراهب كوزما في مجلة كلية الآداب، م٢٢، ٦٨ - ١٩٦٩.

٢٨- ــــــــ، المخطوطات المصورة بدير سيناء (٢) سلم الفضائل في مجلة كلية الآداب، م٢٢، ٦٨ - ١٩٦٩.

٢٩- ــــــــ، المخطوطات المصورة بدير سيناء (٣) أيوب منسوخ مصور في مجلة كلية الآداب، ليبيا، ١٩٧٥.

٣٠- طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر، ت: حسن حبشي، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨).

٣١- عبد المسيح صليب السعودي البراموسي، تحفة السائلين في أديرة رهبان المصريين (القاهرة: ١٩٣٢).

٣٢- عبد اللطيف إبراهيم، " من وثائق دير سانت كاترين: ثلاث وثائق فقهية " في مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، م٢٥، جـ١، ١٩٦٣.

٣٣- فاسكو دا جاما، يوميات رحلة فاسكو دا جاما وتقرير سانتوس، ت: عبد الرحمن عبد الله (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٥).

٣٥- قاسم عبده قاسم، دراسة وتحقيق الوثيقة رقم ٤٥٢ من وثائق دير سانت كاترين في المجلــة المصرية للدراسة التاريخية، م٢٥.

٣٦- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوى والخلافة الراشـــدة (القـــاهرة، ١٩٤١).

٣٧- ياقوت الحموي، معجم البلدان، خمسة أجزاء (بيروت: دار صـــادر ودار الغـــرب، ٥٥ - ١٩٥٧).

رابعاً: موسوعات - دوائر معارف - فهارس - مؤتمرات - أطالس

١- أحمد فخري، "تاريخ شبه جزيرة سيناء منذ أقدم العصور حتى ظهور الإسلام" في موســوعة سيناء (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٢).

٢- زكى شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط، جـ١ (القاهرة: مطابع البلاغ، ١٩٦٨).

٣- زهير الشايب وعفت الشريف (ناشر)، وصف مصر أو مجموعة الملاحظات والبحـــوث الـــتي أجريت في مصر أثناء حملة الجيش الفرنسي، الدولة الحديثة، اللوحات (القاهرة: م مدبولي، ١٩٨٦).

٤- عبد الرحمن فهمي، " النقود المتداولة أيام الجبرتي " في ندوة عبد الرحمن الجـــبرتي دراســـات وبحوث (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٧٩).

٥- عزيز سوريال عطية، الفهارس التحليلية لمخطوطات سيناء العربيـــة، ت: جوزيـــف نســـيم (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٧٠).

٦- عايدة إبراهيم نصير، الكتب العربية التي نشرت في مصر بـــين عـــامي ١٩٠٠ - ١٩٢٥، جزءان (القاهرة: قسم النشر بالجامعة الأمريكية، ٨٠ - ١٩٨٣).

٧- فريمان جرنفيل، التقويمان الهجري والميلادي، ت: حسام الآلـــوس (بغـــداد: وزارة الثقافـــة، ١٩٨٦).

٨- ق. ويستنفلد، جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ت: عبد المنعم ماجد وعبد المحسن رمضان (القاهرة: الانجلو المصرية، ١٩٨٠).

٩- كوركيس عواد، المباحث السريانية في المجلات العربية، جزءان (بغداد: المجمع العلمى العراقى، ١٩٧٦).

١٠- كوركيس عواد، أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٢.

١١- كلية الآداب، نسخة يدوية من دليل المخطوطات والوثائق الخاصة بـدير سـانت كـاترين والمحفوظة على أشرطة الميكروفيلم بالكلية.

١٢- مرقص سميكة، دليل المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة الأثرية، جزءان (القـاهرة: م الأميرية، ١٩٣٢).

١٣- محمد قنديل البقلي، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٤).

١٤- محمد السيد غلاب، " الجغرافيا البشرية والتاريخية لشبه جزيرة سيناء " في موسوعة سـيناء (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٢).

١٥- مراد كامل، " من دقلديانوس إلي دخول العرب " في موسـوعة الحضـارة المصـرية، م٢، (القاهرة: ب. ت).

١٦- مراد كامل، فهرست مكتبة دير سانت كاترين بطور سيناء " جزءان (القاهرة: م الأميريـة، ١٩٥١).

١٧- محمود سعيد عمران، "مصر في كتابات الرحالة الأجانب في العصر البيزنطي"، دراسة ألقيت في ندوة التبادل الحضارى بين شعوب البحر المتوسط، الإسكندرية، ١٩٩٤.

١٨- دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢، م١ (القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٩).

١٩- الموسوعة المصرية، جـ٢، " تاريخ وآثار مصر الإسلامية " مادة أديرة.

٢٠- محاضرة للأستاذ يوسف شكرى بعنوان " مقتنيات دير سانت كـاترين في المركـز الثقـافي الإيطالي ٢٢ / ١٢ / ١٩٩٣.

٢١- مؤتمر " كنوز سيناء " في المؤسسة الثقافيـة اليونانيـة يـومي ٢١-٢٢ / ١١ / ١٩٩٦ بالإسكندرية.

خامساً: الرسائل العلمية

١- إبراهيم سعيد فهيم، حركة الحج الأوربي إلي الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى الإسـلامي (١٣٩١ - ١٥١٧م / ٦٩٠ - ٩٢٣هـ) (دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧).

٢- جمال الخولي، الأرشيف الحديث في مصر (دكتـوراه، كليـة الآداب، جامعـة القـاهرة، ١٩٨٧).

٣- سميرة فهمي على عمر، إمارة الحج في مصر العثمانية (ماجستير، كليـــة الآداب، جامعـــة الإسكندرية، ١٩٨٣).

٤- ـــــــــــــــــ، دور عربان الوجه البحري في تاريخ مصر العثمانيـــة (دكتـــوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٩).

٥- زينب محفوظ، التطور الدبلوماتي لمراسيم ديوان الإنشاء بدير سانت كاترين حـــتى القـــرن العاشر الهجري (ماجستير، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٧٠).

٦- عصمت محمد حسن فتح الباب، تراجم الصواعق في واقعة الصناجق تأليف إبراهيم بن أبي بكر الصوالحي، تحقيق ودراسة لتاريخ مصر العثمانية من ١٦٥٨ – ١٦٦٠م (دكتـــوراه، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٨٨).

٧- ناجلا محمد عبد النبي، العلاقات السياسية والاقتصادية بين البندقية ومصر في عهد دولـــة المماليك الثانية ١٣٨٢ – ١٥١٧ م (دكتوراه، كليـــة الآداب، جامعـــة الإســـكندرية، ١٩٨٤).

سادساً: المراجع العربية

١- الاسقف ايسذروس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة (جزءان)، (القاهرة: د.ت، د.ن).

٢- إيريس حبيب المصري، قصة الكنيسة القبطية (٩ أجزاء)، (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٨).

٣- أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى (جزءان)، (بيروت: م الرسولية، ١٩٨٨).

٤- آمال صفوت الألفي، آثار سيناء، دير القديسة كاترين، (القاهرة: هيئة الآثـــار المصـــرية، ١٩٨٦).

٥- أفانجلوس بابا يوانو، دير طور سيناء، ت: صليبا خورى وفيليب دحابرة (إصدار دير طـــور سيناء، ١٩٧٧).

٦- أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى (القاهرة: ١٩٧٧).

٧- المجالس القومية المتخصصة، السياحة في سيناء، مصر حتى عام ٢٠٠٠ (القاهرة: ١٩٨٠).

٨- الفريد بتلر، الكنائس القبطية في مصر (جزءان) ت: إبراهيم سلامة (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٣).

٩- أندريه ريمون، القاهرة تاريخ حاضرة، ت: لطيف فرج (القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٤).

١٠- أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتى من الدخيل (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩).

١١- أحمد يوسف، دير سانت كاترين (القاهرة: د.ن، ١٩٥٨).

١٢- إبراهيم خميس، الوثائق المماليكية الصادرة لرهبان طور سيناء في عهد قلاوون (الإسكندرية: د.ن، ١٩٩٠).

١٣- إبراهيم خميس، ثلاث وثائق مماليكية صادرة لرهبان سيناء في عهدي قطز وبيبرس (د.ن، ١٩٩٠).

١٤- أجناتي كراتشكوفسكي، مع المخطوطات العربية، صفحات الذكريات عن الكتب والناس (موسكو: دار التقدم، د. ت).

١٥- الهام ذهني، مصر في كتابات الرحالة الفرنسيين في القرنين السادس والسابع عشر (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٢).

١٦- ______، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٣).

١٧- أحمد دراج، المماليك والفرنج في القرن ٩هـ / ١٠هـ (القاهرة: دار الفكر، ١٩٦١).

١٨- ______، وثائق دير صهيون بالقدس الشريف (القاهرة: دار الأنجلو، ١٩٦٨).

١٩- أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣).

٢٠- السيد السيد أحمد توفيق، السياحة في مصر خلال القرن التاسع عشر (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٤).

٢١- أحمد شفيق، مذكرات عن زيارة إلي دير طور سيناء وطواف بالسيارات من صحراء سيناء ، القاهرة: م الأميرية، ١٩٢٧).

٢٢- أحمد فؤاد متولي، الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له (القاهرة: النهضة العربية، ١٩٧٦).

٢٣- إبراهيم أمين غالي، سينا المصرية عبر التاريخ (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٧٦).

٢٤- أ.ب. كلوت بك، لمحة عامة إلي مصر. ت: محمد مسعود (أربع أجزاء)، (القاهرة: دار الموقف العربي، ١٩٨٢).

٢٥- الكنيسة القبطية الأرثوذكسية (ناشر)، وطنية الكنيسة القبطية وتاريخها منذ الفتح العـربي حتى ١٩٨١ (نيويورك، ١٩٨٩).

٢٦- بيرى اندرسون. دولة الشرق الاستبدادية، ت: بديع نظمى (بيروت: مؤسســة الأبحــاث، ١٩٨٣).

٢٧- باسيليا شلنيك، نداء من جبل سيناء، ت: راهبات مريم الأنجيليــات (القاهرة: دار العـالم العربي، د. ت).

٢٨- ثروت عكاشة، مصر في عيون الغرباء من الرحالة والفنانين والأدباء في القرن التاسع عشر (جزءان) (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٨٤).

٢٩- جورج شحاته قنواتى، المسيحية والحضارة الإسلامية (بغداد: المكتبة العالمية، ١٩٨٤).

٣٠- جمال حجر وعادل غنيم، في منهج البحث التاريخي. حول المنهج في كتابه التـاريخ، نحـو منهج في الصياغة البيلوجرافية لحواشى البحوث (الإسكندرية: المعرفة الجامعية، ١٩٨٩).

٣١- جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤرخون في مصر في القرن التاســـع عشر (القـاهرة: النهضة المصرية. ١٩٥٨م).

٣٢- جون الدر، الأحجار تتكلم، على الآثار يؤيد الكتاب المقدس، ت: عزت زكى (القـاهرة: المجمع المسيحي للشرق الأدنى، د. ت).

٣٣- جبوبووين، المجتمع الإسلامي والغرب، ت: أحمد عبـد الـرحيم مصـطفى، (٤ أجـزاء) (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٠).

٣٤- جيلان عباس، آثار مصر القديمة في كتابات الرحـــالة العرب والأجانـب (القـاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩١).

٣٥- جورجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية (أربعة أجزاء)، (القاهرة: دار الهلال. د. ت).

٣٦- جوزيف نسيم "سيناء كنوزها وآثارها التاريخية في العصور الوسطى"، في كتاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الإسكندرية: ١٩٨٣).

٣٧- جوزيف نسيم "دراسات في المخطوطات العربية بدير القديسة كاترين في سيناء" في كتـاب دراسات في تاريخ العصور الوسطى (الإسكندرية: ١٩٨٧).

٣٨- جوزيف نسيم "دراسة في وثائق العصرين الفاطمى والأيوبى، المحفوظة بمكتبة ديـر سـانت كاترين في سيناء" في نفس المرجع أعلاه.

٣٩- جوزيف نسيم، " مجتمع الإسكندرية وانتشار المسيحية " في ندوة مجتمع الإسكندرية عبر العصور (إسكندرية: ١٩٧٥).
٤٠- جيمس بنتلي، اكتشاف الكتاب المقدس. قيامة المسيح في سيناء، ت: آسيا الطريحى (القاهرة: سيناء للنشر، ١٩٩٥).
٤١- دانيل دينيت، الجزية والإسلام، ت: فوزي فهيم (بيروت: م الحياة، ١٩٦٠).
٤٢- حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية (القاهرة: وزارة الثقافة، ١٩٦٦).
٤٣- روبير مانتران وآخرون، تاريخ الدولة العثمانية، ت: بشير السباعي، جزءان، (القاهرة: دار الفكر، ١٩٩٣).
٤٤- رهبان دير القديس أنبا مقار، العهد القديم كما عرفته كنيسة الإسكندرية (وادي النطرون، ١٩٩٤).
٤٥- رؤوف حبيب، دير سانت في سيناء (القاهرة: م المحبة، د. ت).
٤٦- رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣).
٤٧- سالم عبود الألوسى، علم الدبلوماتيك (بغداد: معهد الوثائقي العرب، ١٩٧٧).
٤٨- سعيد البيشاوى، دراسات في تاريخ الحروب الصليبية، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية ١٠٩٩ – ١٢٩١م (الإسكندرية: دار المعرفة، ١٩٩٠).
٤٩- ستيفن رانسيمان، الحملات الصليبية من كليرمونت إلي أورشليم، ت: نور الدين خليل (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٤).
٥٠- سلام شافعي، أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والأيوبي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢).
٥١- سيدة الكاشف، مصر الإسلامية وأهل الذمة (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٣).
٥٢- سهير الكرداوى ورجاء الشريف، سيناء بين الحرب والسلام (القاهرة: د. ت).
٥٣- سليمان نسيم، التربية في العصر القبطي (القاهرة: دار الثقافة، ١٩٨٩).
٥٤- عباس عمار، المدخل الشرقي إلي مصر (القاهرة: المعهد الفرنسي للآثار، ١٩٤٦).
٥٥- عبد المنعم الراقد، الغزو العثماني لمصر ونتائجه على الوطن العربي (الإسكندرية، شباب الجامعة، ١٩٧٢).

٥٦- عمر عبد العزيز عمر، دراسة لمصادر عربية عن تاريخ مصر العثمانية (بـيروت: النهضـة العربية، ١٩٧٧).

٥٧- عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي ١٥١٦ - ١٩٢٢ (بيروت: النهضة العربية، د. ت).

٥٨- عمر عبد العزيز عمر، جامعة الإسكندرية في خمسين عاماً (الإسكندرية: جامعة الإسكندرية، د. ت).

٥٩- فايز نجيب إسكندر، الحجاج الروس في مصر، مصر في كتابات الحجاج الروس في القـرنين الخامس والسادس عشر (الإسكندرية: ١٩٨٨).

٦٠- قاسم عبده قاسم، أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى، دراسة وثائقية، (القـاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣).

٦١- قاسم عبده قاسم، دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، عصر سلاطين المماليك (القـاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩).

٦٢- ليلى عبد الطيف، دراسات في تاريخ ومؤرخي مصر والشام في العصر العثماني (القـاهرة: الخانجي، ١٩٨٠).

٦٣- ليلى عبد اللطيف، سياسة محمد على إزاء العربان (القاهرة: الخانجى، ١٩٨٦).

٦٤- محمد حسين هيكل، حياة محمد، جزءان(القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٩٤).

٦٥- محمد عفيفي، الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر العثمانية (القـاهرة: هيئـة الكتـاب، ١٩٩١).

٦٦- محمد أحمد حسين، الوثائق التاريخية (القاهرة: جامعة القاهرة، ١٩٥٤).

٦٧- محمد لبيب البتانوني، الرحلة الحجازية (القاهرة: د. ت، ١٣٢٩ هـ).

٦٨- محمد أنيس، الدولة العثمانية والمشرق العربي ١٥١٤ - ١٩١٤ (القاهرة: الأنجلو المصرية، ١٩٨٣).

٦٩- منير شكرى، " يسى عبد المسيح "، في رســالة مارمينــا الرابعة عشر (الإسكندرية ١٩٩٣).

٧٠- منسى يوحنا، تاريخ الكنيسة القبطية (القاهرة: م المحبة، ١٩٨٣).

٧١- محمود عباس، المدخل إلي دراسة الوثائق العربية (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤).

٧٢- مجلة مرقس (ناشر)، القديسة كاترينة (الإسكندرية ١٩٨٧).

٧٣- مراد كامل، " كنوز مكتبة القديسة بطور سيناء " في كتاب: أحاديث الثلاثاء بدار السلام (القاهرة: ١٩٥٢).

٧٤- متى المسكين، لمحة سريعة عن الدير القديس أنبا مقار والرهبنة في مصر (وادي النطرون، ١٩٨٥).

٧٥- متى المسكين، الرهبنة القبطية في عصر القديس انبا مقار (وادي النطرون، ١٩٩٥)

٧٦- نعوم شقير، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١).

٧٧- نيكوس كازانتزاكيس، رحلة إلي مصر، الوادي وسيناء، ت: منيسة سمارة والطاهر محمد (القاهرة: كتاب أدب ونقد، ١٩٩١).

٧٨- نينا فكتورفنا بيغوليفسكيا، العرب على حدود بيزنطة وإيران من القرن الرابع إلي القرن السادس الميلادي، ت: صلاح الدين عثمان هاشم (الكويت: المجلس الوطني، ١٩٨٥).

٧٩- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ت: عدنان محمد سليمان (جزءان) استامبول: مؤسسة فيصل للتمويل، ١٩٨١).

٨٠- يسى عبد المسيح، طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية وعقائدها (الإسكندرية: جمعية مارمينا، ١٩٨٦).

سابعاً: المراجع الأجنبية

1- A Nouth ; Egypt the land between Sand Nile , Bern 1963.

2- A.M.R. Dobsni , Mount Sinai Amodern Pilarimuce , London , 1925.

3- A.S. Atiya: The Arabic Monuscrpts of Mount Sinai , Baltimor , 1954.

4- ---------- ; The Monastary of St. Catherine Mount Sinai , Cairo , 1950.

5- W.F, Bassili ; Sinai and St. Catherine Monastery , Cairo , 1957.

6- J.M. Carre ; Voyageurs et Ecrivains Francais En Egypte , Le Caire, 1960.

7- K.W. Klark; Checklist of Monuscripts in St. Catherine, U.S.A. , 1952.

8- Konstantino S.A. Manafis ; Sinai, Treasures of The Monastery of Saint Catherine, Ekdotike, Athenon, 1990.

9- L. Eckenstain; A History of Sinai, London , 1921.

10- F. Fabri ; The Book of the Wenderings of Brather Felix , in: Palestine Pilgrim's Text Society , U.S.A. , 1970.

11- Forsyth; Introduction to the Arehitecture . in: The Caurch and for Tress of Justinian, U.S.A.

12- M.A. Dammerel ; Le Monasteres , Le Caire , 1964.

13- M.Labib ; Pelerins et Voyaceurs Au Mont Sinai, Le Caire, 1961.

14- M.H.L. Rabino ; Le Monastere Saint – catherine du Mont Sinai , Le Caire , 1938.

15- Le Voyace en Egypt De Balthosar de Monconys 1646 – 1647 , IFA., Le Caire , 1973.

16- Procopius ; Bulldings , Trans. by H. B. Daving , London 1940.

17- P.M. Holt , Political and Social Chance in Modern Egypt , London , 1968.

18- H. Stacl ;Mt. Sinai Arabic Codex 151 . English Text , Belgique, 1985.

19- I. Sevcanko ; " Inscriptions " in: The Church and Fortress of Justinian , U.S.A.

20- Voyages En Egypte De Michael Heberer von Bretten 1585 – 1586, IFAO 1976.

21- Voyages En Egypte De Johan wild 1606 – 1610, IFAO, Le Caire, 1973

22- Voyages En Egypte De Jean Coppia 1638 – 1639 , 1643 – 1646, IFAO, Le Caire, 1971.

23- Voyages En Egypte De Vincent Stochave 1631, IFAO, Le Caire, 1972.

24- Voyages De Hans Christoph Toufel 13 Septembere – 9 Decembre 1588, IFAO. 1972.

25- Voyages De hans Ludwic Vonlichtenstein 7 Juillet – 19 October 1587 , IFAO, 1972.

26- Voyags De Samuel Kiechel 25 April – 16 Septmber 1588 , Le Caire , IFAO, 1972.

27- Olog , V. Volkoff, A larecherche De Manuscrits En Egypte , IFAO, 1976.

28- Weitzmann, K. " Introduction to the Mosaics and Monumental Paintings " , in: The Church and for tress of Justinian , U.S.A.

29- Wellard, J ; Desert Pilorimace. Ajourney into christien Egypt, London , 1970.

30- Wendell , Philips ; " Foreword " , in: The Arabic Monuscripts of Mount Sinai, Baltimor, 1954.

31- Youseef, J.H.N.; New Lights on the Arabic Monuscripts in the Liprary of the Monastory of St. Catherine in Sianai. No. 588, Alex., 1985.

32- ---------- ; " Prophetlogien " An Arabic Monescript in the Library of the Monastry of St. Catherine in Sinai , In: Asurvey Andcritical Stydy , Alex. 1985.

ثامناً (أ): الدوريات العربية:

١- أ. ن. مششرسكياوك. ت. يوزباشيان، " مرور مائة سنة على الجمعية الروسية الفلسطينية ت: صلاح الدين عثمان هاشم في الثقافة العالمية، م ٣٤، ١٩٨٧.

٢- أحمد عبد الرحيم مصطفى، عاشق الشرق بيرلوتى، في عالم الفكر، ع١، م ١٥، ١٩٨٤

٣- السيد عبد العزيز سالم، " الاثار الإسلامية في دير سانت كاترين بطور سـيناء " في العلـوم، ع١، سنة ١٠، بيروت، ١٩٦٥.

٤- أحمد محمد عيسى، مخطوطات ووثائق دير سانت كاترين في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م ٥، ١٩٦٥.

٥- أحمد أبو كف، دير القديسة كاترين قلعة المسيحية التى اقتحمهـا العـدوان الإسـرائيلى في الهلال، ع ٦، ١٩٧٩.

٦- اسحق عبيد، " قصة العثورب القديسة هيلانة على خشبة الصليب اسطورة أم حقيقـة " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م ١٧، ١٩٧٠.

٧- الفونس توما، " نمو الحركة الرهبانية بين الشرق والغرب في فجر العصور الوسطى في سيرتا، ع ٤، الجزائر، ١٩٨٠.

٨- أنطون بلومشتارك، " مقدمة في تاريخ الأدب السرياني " في مجلة المجمع العلمـى العراقـى - هيئة اللغة السريانية، م٦، ٨١ - ١٩٨٢.

٩- بيرمينوف، " الحجاج الروس في سيناء " في نحن والعرب، م٣، موسكو ١٩٩٠.

١٠- بطرس حداد، " مواطن المخطوطات السريانية في الشرق الاوسط " في مجلة المجتمع العلمى العراقي. هيئة اللغة السريانية، م٦، ٨١ - ١٩٨٢.

١١- توفيق اسكاروس، " حول سيناء. جهود سويسرى اقام فيها نحو نصف قرن " في الهـلال، ج٧، سنة ٣٥ - ١٩٢٧.

١٢- جورج باقى، " البابا ديسقورس البطريرك الخـامس والعشـرون " في رسـالة مارمينـا للدراسات القبطية، ع١٢، ١٩٩٠.

١٣- جورج شحاته قنواتى، " الاديـرة المصـريانية في الإسـلام "، في أدب ونقـد، ع١١٣، ١٩٩٥.

١٤- حسن صبحى، " من محفوظات دير طور سينا. العلاقات بين الاعراب ورهبـان الـدير في القرن السابع عشر " في كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ع١٨، ١٩٦٤.

١٥- داود عبده داود، " دير سانت كاترين بسيناء وأهميته في التـاريخ الفـن البيزنطـى " في مجموعة المحاضرات العامة، جامعة الإسكندرية، ١٩٦٥.

١٦- دونالد ماكولم ريد، " الاثار والاصلاح الاجتماعى والهوية الحديثة بين الاقبــاط ١٨٥٤ - ١٩٥٢ م " في مصرب والعالم العربى، ع٣، ١٩٩٥.
١٧- رابينو، " جامع دير القديسة كاترين بطور سيناء " في المقتطف، م٨٩، ١٩٣٦.
١٨- رابينو، " دير سانت كاترين بطور سيناء " في المقتطف، م٩١، جـــ٤، ١٩٣٧
١٩- رأفت عبد الحميد، " كنيسة بيت المقدس في العصر البيزنطى " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م٢٥، ١٩٧٨.
٢٠- روبن فيدين، " الرحالة الانجليز إلي الشرق الادنى " ت: كاظم ســعد الــدين، في الثقافــة الاجنبية، ع٢٣، بغداد ١٩٨٩.
٢١- رلى الزين، " العالم العربى في عيون غريبة، خلال خمسة قرون " في الحياة، لندن، ١٩٩٤.
٢٢- زكى محمد حسن، " بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية " في مجلــة محــبى الفــن القبطى، م٣، ١٩٣٧.
٢٣- سيدة الكاشف، " تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية لساويرس بن المقفع وأهميتــه لدراســة التاريخ القومى " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م٩-١٠، ٦٠ - ١٩٦١.
٢٤- سليمان عبد الغنى مالكى، " طريق حجاج مصر والشام. إنتشار الإسلام إلي منتصف القرن السابع الهجرى " في المجلة المصرية للدراسات التاريخية، م٣٠-٣١، ١٩٨٤.
٢٥- سامي شنودة، " الصور المقدسة بدير القديسة كــاترين " في مجلــة كليــة الآداب، م١٤، ١٩٦٠.
٢٦- سهيل قاشا، " المخطوطات العربية في دير مارهنام " في المورد، ع٤، م٥، بغداد ١٩٧٦.
٢٧- سلطان ناجى، " تاريخ التحريات الاثرية في اليمن " في سومر، م٣٦، جــ١-٢، بغــداد ١٩٨٠.
٢٨- شبه جزيرة سيناء، " جغرافيتها ومكانها وتاريخها " في الهلال، جــ٥، سنة ٢٣، ١٩١٥.
٢٩- عرفة عبده على، " سانت كاترين المكان الذى تحدث فيه الرب إلي موســى " في الهــلال، ع١، ١٩٩٦.
٣٠- عبد اللطيف إبراهيم، " في مكتبة دير سانت كاترين " في مجلة جامعة أو درمان الإســلامية بالخرطوم، ع١، ١٩٦٧.

٣١- عبد الرحمن زكى، " طرق المواصلات في شبه جزيرة سيناء " في مجلة الجيش المصرى، م٢، ع٢، ١٩٤٠.

٣٢- عصام محمد الشنطى، " صلاح الدين المنجد والمخطوطات العربية " في معهد المخطوطات العربية، م٣٥، جـ١-٢، ١٩٩١.

٣٣- عيسى اسكندر المعلوف، " اللهجة العربية العامية " في مجمع اللغة العربية، جـ١، ١٩٣٥.

٣٤- فون دونالدب. ليتل، " وثائق الحرم القدسى الجديدة " في الثقافة العالمية، ع٢، الكويت، ١٩٨٢.

٣٥- كامل العسلى، " دراسة أولية حول الوثائق العربية الإسلامية في أديرة القدس " في المجلة المغربية للتوثيق، ع١، ١٩٨٩.

٣٦- محمد محمود السروجى، " دير سانت كاترين. دراسة في تاريخه الحديث " في مجلة كلية الآداب، ع١٨، ١٩٦٤.

٣٧- محمد محمود السروجى، " الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين " في الدارة، ع١٢، سنة ٨، السعودية، ١٩٨٢.

٣٨- محمد عفيفى، " الأقباط بين عهد الذمة وبين عقد الوطنية " في الاجتهاد، ع٣٠، سنة٨ بيروت، ١٩٦٦.

٣٩- محمد السيد غلاب، " مقدمة في الجغرافيا التاريخية " في مجلة كلية الآداب، م٩، ١٩٥٥

٤٠- محمد عبد الرحمن برج، " مصر في الأرشيف العثمانى " في مجلة كلية الاداب، جامعة القاهرة، هـ٥٧، ١٩٩٣.

٤١- محمود زايد، " قبائل سيناء العربية " في الهلال، ع٦، ١٩٧١.

٤٢- مجدى عبد الرحمن، " فليموجرافيا الأفلام التسجيلية المصرية عبر التاريخ " في السينما والتاريخ، ع٣، ١٩٩٢.

٤٣- محسن على شومان، " جمارك البهار في مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٨١٦ " في الاجتهاد، ع٣٣، بيروت، ١٩٦٦.

٤٤- نجيب بولس، " ضبط التقويم القبطى " في مجلة جمعية الآثار القبطية، م١١، ١٩٤٥.

٤٥- نيقولاى بتروفسكى، " ماذا كان يعرف سكان روسيا عن مصر القديمة إبان القرون ١١-١٨م " في نحن والعرب، ع٢، ١٩٨٩.

٤٦- هانز روبرت رويمر، " وثائق التاريخ المصرى في العصر الإسلامى. عرض عام للمجهودات التى بذلت في هذا الميدان " ت: لطفى عبد الوهاب يحيى، في مجلة كلية الآداب، م١٤، ١٩٦٠.

٤٧- مجلة معهد المخطوطات العربية، م٢٤، جـ١، ١٩٧٨.

٤٨- رسالة مارمينا الثالثة، الإسكندرية، ١٠٤٨.

٤٩- رسالة مارمينا الرابعة عشر، الإسكندرية، ١٩٩٣.

٥٠- روز اليوسف، ع٣٥٦٨، سنة ٧١، ١٩٩٦.

ثامناً (ب): الدوريات الأجنبية:

1- A.S. Atiya, " Some Egyption Monesteries Accordinc Unpublished Ms of Al – Shabusshtis " Kitabal. Diyarat, " in: B.S.D.G., Tomev, 1939, le Caire.
2- ----------; " The Arabic Treasures of The convent of Mount Sinai " , in Proceedigs, Vol. 11, 1952, Cairo.
3- Forsyth; " Inland of Faith in The Sinai Wilderness " , in: National Corraphic , Jonuery , U.S.A. , 1964.
4- S. Khalil ; " Archevequas du Sinai au 13 ' Siecle " in: Orintalia Christiana Priodica , Vol., LII. Roma , 1986.
5- M.H.I. Rabino ; " Le Monestere de Sainte – Catherine (du Mont Sinai) Sauvenirs Epicraphieues des anciens Pelerins, " in: Bulletin de Lasociete Royal de Ceocraphie D' Egypte , Tome. XIX , 1936.
6- S. Saenoudu; " Sinatic Art Collections and the Illumineted Monuscript from Damietta " , in: B.F.A., Alex. Vol. XVIII, 1964.
7- Nichalas , Coureas; " The orthodex Monastery of M.T. Sinai and Papalprotection of its Greten and Cypriot Properties " , in: Autour Dela Premee Croisade , Paris , 1996.
8- Weitzhamn, K. " The Jephthah Panel in the Pema of the Church of ST. Cntherines Hount Sinai " , in: Dumbarton Oaks Papers , Washington , 1964.
9- ---------------; " Mount Sinai's Holy Treasures , " in: National Cocraphie, Jonuery , 1964.

صدر من هذه السلسلة

١- د. عبد العظيم رمضان: مصطفى كامل في محكمة التاريخ، ط١، ١٩٨٧، ط٢، ١٩٩٤.

٢- رشوان محمود جاب الله: علي ماهر، ١٩٨٧.

٣- د. عبد السلام عبد الحليم عامر: ثورة يوليو والطبقة العاملة، ١٩٨٧.

٤- د. محمد نعمان جلال: التيارات الفكرية في مصر المعاصرة، ١٩٨٧.

٥- د. علية عبد السميع الجنزوري: غارات أوربا على الشواطئ المصرية في العصور الوسطى، ١٩٨٧.

٦- لمعي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج١، ١٩٨٧.

٧- د. عبد المنعم ماجد: هؤلاء الرجال من مصر، ١٩٨٧.

٨- د. علي بركات: رؤية الجبرتي لأزمة الحياة الفكرية، ١٩٨٧.

٩- د. محمد أنيس: صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل، ١٩٨٧.

١٠- محمود فوزي: توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية، ١٩٨٧.

١١- شكري القاضي: مائة شخصية مصرية وشخصية، ١٩٨٧.

١٢- د. نبيل راغب: هدى شعراوي وعصر أكتوبر، ١٩٨٨.

١٣- د.عبدالعظيم رمضان:أكذوبة الاستعمار المصري للسودان: رؤية تاريخية، ط١،١٩٨٨، ط٢،١٩٩٤.

١٤- د.سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الولاة من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ١٩٨٨.

١٥- د. علي حسن الخربوطلي: المستشرقون والتاريخ الإسلامي، ١٩٨٨.

١٦- د. حلمي أحمد شلبي: فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢)، ١٩٨٨.

١٧- د. محمد نور فرحات: القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني، ١٩٨٨.

١٨- د. علي السيد محمود: الجواري في مجتمع القاهرة المملوكية، ١٩٨٨.

١٩- د. أحمد محمود صابون: مصر القديمة وقصة توحيد القطرين، ١٩٨٨.

٢٠- د. محمد أنيس: دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩: المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمي، ١٩٨٨.

٢١- د. توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج١، ١٩٨٨.

٢٢- جمال بدوي: نظرات في تاريخ مصر، ١٩٨٨.

٢٣- د. توفيق الطويل: التصوف في مصر إبان العصر العثماني، ج٢، ١٩٨٨.

٢٤- د. نجوى كامل: الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية ١٩١٩ - ١٩٣٦، ١٩٨٩.

٢٥- هاملتون جب، هارولد بوين: المجتمع الإسلامي والغرب، ج١، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩.

٢٦- د. سعيد إسماعيل علي: تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة، ١٩٨٩.

٢٧- ألفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ج١، ترجمة محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٨- ألفريد ج. بتلر: فتح العرب لمصر، ج٢، ترجمة محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩.

٢٩- د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في عصر الإخشيديين، ١٩٨٩.

٣٠- د. حلمي أحمد شلبي: الموظفون في مصر في عهد محمد علي، ١٩٨٩.

٣١- شكري القاضي: خمسون شخصية مصرية وشخصية، ١٩٨٩.

٣٢- لمعي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج٢، ١٩٨٧.

٣٣- د. خالد محمود الكومي: مصر وقضايا الجنوب الأفريقي: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية، ١٩٨٩.

٣٤- د. يونان لبيب رزق، محمد مزين: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، ١٩٩٠.

٣٥- عبد الحميد توفيق زكي: أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة، ١٩٩٠.

٣٦- هاملتون جب، هارولد بوين: المجتمع الإسلامي والغرب، ج٢، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٩٠.

٣٧- د.سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن، ١٩٩٠.

٣٨- د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، ١٩٩٠.

٣٩- د. جميل عبيد: قصة احتلال محمد علي لليونان ١٨٢٤ – ١٨٢٧، ١٩٩٠.

٤٠- د. عبد المنعم الجميعي: الأسلحة الفاسدة ودورها في حرب فلسطين ١٩٤٨، ١٩٩٠.

٤١- د. رفعت السعيد: محمد فريد الموقف والمأساة، رؤية عصرية، ١٩٩١.

٤٢- محمد شفيق غربال: تكوين مصر عبر العصور، ١٩٩٠.

٤٣- إبراهيم عبد العزيز: رحلة في عقول مصرية، ١٩٩٠.

٤٤- د. محمد عفيفي: الأوقاف والحياة الاقتصادية في مصر في العصر العثماني، ١٩٩١.

٤٥- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج١، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩١.

٤٦- د. عبد الرءوف أحمد عمرو: تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية ١٩٣٩- ١٩٥٩، ١٩٩١.

٤٧- د. لطيفة محمد سالم: تاريخ القضاء المصري الحديث، ١٩٩١.

٤٨- د. زبيدة عطا: الفلاح المصري بين العصر القبطي والعصر الإسلامي، ١٩٩١.

٤٩- د. عبد العظيم رمضان: العلاقات المصرية الإسرائيلية ١٩٤٨ – ١٩٧٩، ١٩٩٢.

٥٠- د. سهير إسكندر: الصحافة المصرية والقضايا الوطنية ١٩٤٦ – ١٩٥٤، ١٩٩٣.

٥١- تحرير: عبد العظيم رمضان: تاريخ المدارس في مصر الإسلامية (أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة في أبريل ١٩٩١) ، ١٩٩٢.

٥٢- د. إلهام ذهني: مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، ١٩٩٢.

٥٣- د.محمد كمال الدين عز الدين: أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة، ١٩٩٢.

٥٤- د. محمد عفيفي: الأقباط في مصر في العصر العثماني، ١٩٩٢.

٥٥- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٢، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٢.

٥٦- د. حلمي أحمد شلبي: المجتمع الريفي في عصر محمد علي: دراسة عن إقليم المنوفية، ١٩٩٢.

٥٧- د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر الإسلامية وأهل الذمة، ١٩٩٢.

٥٨- د. إبراهيم عبد الله المسلمي: أحمد حلمي سجين الحرية والصحافة، ١٩٩٣.

٥٩- د. عبد السلام عبد الحليم عامر: الرأسمالية الصناعية في مصر من التمصير إلى التأميم ١٩٥٧ – ١٩٦١، ١٩٩٣.

٦٠- عبد الحميد توفيق زكي: المعاصرون من رواد الموسيقى العربية، ١٩٩٣.

٦١- د. عبد العظيم رمضان: تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث، ١٩٩٣.

٦٢- لمعي المطيعي: هؤلاء الرجال من مصر، ج٣، ١٩٩٣.

٦٣- د. سيدة إسماعيل كاشف، د. جمال الدين سرور، د. سعيد عبد الفتاح عاشور: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية، أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣.

٦٤- د. محمد نعمان جلال: مصر وحقوق الإنسان بين الحقيقة والافتراء، دراسة وثائقية، ١٩٩٣.

٦٥- د. سهام نصار: موقف الصحافة المصرية من الصهيونية ١٨٩٧ – ١٩١٧، ١٩٩٣.

٦٦- د. نريمان عبد الكريم أحمد: المرأة في مصر في العصر الفاطمي، ١٩٩٣.

٦٧- تحرير: عبد العظيم رمضان: مساعي السلام العربية الإسرائيلية، الأصول التاريخية (أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس في أبريل ١٩٩٣،

٦٨- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٣، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٣.

٦٩- د. محمد أبو الإسعاد: نبوية موسى ودورها في الحياة المصرية ١٨٨٦ – ١٩٥١، ١٩٩٣.

٧٠- أ. س. ترتون: أهل الذمة في الإسلام، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٤.

٧١- تريفور إيفانز: مذكرات اللورد كيلرن ١٩٣٤ - ١٩٤٦، ج١، ترجمة د. عبد الرءوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
٧٢- د. أمينة أحمد إمام: رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية في العصر الفاطمي (٣٥٨ - ٥٦٧هـ)، ١٩٩٤.
٧٣- د. رءوف عباس حامد: تاريخ جامعة القاهرة، ١٩٩٤.
٧٤- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية، ج١: في العصر الفرعوني، ١٩٩٤.
٧٥- د. سلام شافعي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، ١٩٩٥.
٧٦- د. سعيد إسماعيل علي: دور التعليم المصري في النضال الوطني زمن الاحتلال البريطاني، ١٩٩٥.
٧٧- وليم الصوري: الحروب الصليبية، ج٤، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، ١٩٩٤.
٧٨- نعمات أحمد عثمان: تاريخ الصحافة السكندرية ١٨٧٣ - ١٨٩٩، ١٩٩٥.
٧٩- فريد دي يونج: تاريخ الطرق الصوفية في مصر في القرن التاسع عشر، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال، ١٩٩٥.
٨٠- د.السيد حسين جلال:قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي ١٨٨٢ - ١٩٠٤، ١٩٩٥.
٨١- د. رمزي ميخائيل: تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر، ١٩٩٥.
٨٢- د. سيدة إسماعيل كاشف: مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، ١٩٩٤.
٨٣- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج١، ١٩٩٤.
٨٤- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج٢، القسم الأول، ١٩٩٤.
٨٥- د. حلمي أحمد شلبي: تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢)، ١٩٩٥.
٨٦- د.أحمد الشربيني: تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية(١٨٤٠- ١٩١٤)، ١٩٩٥.
٨٧- تريفور إيفانز: مذكرات اللورد كيلرن ١٩٣٤ - ١٩٤٦، ج٢، ترجمة د. عبد الرءوف أحمد عمرو، ١٩٩٤.
٨٨- عبد الحميد توفيق زكي: التذوق الموسيقي وتاريخ الموسيقى المصرية، ١٩٩٠.
٨٩- د. عبد الحميد حامد سليمان: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، ١٩٩٥.
٩٠- د. نريمان عبد الكريم: معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، ١٩٩٦.
٩١- بيكر مانسفيلد: تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال، ١٩٩٦.
٩٢- د. نجوى كامل: الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)، ١٩٩٦.
٩٣- د. نبيه بيومي عبد الله: قضايا عربية في البرلمان المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨)، ١٩٩٦.
٩٤- د. سهير إسكندر: الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)، ١٩٩٦.

٩٥- تحرير: د. عبد العظيم رمضان: مصر وأفريقيا، الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة).
٩٦- مالكولم كير: عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)، ترجمة د. عبد الرءوف أحمد عمرو.
٩٧- د. إيمان عامر: العربان ودورهم في المجتمع المصري في النصف الأول من القرن التاسع عشر.
٩٨- د. محمد سيد محمد: هيكل والسياسة الأسبوعية.
٩٩- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليوناني - الروماني)، ج٢.
١٠٠- د.عبد العزيز صالح، د. جمال مختار، د. محمد إبراهيم بكر، د. إبراهيم نصحي، د. فاروق القاضي: موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر القديمة) ، أعدها للنشر د. عبد العظيم رمضان.
١٠١- اللواء مصطفى عبد المجيد نصير، اللواء عبد المجيد كفافي، اللواء سعد عبد الحفيظ، السفير جمال منصور: ثورة يوليو والحقيقة الغائبة.
١٠٢- د. تيسير أبو عرجة: المقطم جريدة الاحتلال البريطاني في مصر (١٨٨٩ - ١٩٥٢).
١٠٣- د. علي بركات: رؤية الجبرتي لبعض قضايا عصره.
١٠٤- د. فاطمة علم الدين عبد الواحد: تاريخ العمال الزراعيين في مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢).
١٠٥- د. أحمد فارس عبد المنعم: السلطة السياسية في مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ - ١٩٨٧).
١٠٦- د. سليمان صالح: الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية في ربع قرن).
١٠٧- دليب هيرو: الأصولية الإسلامية، ترجمة عبد الحميد فهمي الجمال.
١٠٨- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٤.
١٠٩- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٥.
١١٠- البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج١.
١١١- البيومي إسماعيل الشربيني: مصادرة الأملاك في الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج٢.
١١٢- د. محمد الجوادي: إسماعيل باشا صدقي.
١١٣- د. عز الدين إسماعيل: الزبير باشا ودوره في السودان في عصر الحكم المصري.
١١٤- أحمد رشدي صالح: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي.
١١٥- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج٢.
١١٦- علاء الدين وحيد: أديب إسحاق عاشق الحرية.
١١٧- عبد الرازق إبراهيم عيسى: تاريخ القضاء في مصر العثمانية ١٥١٧ - ١٧٩٨.
١١٨- د. البيومي إسماعيل الشربيني: النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك.

١١٩- حسين محمد أحمد يوسف: النقابات في مصر الرومانية.

١٢٠- لويس جرجس: يوميات من التاريخ المصري الحديث.

١٢١- د. محمد عبد الحميد الحناوي: الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤).

١٢٢- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٦.

١٢٣- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: السيد أحمد البدوي.

١٢٤- د. محمد نعمان جلال: العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن.

١٢٥- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٧.

١٢٦- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٨.

١٢٧- إبراهيم محمد إبراهيم: مقدمات الوحدة المصرية السورية ١٩٤٣ - ١٩٥٨.

١٢٨- جمال بدوي: معارك صحفية.

١٢٩- د. يحيى محمد محمود: الدين العام وأثره في تطور الدين المصري (١٨٧٦ - ١٩٤٣).

١٣٠- سمير فريد: تاريخ نقابات الفنانين في مصر (١٩٨٧ - ١٩٩٧).

١٣١- ترجمة: د. عبد الرءوف أحمد عمرو: الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢.

١٣٢- د. ماجدة محمد محمود: دار المندوب السامي في مصر، ج١.

١٣٣- د. ماجدة محمد محمود: دار المندوب السامي في مصر، ج٢.

١٣٤- ترجمة: جمال سعيد عبد الغني: الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني للدارندلي.

١٣٥- د. محاسن محمد الوقاد: اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة ٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م.

١٣٦- تقديم : عبد العظيم رمضان: أوراق يوسف صديق.

١٣٧- د. محمد عبد الغني الأشقر: تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي.

١٣٨- السيد يوسف: الأخوان المسلمون وجذور التطرف الديني والإرهاب في مصر.

١٣٩- محمد قابيل: موسوعة الغناء المصري في القرن العشرين.

١٤٠- طارق عبد العاطي غنيم: سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر (١٢٢٦ - ١٢٦٥هـ/ ١٨١١ - ١٨٤٨م.

١٤١- لطفي أحمد نصار: وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك.

١٤٢- أحمد شفيق باشا: مذكراتي في نصف قرن، ج٢، ط٢، ١٩٩٩.

١٤٣- د. منيرة محمد الهمشري: دبلوماسية البطالمة في القرنين الثاني والأول ق.م.

١٤٤- د. عبد العليم خلاف: كشوف مصر الأفريقية في عهد الخديو إسماعيل.

١٤٥- د.منيرة محمد الهمشري:النظام الإداري والاقتصادي في مصر في عهد دقلديانوس(٢٨٤-٣٠٥م).

١٤٦- د. أحمد عبد الرازق: المرأة في مصر المملوكية.

١٤٧- د. رفعت السعيد: حسن البنا: متى.. كيف.. لماذا؟

١٤٨- د. سمير فوزي: القديس مرقص وتأسيس كنيسة الإسكندرية، ترجمة نسيم مجلي.

١٤٩- حسام محمد عبد المعطي: العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر.

١٥٠- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها).

١٥١- السيد يوسف: جمال الدين الأفغاني والثورة الشاملة.

١٥٢- د. محاسن محمد الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية (٦٤٨- ٩٣٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م).

١٥٣- د. علية عبد السميع الجنزوري: الحروب الصليبية: المقدمات السياسية.

١٥٤- د. علية عبد السميع الجنزوري: هجمات الروم البحرية على شواطئ مصر الإسلامية في العصور الوسطى.

١٥٥- د. عبد الحميد البطريق: عصر محمد علي ونهضة مصر في القرن التاسع عشر(١٨٠٥- ١٨٨٣).

١٥٦- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة في العصر الإسلامي، ج٣.

١٥٧- د. سمير يحيى الجمال: تاريخ الطب والصيدلة في العصر الإسلامي، ج٤.

١٥٨- د.محمد عبد الغني الأشقر: نائب السلطنة المملوكية في مصر (٦٤٨- ٩٣٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م).

١٥٩- د. محمد فريد حشيش: حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢) ج١.

١٦٠- د. محمد فريد حشيش: حزب الوفد (١٩٣٦ - ١٩٥٢) ج٢.

١٦١- سلاطين باشا: السيف والنار في السودان.

١٦٢- د. تمام همام تمام: السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦- ١٩٥٣).

١٦٣- محمد سيد العشماوي: مصر والحملة الفرنسية.

١٦٤- تحرير: د. عبد العظيم رمضان: الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة) بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة في الفترة: ٢٠ - ٢١ ديسمبر ١٩٩٧.

١٦٥- سامي سليمان محمد السهم: التعليم والتغيير الاجتماعي في مصر في القرن التاسع عشر.

١٦٦- السيد يوسف: مذكرات معتقل سياسي (صفحة من تاريخ مصر).

١٦٧- د. صفي علي محمد عبد الله: الحركة العلمية والأدبية في الفسطاط منذ الفتح العربي إلى نهاية الدولة الإخشيدية.

١٦٨- يسري عبد الغني: مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات.

١٦٩- د. صفي علي محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي إلى نهاية الفاطميين (٢١ - ٥٦٧هـ/ ٦٤٢- ١١٧١م)

١٧٠- مجدي عبد الرشيد بحر: القرية المصرية في عصر سلاطين المماليك(٦٤٨- ٩٣٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م.

١٧١- محمد رفعت الإمام: تاريخ الجالية الأرمنية في مصر في القرن التاسع عشر.

١٧٢- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج١.

١٧٣- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج٢.

١٧٤- د. أحمد عبد الحليم دراز: مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م.

١٧٥- عادل إبراهيم الطويل: محمد توفيق نسيم باشا ودوره في الحياة السياسية.

١٧٦- د. عبد الحميد حامد سليمان: الملاحة الدولية في مصر العثمانية (١٥١٧- ١٧٩٨).

١٧٧- لواء د. صلاح سالم: سياسة مصر العسكرية إزاء حروب الشرق الأوسط.

١٧٨- د. سحر علي حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر.

١٧٩- د. عفاف مسعد السيد العبد: دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر (١٥٦٤ - ١٦٠٩م).

١٨٠- د. عبد العظيم رمضان: الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس.

١٨١- ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد، ج١).

١٨٢- ترجمة وتعليق: د. حسن حبشي: الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد، ج٢).

١٨٣- شاهد على العصر: مذكرات محمد لطفي جمعة.

١٨٤- ياسر عبد المنعم محاريق: المنوفية في القرن الثامن عشر.

١٨٥- د. أحمد سيد أحمد: تاريخ مدينة الخرطوم تحت الحكم المصري.

١٨٦- د. أحمد صبحي منصور: العقائد الدينية في مصر الإسلامية (بين الإسلام والتصوف).

١٨٧- د. عادل عبد الحافظ حمزة: نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠- ١٥١٧م)، ج١.

١٨٨- د. عادل عبد الحافظ حمزة: نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (١٢٥٠- ١٥١٧م)، ج٢.

١٨٩- عرفة عبده علي: يهود مصر منذ عصر الفراعنة حتى عام ٢٠٠٠م.

١٩٠- د.عبد الحميد عبد الجليل أحمد شلبي:العلاقات السياسية بين مصر والعراق (١٩٥١- ١٩٦٣م).

١٩١- د. محسن علي شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، ج١.

١٩٢- د. محسن علي شومان: اليهود في مصر العثمانية حتى أوائل القرن التاسع عشر، ج٢.

١٩٣- د. عبد الله شحاتة: الإمام محمد عبده بين المنهج الديني والمنهج الاجتماعي.

١٩٤- د. فتحي الصنفاوي: تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية.

١٩٥- د. ريمان عبد الكريم أحمد: مجتمع أفريقيا في عصر الولاة.

١٩٦- د. عبد العظيم محمد سعودي: تاريخ تطور الري في مصر (١٨٨٢- ١٩١٤).

١٩٧- د. عبد الحميد زايد: القدس الخالدة.

١٩٨- د. عادل عبد الحافظ حمزة: العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية .

١٩٩- د. بهاء الدين إبراهيم: المعبد في الدولة الحديثة في مصر الفرعونية.

٢٠٠- تحرير د. عبد العظيم رمضان: تاريخ سواحل مصر الشمالية عبر العصور (أعمال الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب جامعة الإسكندرية من ٢٢- ٢٣ أبريل ١٩٩٨).

٢٠١- سميرة فهمي على عمر: إمارة الحج في مصر العثمانية ١٥١٧- ١٧٩٨.

٢٠٢- د. ماجدة محمد محمود: المندوبون الساميون في مصر.

٢٠٣- فتحي أبو طالب: الصراع الدولي على عدن والدور المصري.

٢٠٤- د. مرفت صبحي غالي: العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٣٥- ١٩٤٥).

٢٠٥- السيد محمد أحمد عطا: تاريخ الغربية وأعمالها في العصر الإسلامي(٢١- ٥٦٧هـ/ ٦٤٢- ١١٧١م)

٢٠٦- سليم خليل نقاش: مصر للمصريين، ج٩.

٢٠٧- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: الظاهر بيبرس.

٢٠٨- لواء د. كمال أحمد عامر: الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج١.

٢٠٩- لواء د. كمال أحمد عامر: الدور المصري والعربي في حرب تحرير الكويت، ج٢.

٢١٠- د. سعيد عبد الفتاح عاشور: قبرص والحروب الصليبية.

٢١١- د. علية عبد السميع الجنزوري: إمارة الرها الصليبية.

٢١٢- شلبي إبراهيم الجعيدي: العامة في مصر في العصر الأيوبي (٥٦٧- ٦٤٨هـ/ ١١٧١- ١٢٥٠م).

٢١٣- عثمان علي محمد عطا: الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي والاجتماعي (٦٤٨- ٩٣٢هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م).

٢١٤- د.علية عبد السميع الجنزوري:الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى.

٢١٥- د. إصلاح عبد الحميد ريحان: الفتح الإسلامي لمدينة كابول (٣١هـ/ ٦٥١م).

٢١٦- د. فرغلي تسن هريدي: الرأسمالية الأجنبية في مصر (١٩٣٧- ١٩٥٧) ، ج١.

٢١٧- د. سيد عشماوي: العيب في الذات الملكية (١٨٨٢- ١٩٥٢).

٢١٨- د. السيد محمد أحمد عطا: إقليم الغربية في عصر الأيوبيين والمماليك (٥٦٧- ٩٣٢هـ/ ١١٧١- ١٥١٧م).

٢١٩- د. عبد العظيم رمضان: ثورة ١٩١٩ في ضوء مذكرات سعد زغلول.

٢٢٠- د. حمادة حسني أحمد محمد: التنظيمات السياسية لثورة يوليو.

٢٢١- ونستون تشرشل: حرب النهر، ترجمة عز الدين محمود.

٢٢٢- د. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م)، ج١.

٢٢٣- د. عبد الحميد زايد: مصر الخالدة (مقدمة في تاريخ مصر الفرعونية منذ أقدم العصور حتى عام ٣٣٢ق.م)، ج٢.

٢٢٤- إعداد وتقديم: د. عبد العظيم رمضان: الدور الوطني للكنيسة المصرية عبر العصور (أعمال ندوة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة).

٢٢٥- د. سيد محمد موسى حمد: مصر ودول حوض النيل.

٢٢٦- د. عبد العزيز محمد الشناوي: السخرة في حفر قناة السويس.

٢٢٧- أمل محمود فهمي: العلاقات المصرية العثمانية على عهد الاحتلال البريطاني (١٨٨٢- ١٩١٤)

٢٢٨- د. حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، ج١.

٢٢٩- ترجمة: د. حسن حبشي: ذيل وليم الصوري.

٢٣٠- د. عز الدين إسماعيل أحمد: تاريخ الجيش المصري في عصور ما قبل التاريخ.

٢٣١- د. سمير عبد المقصود السيد: الشوام في مصر منذ الفتح العثماني حتى أوائل القرن التاسع عشر.

٢٣٢- د. فرغلي تسن هريدي: الرأسمالية الأجنبية في مصر (١٩٣٧- ١٩٥٧) ، ج٢.

٢٣٣- محمود قاسم: الفيلم التاريخي في مصر.

٢٣٤- د. أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية، ج١.

٢٣٥- د. أنتوني سوريال عبد السيد: العلاقات المصرية الأثيوبية، ج٢.

٢٣٦- د. أحمد محمد عبد الحليم دراز: مصر وفلسطين فيما بين القرنين الحادي عشر والثامن ق.م.

٢٣٧- تحرير: د. عبد العظيم رمضان: حكومة مصر عبر العصور (أعمال لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة من ٢٢- ٢٣ أبريل).

٢٣٨- د. سيدة إسماعيل كاشف: الوليد بن عبد الملك (٨٦- ٩٦هـ/ ٧٠٥- ٧١٥م).

٢٣٩- د. سيدة إسماعيل كاشف: عبد العزيز بن مروان.

٢٤٠- د. حسين كفافي: هنري كوربيل الأسطورة والوجه الآخر.

٢٤١- د. سليمان محمد حسين: تجار القاهرة في القرنين السادس عشر والسابع عشر.

٢٤٢- د. عبد المنعم إبراهيم الجميعي: عصر محمد علي: دراسة وثائقية).

٢٤٣- مصطفى الغريب محمد: محمد حسين هيكل ودوره في السياسة المصرية (١٨٨٨- ١٩٥٦).

٢٤٤- د. أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي، ج١، الدراسات السياسية.
٢٤٥- د. أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: المغاربة والأندلسيون في مصر الإسلامية من عصر الولاة حتى نهاية العصر الفاطمي، ج٢، الدراسات الحضارية.
٢٤٦- عبده مباشر: ، إسلام توفيق: حرب الاستنزاف، ج١.
٢٤٧- عبده مباشر: ، إسلام توفيق: حرب الاستنزاف، ج٢.
٢٤٨- السيد يوسف: عبد الرحمن الكواكبي رائد القومية العربية وشهيد الحرية.
٢٤٩- د. محمد فريد حشيش: معاهدة ١٩٣٦، ج١، العلاقات المصرية البريطانية.
٢٥٠- د. محمد فريد حشيش: معاهدة ١٩٣٦، ج٢، نصوص محاضر المفاوضات.
٢٥١- د. عزت قرني: تاريخ الفكر السياسي والاجتماعي في مصر الحديثة (١٨٣٤- ١٩١٤).
٢٥٢- أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج١.
٢٥٣- أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج٢.
٢٥٤- أحمد محمود جمعة: إنشاء جامعة الدول العربية، ج٣.
٢٥٥- د. مرفت أسعد عطاالله: العلاقات بين مصر ولبنان في عهد محمد علي.
٢٥٦- د. السيد حسين جلال: قناة السويس والأطماع الاستعمارية الدولية.
٢٥٧- سمير عبد الله سليمان: الدواوين في مصر خلال العصر الفاطمي (٣٥٨- ٥٦٧هـ/ ٩٦٩- ١١٧١م).
٢٥٨- د. محمد صبحي عبد الحكيم: مدينة الإسكندرية.
٢٥٩- د. حسن حبشي: تاريخ العالم الإسلامي، ج٢.
٢٦٠- د. محمد مؤنس عوض: رواد تاريخ العصور الوسطى.
٢٦١- د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ج١.
٢٦٢- د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد، ج٢.
٢٦٣- أحمد حسين: مذكرات أحمد حسين.
٢٦٤- جان إيف إمبرور: الإسكندرية ملكة الحضارات، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، مراجعة د. محمود ماهر طه.
٢٦٥- د. إصلاح عبد الحميد ريحان: هرات من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن الثاني الهجري.
٢٦٦- د. نريمان عبد الكريم أحمد: دراسات في تاريخ مصر الإسلامية.
٢٦٧- طارق الكومي: أمراء أسرة محمد علي ودورهم في المجتمع.
٢٦٨- المشكلة الفلسطينية وموقف مصر حكومة وشعباً منها (١٩١٧- ١٩٣٩).
٢٦٩- د. أحمد دراج: المماليك والفرنجة في القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي.
٢٧٠- محمد قابيل: فرسان اللحن الجميل: الموجي – بليغ- الطويل، ٢٠٠٧.

٢٧١- مجدي رشاد عبد الغني: العلاقات المصرية الليبية (١٩٤٥- ١٩٦٩)، ٢٠٠٧.

٢٧٢- محمد بن صفصاف: حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس الإصلاحية وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ج١.

٢٧٣- محمد بن صفصاف: حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس الإصلاحية وأبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ج٢.

٢٧٤- د. عبد الواحد النبوي: المعارضة في البرلمان المصري (١٩٢٤- ١٩٣٦)، ٢٠٠٨.

٢٧٥- د. حسام محمد عبد المعطي: العائلة والثروة، البيوت التجارية المغربية في مصر العثمانية، ٢٠٠٨.

٢٧٦- جرجس حنين: الأطيان والضرائب في القطر المصري.

وبين يديك العدد الأخير:

٢٧٧- د. عبد الحميد ناصف: دير سانت كاترين في العصر العثماني

منافذ بيع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة - ت : ٢٥٧٧٥٣٦٧

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة ساقية

عبد المنعم الصاوى

الزمالك - نهاية ش ٢٦ يوليو

من أبو الفدا - القاهرة

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

ت : ٢٥٥٠٦٨٨٨

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

بجوار كلية الإعلام - بالحرم الجامعى - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

ت : ٣٥٨٥٠٢٩١

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتبة المنصورة

٥ ش الثورة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

مكتبات ووكلاء
البيع بالدول العربية

لبنان

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة - بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣
ص. ب : ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب
بيروت - الفرع الجديد - شارع الصيدانى - الحمراء - رأس بيروت - بناية سنتر ماريا
ص. ب : ١١٣/٥٧٥٢
فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع - سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد - المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص. ب: ٧٣٦٦ - الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر - ٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض (ص. ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع طريق الملك فهد مع طريق العروبة - هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية - شارع الستين - ص. ب: ٣٠٧٤٦ جدة : ٢١٤٨٧ - ت : المكتب: ٦٥٧٠٧٢٢ - ٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨.

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الرياض - المملكة العربية السعودية - ص. ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت: ٤٥٩٣٤٥١.

٤ - مؤسسة عبد الرحمن السديرى الخيرية - الجوف - المملكة العربية السعودية - دار الجوف للعلوم ص. ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع
ت: ٤٦١٨١٩٠ - ٤٦١٨١٩١
فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازورى العلمية للنشر والتوزيع
عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين
ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +
تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +
ص. ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
ص. ب : ٢٣٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس
www. egyptianbook org.eg
E - mail : info@egyptian.org.eg

هذا الكتاب

إن دير سانت كاترين يعد حالة دراسية فريدة من عدة جوانب، فهو يعتبر واحد من أعظم وأقدم المؤسسات الدينية في العالم، نشأ واستمر وازدهر حتى بعد دخول الإسلام إلى مصر، وهو من جانب آخر قد حصل على أوامر وفرمانات ومراسيم من عدد كبير من حكام مصر منذ الفتح الإسلامي لمصر مرورا بالخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك وانتهاء بالعثمانيين، وجميعها قد أكدت على حماية الدير وعدم التعرض للرهبان. واللافت للنظر هو حرص الرهبان على الحفاظ على أصول تلك الأوامر والفرمانات والمراسيم، لدرجة أنها شكلت أرشيفا ضخما ونادرا من الوثائق التي ترجع إلى عصور مختلفة، يندر أن تتجمع في مكان واحد. هذا بالإضافة إلى ما يحتويه الدير من مكتبة ضخمة تضم مجموعة من أندر المخطوطات المسيحية التي كتبت باللغة العربية. ومن هنا تأتي اهمية هذا الكتاب الذي يساهم في تسليط الضوء على دير سانت كاترين، من خلال عرض تاريخي لنشأة الدير وتطوره حتى العصر العثماني، وأحواله الاقتصادية وطرق إدارة أملاكه وأوقافه داخل مصر وخارجها، كما يعرض هذا الكتاب للحياة اليومية لرهبان الدير والعلاقات بينهم وبين القبائل العربية القاطنة بجوار الدير، ويعرض كذلك لطبيعة العلاقات بين الدير والسلطات الحاكمة في مصر. وأخيرا يعرض للأحوال العلمية والثقافية للدير وما تحتويه مكتبته من كنوز ال[illegible] والوثائق.

ISBN# 9789774207544



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٠٫٥ جنيه